# نظرية داروين في نشأة الخلق من خلال القرآن، والسنة، ومبادىء العلم الحديث: دراسة نقدية

إعداد
نور إليانا بنت الحاج إسماعيل

المشرف
الدكتور عطاالله بخيت المعايطة

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

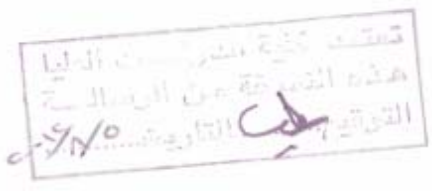

آب، ٢٠١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجامعة الأردنية

نموذج التفويض

أنا نور اليانا بنت الحاج إسماعيل، أفوض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ من رسالتي /أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:

التاريخ: ٥/٨/٢٠١٢م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة ( نظرية داروين في نشأة الخلق من خلال القرآن والسنة ومبادئ العلم الحديث : دراسة نقدية ) وأجيزت بتاريخ ٢٠١٢/٧/٢٣

| أعضاء لجنة المناقشة | التوقيع |
|---|---|
| الدكتور عطا الله بخيت المعايطة/ مشرفاً<br>مساعد – العقيدة –أصول الدين | ..... |
| الدكتور إبراهيم محمد خالد برقان /عضوا<br>مشارك – العقيدة – أصول الدين | ..... |
| الدكتورة مروة محمود خرمة / عضوا<br>مساعد– العقيدة – أصول الدين | ..... |
| الدكتور بهجت علي الحباشنة /عضواً خارجياً<br>(من جامعة آل البيت ) | ..... |

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

# الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى والدي الكريمين الحبيبين المحترمين اللذين ربياني

صغيرا،

أبي الذي شجعني في دراستي تشجيعاً مستمراً ومتواصلاً

وأمي التي لا ينقطع دعاءها لي

وإلى عائلتي، أخواتي وإخوتي الطيبين

وإلى كل من أحببته في الله وأحبني فيه

نور إيلانا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## شكر وتقدير

أحمد الله رب العالمين أولاً وآخراً على أن من علي بتوفيقه وهدايته في إنجاز هذه الرسالة وإخراجها على هذه الصورة.

وبعد، فإنني أتقدم بأجزل الشكر والتقدير والامتنان لأستاذي الفاضل المشرف الدكتور عطا الله بخيت المعايطة حفظه الله تعالى، لما كان له الدور الكبير في مساعدتي ولما أعطاني من النصح والإرشاد والتوجيه، وكذلك تشجيعه لي لإتمام الرسالة، فجزاه الله تعالى خيراً.

ثم أتوجه بجزيل الشكر والتقدير للأساتذة الكرام الفضلاء الذين علّموني ودرسوني وأعطوني المعرفة والعلوم التي لا تحصى خلال دراستي في الجامعة الأردنية، أخص بالذكر الأساتذة الكرام في شعبة العقيدة، كلية الشريعة، جزاهم الله عز وجل عني كل خير وبارك فيهم.

وللأساتذة الكرام- أعضاء لجنة المناقشة- خالص شكري وتقديري على قبولهم قراءة رسالتي ومناقشتها وإثرائها بملحوظاتهم القيمة.

وأخيراً، أشكر كل من أسهم وساعد في إنجاز هذه الرسالة، ومد لي يد العون والمساعدة في إتمامها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## فهرس المحتويات


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| قرار لجنة المناقشة ..... | ب |
| الإهداء ..... | ج |
| شكر وتقدير ..... | د |
| فهرس المحتويات ..... | ه |
| الملخص باللغة العربية ..... | ز |
| **المقدمة** ..... | ١٠ |
| **الفصل التمهيدي: داروين حياته وعصره .....** | ١١ |
| **المبحث الأول : حياته .....** | ١٢ |
| المطلب الأول: حياته الشخصية ..... | ١٢ |
| المطلب الثاني: حياته العلمية ..... | ١٥ |
| **المبحث الثاني: عصره .....** | ٢٣ |
| المطلب الأول: موقف الكنيسة المسيحية ..... | ٣٠ |
| المطلب الثاني: موقف اليهود ..... | ٣١ |
| **الفصل الأول: نظرية داروين في نشأة الخلق** ..... | ٣١ |
| **تمهيد (تعريف بالمصطلحات)** ..... | ٣١ |
| **المبحث الأول: التطور والارتقاء عند داروين .....** | ٣٦ |
| المطلب الأول: نشأة النظرية عند داروين ومن سبقه ..... | ٤٠ |
| المطلب الثاني: عوامل التطور والارتقاء عند داروين ..... | ٥٢ |


All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

| | |
|---|---|
| **المبحث الثاني: أصل الموجودات عند داروين .....** | ٥٢ |
| المطلب الأول: الكون ..... | ٥٢ |
| المطلب الثاني: نشأة الحياة ..... | ٥٥ |
| **المبحث الثالث: أصل الكائنات عند داروين .....** | ٦٢ |
| المطلب الأول: النبات ..... | ٦٢ |
| المطلب الثاني: الحيوان ..... | ٦٧ |
| المطلب الثالث: الإنسان ..... | ٧٨ |
| **الفصل الثاني: نقد نظرية داروين** ..... | ٩٢ |
| **المبحث الأول: موقف القرآن الكريم والسنة النبوية .....** | ٩٣ |
| المطلب الأول : موقف القرآن الكريم ..... | ٩٣ |
| المطلب الثاني: موقف السنة النبوية ..... | ١٢١ |
| **المبحث الثاني : موقف العلم والعلماء من نظرية داروين** ..... | ١٢٨ |
| المطلب الأول: موقف العلماء المسلمين ..... | ١٢٨ |
| المطلب الثاني: موقف العلماء الغربيين ..... | ١٤٥ |
| **الخاتمة** ..... | ١٥٠ |
| **قائمة المصادر والمراجع .....** | ١٥٢ |
| **الملخص باللغة الإنجليزية .....** | ١٦٢ |


All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

# نظرية داروين في نشأة الخلق من خلال القرآن، والسنة، ومبادىء العلم الحديث: دراسة نقدية

**إعداد**

**نور إليانا بنت الحاج إسماعيل**

**المشرف**

**الدكتور عطا الله بخيت المعايطة**

## الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى إبراز حقيقة نظرية داروين في نشأة الخلق عن طريق ملحوظاته وتجاربه ونصوصه وكلامه في كتابين، الأول: (أصل الأنواع) الذي يتحدث فيه عن مفهوم الخلق، وأدلته التي تؤدي إلى تطور الكائنات الحية من النبات والحيوان، والثاني: في كتابه (تسلسل الإنسان) الذي خصصه لشرح أصل الإنسان وأدلته عليه، وتهدف الدراسة إلى عرض هذه النظرية ثم تصحيح وتقويم المفاهيم الخاطئة عن حقيقة نظرية داروين لدى العلماء والباحثين والطلاب، وبالتالي كشف الخلل في هذه النظرية عن نشأة الخلق وتفنيدها من خلال القرآن والسنة ومبادىء العلم الحديث.

وتتخذ هذه الدراسة المنهج النقدي التحليلي بتقديم الأدلة النقلية والعقلية لإثبات بطلان شبهات النظرية في نشأة خلق الأحياء وفسادها، إذ تبين أن إدعاءات داروين في نظريته خاصةً في نشأة الكائنات الحية تناقض القرآن والأحاديث النبوية، والعلم الحديث، وتبين كذلك عجز داروين عن الفهم الصحيح في كيفية بداية ظهور الحياة والأحياء إلى الوجود، إذ يبتعد داروين في تفسير نشأة الخلق عن الجوانب الروحية، وكذلك دلّت نظريته على أنها خالية من البحث عن غاية الخلق وهدفه، فهو يعتمد على حيوانية الأصل الإنساني، إذ يشترك كل الأحياء في نشأتها إلى أصل بدائي واحد عنده، ذلك نتيجة إنكاره لكمال قدرة الخالق وعالم الغيب، وقد اعتمد داروين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على أزلية المادة والطبيعة، حيث يعتبرها الإله القوي دون الإله الصانع جل جلاله، فوقع في تناقض ومخالفة للكتب السماوية كلها ومبادىء العلم الحديث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

# المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

أما بعد،

فإن التساؤلات عن قضية الخلق من الأمور المحيرة للبشرية منذ زمن بعيد، فهي من الأمور المستقرة في أذهان الناس عامة؛ إذ هم يتساءلون كيف نشأ العالم والكون الهائل المتسع بما يحتويه من موجودات؟ وكيف تأتي بداية الحياة؟ وكيف توجد سائر النباتات والحيوانات وتحيى في العالم؟ وكيف يتحقق وجود الإنسان وتميز بالعقل؟ وكيف نشأت حياته وكملت صورته؟

وحصل في هذه الأمور الجدل عند الفلاسفة القدماء؛ بعض الفلاسفة المسلمين والغربيين، فهم يدعون أن العالم موجود منذ زمن لا نهائي، فهو قديم أزلي، لم يبدأ بالعدم، وكذلك لم يلحقه الفناء والهلاك، وأنه ((سرمدي الوجود)) أي وجوده وجود قديم لا نهاية له، ولذلك لا يحتاج العالم إلى خالق يخلقه، وأن كل شيء ظهر في هذا الكون ما هو إلا نتيجة الصدفة، وليس نتاجاً لتصميم أو هدف أو مخطط مقصود.

ولقد شهد القرن التاسع عشر الميلادي ظهور نظريات أثرت في الحياة الإنسانية تأثيراً خطيراً وسلبياً في مسألة الخلق، إذ دعا أكثرها إلى الفلسفة المادية في تفسير نشأة الخلق، وتعد نظرية التطور والارتقاء عند داروين أخطر النظريات في مسألة نشأة الخلق؛ إذ أدخلت هذه النظرية المادية عن عمد في العلم الحديث من قبل العديد من الجهات، وفي كل جوانب الحياة اليومية، وفي السياسة والاجتماع، حتى اعتقد جماعة من الناس أنها حقيقة علمية وقبلوها قبولاً واسعاً في المعاهد، والجامعات في كل أنحاء العالم، إذ انتشرت في دنيا العلم حتى وقتنا الحالي، وفي الحقيقة، فإن هناك الكثير من الكتب الدراسية التي قبلت هذه النظرية ونشرتها كما شهدنا في بلادنا، ونجد في كتب المراحل الإنسانية للأطفال في المدارس موافقة لنظرية داروين، ولم يفعل أحد شيئاً ضدها بل قبلوها كحقيقة علمية في الكتب الطبيعية والعلوم التاريخية والفلسفية التي ندرسها في المدارس والمعاهد عندنا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولهذا السبب، أرى أنه من الواجب علينا أن نحارب نظرية داروين الزائفة، إذ يتعلق الموضوع بمسائل العقيدة والإيمان؛ لأن مضمونها يدل على نفي كمال قدرة الخالق، حيث تسعى النظرية إلى خلع إيمان الإنسان من قدرة الصانع، وتدعوه إلى تأليه المادة والطبيعة بدلاً منه درجة بعد درجة.

ولذلك، سأقوم في هذه الدراسة بعرض النظرية ثم نقدها ورد الشبهات التي أثيرت فيها عن أصل الخلق، وذلك من خلال تفنيدها عقدياً من خلال القرآن والسنة، وعلمياً من خلال مبادىء العلم الحديث، ونسأل الله تعالى أن ينفعنا بهذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه، وأن يتقبله الله قبولاً حسناً، إنه ولي التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## مشكلة الدراسة:

أحاول في هذه الدراسة تقديم الإجابة عن الأسئلة الآتية:-

أولاً: ما حقيقة نظرية داروين حول نشأة الخلق؟

ثانياً: ما موقف القرآن الكريم والسنة النبوية من نظرية داروين في نشأة الخلق؟

ثالثاً: ما موقف العلم الحديث والعلماء الإسلاميين والغربيين من هذه النظرية؟

رابعاً: ما مدى صحة أو بطلان هذه النظرية حول مسألة نشأة الخلق؟

## أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في الأمور الآتية:-

أولاً: بيان العلاقة القوية لهذا الموضوع بالعقيدة والإيمان.

ثانياً: إظهار أهمية عرض مشكلة نشأة الخلق ونقد النظريات الزائفة وعلى رأسها نظرية داروين.

ثالثاً: الرد على المستشرقين الطاعنين في الإسلام والطعن في اليهودية والمسيحية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الآتي:-

أولاً: توضيح حقيقة نظرية داروين.

ثانياً: بيان كيفية معارضة النظرية مفهوم نشأة الخلق في القرآن الكريم، والسنة النبوية، ومبادىء العلم الحديث.

ثالثاً: كشف الخلل في نظرية داروين عن نشأة الخلق، وتفنيدها بالدليل النقلي والعقلي.

رابعاً: تحذير المسلمين من هذه النظرية ودعوتهم إلى مراجعة المناهج التدريسية لحذف هذه النظرية وردها.

## الدراسات السابقة:

بعد البحث المطول في الرسائل العلمية الجامعية، توصلتُ إلى وجود ثلاث رسائل تتعلق بموضوع هذه الأطروحة حيث كتب فيها عن قضية الخلق، سواء من ناحية التفسير أو الفلسفة، وكانت تتحدث بشكل عام عن الخلق فقط أو بشكلٍ خاص عن خلق الإنسان، وهذه الرسائل هي:-

١) دراسة في ميثولوجيا الخلق لدى المؤرخين المسلمين حتى القرن الرابع الهجري، لهبة خالد أحمد سليم، سنة ٢٠٠٥م، رسالة ماجستير من جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

تناولت هذه الدراسة رؤية أربعة مؤرخين لموضوع الخلق، أي خلق السموات والأرض وما فيهما من النجوم (الشمس والقمر)، والجن، والقلم، واليابسة، والعرش، والكرسي، والجبال، والماء، والحيوانات، كما ورد فيها قصة خلق إبليس وآدم من وجهة نظر المؤرخين المسلمين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتفق هذه الرسالة مع رسالتي بأنها تناولت موضوع الخلق بشكل عام، بينما تختلف عنها بأنها تتحدث عن نشأة الخلق عند المؤرخين المسلمين فقط، بينما رسالتي تعرض هذه المسألة من خلال القرآن والسنة والعلم الحديث رداً على نظرية داروين في نشأة الخلق.

وقد أفادتني من ناحية نظر العلماء المسلمين في نشأة الخلق.

٢)- مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن الكريم، تأليف: منى رفعت ادعيس عبد الرزاق، سنة ٢٠٠٣م، رسالة ماجستير في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

تبين هذه الرسالة مراحل خلق الإنسان في القرآن الكريم، وهي دراسة تفسيرية للقرآن الكريم.

وتتفق هذه الرسالة مع رسالتي بأنها تتحدث عن خلق الإنسان في القرآن الكريم، بينما الاختلاف في أنها لم تذكر نشأة الخلق سوى ما ورد عن الإنسان من خلال القرآن والسنة النبوية والعلم الحديث، ولم تذكر عن نظرية داروين شيئاً، وهي دراسة تفسيرية لا عقدية.

وأفدت من هذه الدراسة في موضوع خلق الإنسان كما ورد في القرآن الكريم.

٣)- خلق الإنسان كما تعرضه آيات القرآن الكريم، تأليف: ضيف الله سليمان ضيف الله، سنة: ١٩٨٦م، رسالة ماجستير من الجامعة الأردنية.

تناولت هذه الدراسة التفسيرية خلق الإنسان من خلال القرآن الكريم، حيث ذكرت كلمة (خلق) و(جعل) كما وردت في القرآن الكريم، وفي الفصل الثاني تحدث عن العلم المتعلق بخلق الإنسان، ومراحل خلق الإنسان في القرآن الكريم، وتفسير آيات الخلق عند الفقهاء المسلمين، كما ذكرت تصوير خلق آدم عليه السلام، وكذلك تصوير خلق الإنسان بشكل عام، وفي الباب الثاني، ذكرت نظريات الخلق، والتي تتضمن بعضاً من نظرية التطور والنشوء قديماً وحديثاً، وأدلتها، وموقف القرآن منها، كما ذكرت أقوال العلماء الغربيين والعرب حول نظريات التطور عموماً،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك أشارت إلى اليهودية ونظرية داروين قي صورة سريعة ومختصرة، وفي نهاية هذه الدراسة تحدثت عن حكمة الخلق، أي خلق الإنسان.

أما نقاط الاختلاف، فهي أن هذه الدراسة لم تشرح حقيقة نظرية داروين في نشأة الخلق تفصيلا، فهي تختص بخلق الإنسان في القرآن فقط، بينما رسالتي تكتب عن هذه المشكلة عموماً مع الزيادة من ناحية السنة النبوية والعلم الحديث، وبخاصة عن نظرية داروين.

## منهجية البحث:

ستتبع الباحثة المنهج الوصفي القائم على:-

أولاً: **الإستقرائي:** الذي يقوم على استقراء المصادر والمراجع التي لها علاقة بالموضوع سواء كانت باللغة العربية أو الانجليزية وعرضها بشكل مرجعي موضوعي يعتمد إبراز ما يتعلق بنشأة الخلق في رؤية داروين والاسلام والعلم الحديث.

ثانياً: **التحليلي:** وذلك بملاحظة النصوص في كتب داروين وآثاره حول مسألة نشأة الخلق، وتفكيك عباراتها لادراك حقيقة نظريته في مفهوم الخلق واستخرج الشبهات والطعن داروين في هذه المسألة.

ثالثاً: **النقدي:** بإقامة الردود على الشبهات التي أثيرت داروين في نظريته، ونقدها بتقديم الأدلة النقلية والعقلية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## صعوبات البحث

واجهت ألواناً من التحديات والصعوبات خلال دراستي في الجامعة الأردنية، ولكن من أصعب الأمور علي كانت مرحلة كتابة هذه الرسالة وإتمامها، وقد من الله عز وجل علي بتجاوزها، ومن هذه التحديات، هي:-

(١) عملية كتابة ودراسة هذه الرسالة، خاصة لأنني طالبة أجنبية إذ كان علي أن أراجع قواميس اللغة العربية واللغة الإنجليزية وكذلك كتب المصطلاحات لمعرفة معانيها الصحيحة، وفهمها الفهم الصحيح لتكون في مستوى البحث والدراسة.

(٢) إختلاف نظرة المؤلفين عن هذه النظرية سواء كانت عند المسلمين أو الغربيين في كتبهم حول رأي داروين في نشأة الخلق، ولذلك رجعتُ إلى الكتب الأصلية لداروين بملاحظاتها وتجاربها لمعرفة حقيقة نظريته في نشأة الخلق.

(٣) قد عَانَيْتُ في فهم النصوص باللغة العربية الكثير في كتاب داروين (أصل الأنواع) خاصةً أنه يأتي بمفردات أو عبارات ذات مستوى عال، وكذلك عبارات علوم الطبيعة، وكذلك جاء كلام داروين بلغة معقدة، وليس هذا فحسب، فإن المشكلة هي أن المترجم لهذا الكتاب كان يدافع عن داروين في بعض الأحوال.

(٤) وكما اجهدتُ في دراسة كتاب الهام لداروين في تفسير أصل الإنسان وهو كتابه الموسوم (سلالة الإنسان وصلته من حيث الجنس)، هذا الكتاب هو باللغة الإنجليزية، وبمستوى عال، وكذلك يستخدم داروين فيه مصطلحات العلوم الطبيعة ومصطلحات صعبة، ومعقدة عدا عن الصعوبات في مطالعة كتاب داروين في (سلالة الإنسان) باللغة الإنجليزية، إذ قمتُ بترجمة عباراته المهمة في نشأة الإنسان عند مكتبة المسرة وهي المكتبة الموثوقة والمعتمدة في ترجمة المادة العلمية، إذ دفعتُ مبلغاً كبيراً في كافة ترجمتها، ولأن هذا الكتاب لم يقم أحد بترجمته إلى اللغة العربية.

(٥) كما واجهت صعوبة خلال عملية جمع المعلومات سواء كانت من الكتب العربية والإنجليزية من حيث قراءتها، وفهمها فهماً جيداً وصحيحاً، وملاحظاتها وتجاربها، واستخرج النتيجة منها ثم كتابتها، وترتيبها ترتيباً سوياً، وطبعها وكذلك ترجمة النص الهام من الكتب الإنجليزية إلى اللغة العربية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٦) وكما عملتُ على جمع الآيات القرآنية وكتب التفاسير المهمة للرد على شبهات داروين، وبالنسبة إلى الأحاديث رجعت إلى كتب الصحاح والسنن، وقد كانت صعبة علي في تخريج الأحاديث، لأنني لستُ خبيرةً في ذلك، ورجعت إلى الدكتور المشرف، وإلى كتب الأحاديث في المكتبة، وأخذتُ وقتاً طويلاً في عملية تخريج الأحاديث.

(٧) وكذلك، صويتُ الكثير من الأخطأ من الناحية اللغوية، ولذلك استعنتُ بالدكتور المشرف عطاالله للتدقيق اللغوي، حتى تكون الرسالة خالية من أي خطأ لغوي.

(٨) قلة المراجع سواء كانت باللغة العربية أو الإنجليزية التي تتحدث عن نظرية داروين في أصل الكون والحياة.

(٩) فقد احتجت إلى مراجعة المصادر المتعلقة بعلوم أخرى غير العقيدة كاللغة، والتفاسير، والأحاديث، وعلوم الطبيعة، وكتب الأحياء، إلخ..ويقتضي هذا مضاعفة الجهد في أبحاث تتعلق بعلوم بعيدة عن اختصاصي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

**خطة البحث:**

تضمنت هذه الرسالة مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة:

أما **المقدمة:** ففيها التعريف بالدراسة، ومشكلة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث، وخطته.

أما **الفصل التمهيدي**: فعن داروين حياته وعصره وتحته مبحثان، المبحث الأول عن حياة داروين، وفيه مطلبان؛ المطلب الأول: حياته الشخصية، والمطلب الثاني: حياته العلمية، ثم المبحث الثاني عن عصر داروين، وفيه مطلبان؛ المطلب الأول: موقف الكنيسة المسيحية، والمطلب الثاني: موقف اليهود.

ثم جاء بعد ذلك **الفصل الأول**: تحت عنوان نظرية داروين في نشأة الخلق، يتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث، المبحث الأول: مفهوم الخلق عند داروين، حيث يتحدث عن تعريف داروين لنشأة الخلق، وبيان عوامل التطور والارتقاء عنده، أما المبحث الثاني، فيتكلم عن أصل الموجودات عند داروين الذي يشتمل على مطلبين؛ المطلب الأول: الكون، والمطلب الثاني: نشأة الحياة، والمبحث الثالث يناقش أصل الكائنات عند داروين، ويتضمن ثلاثة مطالب: النبات، الحيوان، والإنسان.

و**الفصل الثاني،** جاء تحت عنوان نقد نظرية داروين، ويشتمل على مبحثين؛ المبحث الأول: موقف القرآن الكريم والسنة النبوية، وتحته مطلبان؛ المطلب الأول: النقد من خلال القرآن الكريم، والمطلب الثاني: السنة النبوية، أما المبحث المبحث الثاني؛ فيبرز موقف العلم والعلماء من نظرية داروين، وفيه مطلبان؛ المطلب الأول: موقف العلماء المسلمين، أما المطلب الثاني: فموقف العلماء الغربيين.

ثم ختمتُ الدراسة **بالخاتمة،** التي فيها أهم النتائج مع التوصيات.

وبعد، فإني لم أدخر جهداً ممكنا في سبيل إخراج هذا البحث بأكمل صورة، فما أصبت فيه فهو توفيق من الله عز وجل، وما أخطأت فيه فهو تقصير مني، وأسأل الله تعالى أن ينفعنا جميعاً، والحمد لله رب العالمين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

# الفصل التمهيدي

# داروين: حياته وعصره

## المبحث الأول: حياة داروين

المطلب الأول: **حياته الشخصية**

المطلب الثاني: **حياته العلمية**

## المبحث الثاني: عصر داروين

المطلب الأول: **موقف الكنيسة المسيحية**

المطلب الثاني: **موقف اليهود**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

# الفصل التمهيدي

## داروين: حياته وعصره

لقد ذُكرت شخصية داروين وحياته في كثير من الكتب والموسوعات والمعاجم؛ لأن هذا الرجل هو أحد علماء التاريخ، وقد طبقت شهرته الآفاق، فمن خلال الملاحظة، كان بعض الدارسين لشخصيته يمجدونه ويثنون عليه، بينما كان آخرون يتأثرون به، ففي كتاب "علماء بارزون" مثلاً، وصفه جورج خوري سمعان بأنه قد اخترع علماً جديداً بعد طول الاستمساك بالقوانين الدينية، حيث يقول: "فقد حرر داروين العقل البشري من قيود الجهل، كما حرر لنكولن الجسم البشري من أغلال العبودية"[١]، ووافقه سلامة موسى الذي ظن بأن داروين قد أعطى لنا علماً جديدا، و مذهباً دينياً، حيث يقول "نستطيع أن نقول إنه أكسبنا فهماً جديداً للطبيعة والكون والإنسان، و زودنا بمنهج التفكير الذي لم نكن نعرفه من قبل"[٢].

وهناك بعض العلماء الذين ينتقدون داروين ويعادون نظريته في نشأة الخلق، وهناك من تحدث عنه بدون إفراط ولا تفريط.

وفي هذا الفصل، سنتحدث بدايةً عن شخصية داروين من ناحية حياته وعلمه، وعصر داروين وموقف الكنيسة المسيحية واليهودية الصهيونية منه.

---

[١] **سمعان**، جورج خوري، **علماء بارزون**، ط١، المطبعة الاقتصادية- عمان،١٩٦٢م، ص: ٤٠.

[٢] **موسى**، سلامة، **هؤلاء علموني**، ط٣، سلامة موسى للنشر والتوزيع، ١٩٦٥م، ص: ٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

# المبحث الأول: حياة داروين

## المطلب الأول: حياته الشخصية

أولاً: **اسمه ونسبه:**

هو تشارلز روبرت داروين، عالم انجليزي من علماء التاريخ الطبيعي، خامس أولاد روبرت واردج داروين، وثاني أبنائه من زوجته سوزانة ودجوود[١]، وهي ابنة جوشايا ودجوود الأول، الخزاف المشهور[٢]، وكان أبوه طبيباً نابهاً موثوقاً به[٣]، كما كان جده أرازموس داروين طبيباً وشاعراً وعالماً في التاريخ الطبيعي[٤].

ثانياً: **ولادته:**

ولد تشارلز داروين في ١٢ من فبراير سنة ١٨٠٩م في (شوزبري)، غرب إنجلترا[٥]، وكان داروين من سكان لندن، وفي سنة ١٨٤٢م انتقل منها وهاجر إلى منطقة (داون)، وبقي مقيماً فيها حتى توفي.[٦]

---

[١] انظر: داروين، تشارلز، **أصل الأنواع**، د.ط، (ترجمة: إسماعيل مظهر)،مكتبة النهضة، بيروت- بغداد، ١٩٧٣م، ص: ٦٢.

[٢] انظر: بقطر، جوزيف، **أشهر العلماء واكتشافاتهم**، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ٢٠٠٦م، ص: ٢١٧.

[٣] انظر: داروين، **أصل الأنواع**، ص: ٦٢.

[٤] انظر: كين، فيليب، و نينسون، صمويل، **عمالقة العلم**، د.ط،(ترجمة: جلال مظهر، مراجعة: محمد عاطف البرقوقي)، النهضة العربية- القاهرة، ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر- نيويورك، مايو ١٩٦٣م، ص: ٩٣.

سلستي، جورج، **عباقرة العلم في الغرب**، د.ط، دار العلم، ص: ١٦٥-١٦٦.

سمعان، **علماء بارزون**، ط١، ص: ٤٠.

البستاني، بطرس، (ت١٨٨٣م)، **دائرة المعارف**، د.ط، م٧، دار المعرفة، بيروت- لبنان، د.ت، ص: ٥٤٧.

بدوي، د. عبد الرحمن، **موسوعة الفلسفة**، د.ط، ج١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص: ٤٧٣-٤٧٤.

[٥] انظر:كين، ونينسون، **عمالقة العلم**، ص: ٩٣.

[٦] انظر: باشميل، محمد أحمد، **الإسلام و نظرية داروين**، ط١، مطبعة محمد أحمد باشميل- بيروت، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، في الهامش، ص: ٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً: **نشأته**

تحدث بعض العلماء بأن أمه قد ماتت وهو في الثامنة من عمره، وقامت شقيقته الكبرى (كارولين) بتربيته وحفظه منذ ذلك الوقت، حيث ذكر (بقطر) "أنها غرست فيه الروح الإنسانية"[١]، وكانت هوايته منذ صغره هو الأختام والعملة والبلى والمعادن، وهذه كما يقول بعض العلماء: "هي مقدمات لكي يصبح عالماً في التاريخ الطبيعي[٢]"، أما في كتاب (أصل الأنواع) المترجم، فقد وصفه الدكتور إسماعيل مظهر بأنه كان في صباه نشيطاً ذا بسطة في الجسم والعقل، و كان يتمتع بقدرة عقلية لا تمل من التأمل في الأشياء، فلا ينتابها التراخي، كما تأفف من النظر في مشكلات العلم والحياة من زاوية واحدة، حيث إن داروين كان كثير الإكباب على النظر في كل ما يستهويه إطلاقاً ومن غير تحديد لموضوع أو شيء، وكذلك كان ذا قدرة على متابعة العمل مهما كان شاقاً، وقد درس الكيمياء مع أخيه الأكبر في معمل صغير، إلا أن هذا لم يصرفه عن متابعة الآداب[٣].

وكان داروين قد نشأ في بيئة علم بين عائلته، إلا أنه كان يُعد بليداً بين هذه الأسرة حيث قال له أبوه: "أنت لا تصلح إلا للصيد والاهتمام بالكلاب وإمساك الفئران وسوف تكون سبة لنفسك و لعائلتك"[٤]، وذلك لأنه انصرف عن دراسته إلى الصيد والألعاب الرياضية، واستغرق في ذلك طويلاً، فقد غفل أبوه عما في ابنه من صفات النبوغ كافة.[٥]

إذ على الرغم من رأي والده فيه إلا أنه كان متميزاً في فن الملاحظة، ولقد قال داروين: "أعتقد أنني متفوق على الرجال العاديين من حيث ملاحظة الأشياء التي يخطئها الانتباه بسهولة، ومن حيث ملاحظتها بعناية كبيرة"[٦]، وبغض النظر، كان داروين يحب حباً شديداً جميع أنواع الحيوانات والحشرات فقد "كان في صباه لطيفاً محباً للتأمل وقوى الملاحظة لكل ما حوله، وكان

---

١ بقطر، **أشهر العلماء واكتشافاتهم**، ص: ٢١٧.

٢ المصدر نفسه، ص: ٢١٧.

٣ انظر: داروين، **أصل الأنواع**، ص: ٦٤.

٤ بقطر، **أشهر العلماء واكتشافاتهم**، ص: ٢١٧.

وانظر: موسى، **هؤلاء علموني**، ط٣، ص: ٤٣.

٥ انظر: داروين، **أصل الأنواع**، ص: ٦٦.

٦ كين، ونينسون، **عمالقة العلم**، ص: ٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحب أن يجمع ويدرس جميع أنواع الحصى والأصداف و بيض العصافير والأزهار والحشرات"[١].

فقد اتجه اهتمام داروين في صباه حتى الشباب إلى خارج منزله، حيث ظهرت هوايته في الرياضة، كما أنه امتاز في ركوب الخيل، والمشي وتسلق الجبال، وكذلك مارس الصيد وقد اختص داروين بعلوم الجيولوجيا أو علم طبقات الأرض، والبيولوجيا أو علم الحياة[٢].

وهكذا تغيرت حياة داروين فأصبح شخصاً مشهوراً بعد رحلته في سفينة ((بيجل))[٣] خلال الخمس سنوات التي بدأت في سنة ١٨٣١م.

رابعاً **: وفاته:**

توفي داروين سنة ١٨٨٢م، في فجر يوم الأربعاء، أي ١٩ من شهر إبريل (نيسان)[٤]، ولم يُعرَف سبب موته، فقد أصيب بأمراض متعددة بعد عودته من الرحلة ((البيجل))، وقد ترك بعده زوجة وخمسة أولاد وبنتين،[٥] وفي رواية أخرى قيل: "إنه أنجب عشرة أطفال من زوجته (إيمي) في حياته حيث مات ثلاثة منهم، وبقي لهما ثلاثة أولاد وأربع بنات[٦]".

---

[١] سمعان، **علماء بارزون**، ط١، ص: ٤٠.

[٢] انظر: لجنة الرواد والمشاهير معد، **داروين: حياته ورحلته على البيجل**، د.ط،(مراجعة: د. رؤوف سلامة موسى)، دار و مطابع المستقبل- القاهرة، ومؤسسة المعارف للطباعة والنشر- بيروت، ١٩٨٣م، ص: ٦.

[٣] (بيجل) هو اسم يطلق على سفينة البحوث البريطانية، ولم تكن السفينة ضخمة، فإن طولها لم يزد على ثلاثين متراً، وحمولتها على ٢٤٢ طنا، و لكنها من أفخر السفن في ذلك الزمان من حيث بناؤها وتجهيزها، فقد كانت أخشابها وأثاثها من أخشاب الماهوجني وعنابرها وأشرعتها وأجهزتها العلمية من أكفأ الأنواع، وكانت تحمل عشرة مدافع، وقد زود السفينة باثنين وعشرين كرونومترا من مختلف الأصناف والأحجام، وكانت معاملها قد جهزت بالمناضد،والميكروسوبات،وآنية حفظ العينات والمحاليل، إلى غير ذلك مما قد يلزمها في رحلتها الطويلة. (انظر: لجنة الرواد والمشاهير معد، **داروين: حياته و رحلته على البيجل**، ص: ١٣).

[٤] انظر: صروف، يعقوب، **أعلام المقتطف**، ج١، (نامر فارس م. مشارك)، مجلة المقتطف- القاهرة، د.ت، ص: ١١٧.

[٥] المصدر نفسه، ص: ١١٧.

[٦] لجنة الرواد والمشاهير معد، **داروين : حياته ورحلته على البيجل**، ص: ٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتحدث بعض المؤرخين عن يوم موته، حيث:"احتفل الإنكليز بجنازته ودفنه احتفالاً فخماً، ودفنوه في دير "ويستمنستر"[١] مدفن مشاهير الإنكليز وكبار علمائهم وجعلوا قبره بجانب قبر (السير وليم هرشل) الفلكي الشهير على مقربة من قبر نده شيخ الفلاسفة اسحق نيوتن"[٢].

## المطلب الثاني: حياته العلمية.

أولاً: **طلبه العلم :**

بدأ داروين علومه الأولى في مدرسة (شروزبري) سنة ١٨١٨م تحت رعاية الدكتور صمويل بتلر[٣]، وكان عمره في ذلك الوقت تسع سنين، وتكاد تكون دراسته في تلك الفترة مقصورة على اللغات الكلاسيكية[٤] فكان يشكو دائماً بأنه متعب من هذه المواد، فلم يكن طالباً مجتهدا فيها[٥]، ثم أدخله أبوه الجامعة في (أدنبرة) لدراسة الطب، كما كان أبوه وجده، ولكنه لم يلبث هناك إلا سنتين، لأنه لا يحب علم الجراحة، وقد فشل داروين في تذوق هذه الدراسة، وكان طالباً ضعيفاً فيها،فقد اهتم كثيراً بالجلسات التي كان يعقدها الطلبة للمناقشة، وبخاصة تلك المناقشات التي تدور حول مسألة أصل الحياة وكانت تعد من أحسن موضوعات البحث في تلك الأيام، وقد قضى داروين سنتين من الزمن في دراسة الطب حتى أخرجه أبوه منها؛لأنه لم يكن صالحاً للطب[٦].

ثم دخل داروين مدرسة (كمبرج) لدراسة اللاهوت[٧]، لإعداده ليتخرج راعياً من رعاة الكنيسة، فحصل داروين على مؤهل لاهوتي وهو في الثانية والعشرين من عمره، ولكنه لم يرغب

---

[١] يقع دير "ويسمنستر آبي" في لندن.

[٢] صروف، **أعلام المقتطف**،ج١، ص: ١١٧.

[٣] انظر:فرج زين الدين، د.حسين، و لطفي، د.رمسيس، **دراسات في علم الحيوان ورواد التاريخ الطبيعـي**، د.ط، دار المحامي للطباعة ودار الفكر العربي- القاهرة، د. ت، ص: ٣٨٦.

[٤] انظر: المصدر نفسه، ص: ٣٨٦.

[٥] انظر: بقطر، **أشهر العلماء واكتشافاتهم**، ص: ٢١٧.

[٦] انظر: كين، ونينسون، **عمالقة العلم**، ص: ٩٣.

[٧] انظر: كرم، يوسف، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، ط٤، دار المعارف- مصر، ١٩٦٦م، ص: ٣٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في العمل راعياً للكنيسة[١]، فإنه خلال هذه المدة ظل يواصل دراسة العلوم الطبيعية (الحيوان والنبات) والجيولوجيا[٢]، وفي الوقت نفسه كان يتعرف على عالم النبات (جون ستيفنز هنسلو) الذي أثر على داروين وحرك رغبته واهتمامه في التاريخ الطبيعي مما أعطاه الثقة بنفسه[٣].

وقد تحدث بعض المؤرخين عن ذلك إذ: "بدأ داروين خلال الأعوام الاثنين والعشرين الأولى من حياته، وكأنه سوف يحقق نبوءة والده، حيث قال: لست تهتم بشيء إلا الصيد والكلاب واقتناص الجرذان، ولسوف تلحق العار بنفسك ولعائلتك، إنه لم يتعلم شيئا البتة في مدرسة الدكتور بتلر في شروزبري، كما انسحب من دراسته في أدنبره، ولم يكن إلا تلميذاً عادياً للاهوت في كلية المسيح بجامعة كمبرج، لقد كان اهتمامه الوحيد خلال تلك السنين منصباً على جمع الحشرات وعلى الصيد، إلا أن شخصيته الجذابة أدت به في كمبرج إلى الاختلاط ليس بالحلقات الرياضية فحسب، بل إلى مجالسة عدد من كبار أعضاء هيئة التدريس، وخاصة الأستاذ (جون هنسلو) الذي كان لمحاضراته في علم النبات فضل إثارة اهتمام داروين بالتاريخ الطبيعي، وقد كان هنسلو هو السبب في اختيار داروين ليكون العالم الطبيعي في تلك الرحلة حول العالم التي قامت بها السفينة الحربية بيجل"[٤].

ويعتبر جون هنسلو من أهم الشخصيات التي رشحت داروين للقيام بالرحلة؛لأنه هو الذي قدمه إلى الكابتن (فيتزروي) قائد السفينة (بيجل)[٥]، ولكن (فيتزروى) لم يعجب بداروين، إلا بعد التقائه بـ(هنسلو) مرة ثانية فطلب (هنسلو) الثقة به، فقبل (فيتزروى) أن يصحبه داروين في رحلته.[٦]

لقد أعطى (هنسلو) داروين كثيراً من المعارف في التاريخ الطبيعي عامة، فلم يكن (هنسلو) أستاذاً ومعلماً فحسب بل هو صديق خالص لداروين، قال الدكتور إسماعيل مظهر : "وفي وقت قصير تحولت علاقة داروين به إلى صداقة خالصة، لم تنته إلا بوفاة (هنسلو) في سنة

---

[١] انظر: كين، ونينسون، **عمالقة العلم**، ص: ٩٣-٩٤.

[٢] انظر: بدوي، **موسوعة الفلسفة**، ج١، ص: ٤٧٣.

[٣] انظر: بقطر، **أشهر العلماء واكتشافاتهم**، ص: ٢١٨.

[٤] انظر: أ.كاردينر و أ. بريبل، **هؤلاء درسوا الإنسان**، د.ط، (ترجمة : الـدكتور أمـين الـشريف)، دار اليقظـة العربية، بيروت- ومؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر- نيويورك، ١٩٦٤م، ص: ١٥-١٦.

[٥] انظر: كين، ونينسون، **عمالقة العلم**، ص: ٩٤.

[٦] انظر: لجنة الرواد والمشاهير معد، **داروين: حياته ورحلته على البيجل**، ص: ١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٨٦١م، فلم يسع داروين إلا أن يذكره و يشيد بعلمه، وكان قد تربع على قمة المجد بعد صدور ((أصل الأنواع)) في سنة ١٨٥٩م، فقد ذكره بقوله: ((أستاذي القديم العزيز في العلم الطبيعي))"،[١] وبالإضافة لأستاذه(هنسلو)،هناك شخص آخر اصطحب داروين في علم الجيولوجيه وهو الأستاذ (سدجويك)، فبواسطته استطاع داروين أن يجمع الكثير من العلم العملي بالجيولوجية، وكان ذلك من أسس نجاحه في مقتبل أيامه[٢].

ثانياً: **رحلته العلمية على سفينة ((بيجل)):**

في عام ١٨٣١م، كان داروين يشترك في رحلة علمية حول الأرض التي طالت حوالي خمس سنين على سفينة بيجل، حيث غادرت السفينة من ميناء (ديفورنبوت) في الطرف الجنوبي الغربي لإنجلترا في ديسمبر ١٨٣١م[٣]، وكان داروين قد استعد قبل بداية الرحلة فحمل معه آلات الرحلة؛ ميكروسكوبه الخاص، ومنظاره المقرب، وعصاه الجيولوجية، كما أحضر معه مسدسه، والإنجيل المقدس، وثلاث مجموعات من الكتب الهامة، وهي كتاب للرحالة الألماني (فون همبولدت)، والثاني كتاب شعري للمتون، والثالث هو الجزء الأول من كتاب الجيولوجي البريطاني (سير تشارلس لايل) وعنوانه (مبادىء الجيولوجيه) وهو كتاب عن أساسيات علم الجيولوجيا، ويعتبر من الكتب الأساسية في هذا العلم.[٤]

وجد داروين على ظهر هذه السفينة ما يؤهله للبحث والدرس والتأمل ما لم يزود به عند دراسته في مدرسة (شروزبري) وفي (أدنبرة) وكذلك (جامعة كمبرج) من قبل[٥].

وكان على البيجل عند إبحارها ٧٤ بحاراً و راكباً ما عدا (فيتزروى) وداروين، فهناك ملازمان، ومهندس، وطبيب ومساعده، وضابط مالي، وضابط إداري، ورسام، وقسيس، وإلى جانب هؤلاء ثمانية عشر مساعدا، وكاتب ونجار، وأربعة وثلاثون بحاراً، وستة صبية، وثلاثة من (الفوجيين) الذين قد أحضرهم (فيتزروي) معه إلى انجلترا بعد زيارته السابقة لبلادهم، فأقاموا

---

[١] مقدمة المترجم، **أصل الأنواع** لداروين، ص: ٧٠-٧١.

[٢] انظر: المصدر نفسه، ص: ٧١.

[٣] انظر: لجنة الرواد والمشاهير معد، **داروين: حياته ورحلته على البيجل**، ص: ١٣.

[٤] المصدر نفسه، ص: ١٣-١٤.

[٥] انظر: مقدمة المترجم، **أصل الأنواع** لداروين، ص: ٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معه عاماً ثم أعادهم إلى موطنهم خلال هذه الرحلة[١]، فكل هؤلاء اشتركوا في هذه الرحلة حول العالم التي قام بها القائد (فيتزروى).

وخلال الرحلة كان داروين يجمع العينات والمواد من البر والبحر عن أسرار عالم الحيوان والنبات، ويضع ملحوظاته عليها بعد عودته إلى انجلترا[٢]، ويعمل التجارب حتى توصل إلى نظرية النشوء والارتقاء، قال عنه يوسف كرم: "قضى بعد ذلك زهاء ربع قرن يستكمل ملاحظاته وتجاربه حتى أخرج النظرية، وقضى زهاء ربع قرن آخر يدعمها ويجادل عنها ويعالج في ضوئها ما يعرض له من مسائل"[٣]

أما جزر((كيب فيردي)) فأول دراسته فيها كانت عن البركان، ومنه تمكن من اختبار كتاب((مبادئ الجيولوجيا)) لمؤلفه (تشارلز لايل) الذي يقول بأن القوانين الطبيعية تعمل دائماً بدون تغير على مدار السنين[٤].

وفي البرازيل، رأى داروين لأول مرة غابة استوائية، وكذلك في الأرجنتين وجد أول الحفريات أو المتحجرات (Fossils)، وحيوان الماستودون- وهو حيوان يشبه الفيل-والخيول، وحيوان الكسلان (Sloth)، ثم في ((تيرا دل فوجو)) رأى جنساً من البشر المتوحش، ليس لهم أي اعتقادات وأحياناً يأكلون لحم البشر، وكان قد أرسل ثلاثة منهم لإنجلترا لثلاث سنوات، وقد أعجب بهم داروين؛ لأنه في مدة زمنية عمل على تحولهم من إنسان متوحش إلى إنسان عادي، ولكن عندما عادوا إلى وطنهم، تغيروا بسرعة إلى أصلهم المتوحش[٥].

وفي شيلي، حدث زلزال، ولاحظ داروين ما فعله في رفع منسوب الأرض وارتباطه بالثوران البركاني، وعند نزوله إلى الشاطئ كرر تجربته في ركوب الخيل ومواصلة الصيد وجمع مختلف الأحجار والثمار ونحوها[٦].

ثم عادت السفينة إلى البرازيل مرة أخرى، وذلك لمراجعة مقاييس الزمن وهي من أهم أهداف الرحلة، وقد وصلت السفينة إلى إنجلترا و رست في ((فالموث)) في ٢ اكتوبر ١٨٣٦م.[٧]

---

[١] انظر: لجنة الرواد والمشاهير معد، **داروين: حياته ورحلته على البيجل**، ص: ١٤.

[٢] انظر: بقطر، **أشهر العلماء واكتشافاتهم**، ص: ٢١٩.

[٣] كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، ص: ٣٥١.

[٤] انظر: بقطر، **أشهر العلماء واكتشافاتهم**، ص: ٢١٩.

[٥] انظر: المصدر نفسه، ص: ٢١٩.

[٦] بقطر، **أشهر العلماء واكتشافاتهم**، ص: ٢١٩.

[٧] انظر: المصدر نفسه، ص: ٢٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم عاد داروين إلى وطنه من الرحلة مريضاً، يشكو من صداع مستمر وغثيان، وقد عاش داروين حتى جاوز السبعين، ولكنه لم يرحل ثانية قط.[١]

ولاحظ داروين العينات بعد عودته إلى إنجلترا، فكانت ملحوظاته من خلال الرحلة كما قال بعض العلماء:" أساساً لمؤلفاته التي أيد بها القول بنظرية النشوء والإرتقاء".[٢]

ثالثاً: **ثقافته ومؤلفاته**

إن أول مؤلفات داروين عن نظرية التطور كتاب أصل الأنواع الذي أصدره في سنة ١٨٥٩م[٣]، فقد فسر داروين في هذا الكتاب عمليات الانتخاب الصناعي الذي يمارسه الإنسان والانتخاب الطبيعي الذي يتم نتيجة للتنازع على البقاء[٤]، وما إلى ذلك من العوامل التي تؤدي إلى التطور، وكذلك يتحدث فيه عن قوانين التغير وأسباب التحولات التي تنشأ من غير الانتخاب الطبيعي، ويقدم في آخر كتابه هذه الدلائل عن نظرية التطور[٥].

ثم أصدر بعد ذلك كتاب تغير الحيوان والنبات في حال الدجن في عام ١٨٦٨م[٦]، فهذا الكتاب يعتبر التالي في الأهمية بعد كتاب أصل الأنواع، ويعد وصفاً تفصيلياً شاملاً للمادة العلمية التى ركزها في الفصل الأول من كتاب أصل الأنواع[٧]، فقد ورد فيه كثير من الملحوظات غير المترابطة، وركّزها في الفرض الذي وضعه وأطلق عليه اسم وحدة التناسل، وحاول به إيجاد تفسير لظواهر الوراثة والتباين أي بإلغاء الاختلافات[٨].

ثم ظهر في عام ١٨٧١م كتابه الموسوم تسلسل الإنسان والإنتخاب الطبيعي[٩]، فطبق فيه نظريته على الإنسان، كما عالج بمقتضاها مسائل نفسية في كتاب التعبير عن الإنفعالات في

---

١ كين، ونينسون، **عمالقة العلم**، ص: ٩٦. انظر:

٢ باشميل، **الإسلام و نظرية داروين**، ص: ٢٠.

٣ انظر: كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، ص: ٣٥١.

٤ انظر: زين الدين، ولطفي، **دراسات في علم الحيوان ورواد التاريخ الطبيعي**، ص: ٣٩٣.

٥ انظر: المصدر نفسه، ص: ٣٩٥.

٦ انظر: كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، ط٤، ص: ٣٥١.

٧ انظر: زين الدين، ولطفي، **دراسات في علم الحيوان ورواد التاريخ الطبيعي**، ص: ٣٩٥.

٨ المصدر نفسه، ص: ٣٩٦.

٩ انظر: كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، ص: ٣٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإنسان والحيوان في عام ١٨٧٢م[١]، وفيه قدم تفسيرات طبيعية للظواهر التي بدت كعقبات في سبيل قبول نظرية التطور.[٢]

وكذلك كتب داروين كثيراً من الكتب والأبحاث العلمية الأخرى، ومن أهمها[٣]:-

١)- مذكرات رحلة حول العالم، الذي صدر في عام (١٨٤٢م).

٢)- مشاهدات جيولوجية في أمريكا الجنوبية (١٨٣٦م).

٣)- موسوعة هدبيات الأقدام (١٨٥٦م).

٤)- تلقيح زهر الأكيديا بواسطة الحشرات (١٨٦٢م).

٥)- الحركة في النباتات المتسلقة و عاداتها (١٨٦٥م).

٦)- النباتات آكلة الحشرات (١٨٧٥م).

٧)- تسميد البساتين (١٨٨٠م).

رابعاً: **عقيدته ومذهبه:**

ذهب بعض العلماء والباحثين إلى أن داروين كان في حياته يؤمن بالعقيدة المسيحية، وأنه يعتقد بالخلق المستقل، حيث يقول بعض العلماء بأنه كاد في شبابه قريباً أن يصبح من رجال الكنيسة، وكان يؤمن بالعقائد الدينية ويقبلها دون أي نقد أو تمحيص بما في ذلك العقيدة التي تقول بأن أنواع الأحياء الموجودة على قيد الحياة ما هي عليه لم تقبل أي تغيير منذ بدء الخليقة[٤].

ولكن ملحوظاته وتجاربه خلال رحلة البيجل حول العالم بدأت تتعارض مع هذا الاعتقاد،"فقد استرعى انتباهه العلاقة القوية بين أنواع الحيوانات التي تعيش فوق جزر معينة وتلك التي تعيش على أقرب القارات لتلك الجزر، وكذلك العلاقة بين الحيوانات الموجودة على قيد الحياة في بقعة معينة وبين تلك التي بادت حديثاً وعثر على حفرياتها في نفس البقعة"[٥].

---

[١] انظر: المصدر نفسه، ص: ٣٥١.

[٢] انظر: زين الدين، و لطفي، **دراسات في علم الحيوان ورواد التاريخ الطبيعي**، ص: ٣٩٧.

[٣] انظر: الشحات، على أحمد، وكمال طلبة، د. مصطفى، **نظرية التطـور بـين العلـم والـدين**، د.ط، مؤسـسة الخانجي- القاهرة، د.ت، ص: ٣٣.

[٤] انظر: زين الدين، ولطفي، **دراسات في علم الحيوان و رواد التاريخ الطبيعي**، ص: ٣٩٠.

[٥] المصدر نفسه، ص: ٣٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعتقد بعض العلماء، أن تلك الملحوظات هي أول تغيير لفكرة داروين إلى الفكرة القائلة بأن "هذه الأنواع وتلك ليست متماثلة وإنما توجد بينها قرابة وثيقة تؤدي إلى التغيير والتحور"[١].

وكما يتحدث به داروين في كتابه فإنه لم يرتح لعقيدة الخلق المستقل، مما زعزع عقيدته وأدى إلى تغييرها حيث قال: "لما كنتُ على ظهر البيجل، مضيت أعتقد في ثبات الأنواع، و لكن على قدر ما تعى ذاكرتي، كانت تساورني شكوك غامضة إزاء ذلك بين آونة وأخرى، ولما عدتُ إلى الوطن في خريف سنة ١٨٣٦، عكفت بلا تردد على إعداد مذكراتي العلمية لتنشر، فآنست إذ ذاك كثيراً من الحقائق التي تؤيد تحول الأنواع وتسلسل بعضها من بعض، وبدأت في شهر يوليه سنة ١٨٣٧ في تدوين الحقائق التي قد يكون لها صلة بهذا الموضوع، لكني لم أقتنع بأن الأنواع كائنات متحولة، قبل مضي عامين أو ثلاثة أعوام على ما أتذكر."[٢]

وشرح إسماعيل مظهر في هذا الكتاب نفسه أن داروين كان على مذهب مادي، ولكنه لم يكن مادياً كلياً، وإنما جزئياً فحسب، حيث يقول:"كان مذهب داروين انتصارا للمادية الصرفة، ولكنه انتصار لم يكن حاسماً ولم يكن قاطعاً"[٣]، وفي قوله: "فلم يكن انتصار المادية انتصاراً حاسماً قاطعاً بل كان انتصاراً جزئياً، لم يتجاوز أنه تفسير لبعض وجوه من خصيات المادة، تناول داروين منه ناحية المادة الحية، أي المادة بعد أن دبت فيها الحياة، ولكن ما الحياة؟ ذلك هو سر الأسرار".[٤]

وبُني مذهب داروين على فكرة لامرك[٥] في التطور والنشوء التي ذكرها في كتابه (فلسفة الحيوان) في سنة ١٨٠٩م، كما اعتمد على فكرة تشارلز ليل[٦] في كتابه (مبادئ الجيولوجية) الذي

---

[١] المصدر نفسه، ص: ٣٩٠.

[٢] **داروين، أصل الأنواع**، ص: ٧٧.

[٣] مقدمة المترجم، **أصل الأنواع** لداروين، ص: ٥٩.

[٤] المصدر نفسه، ص: ٥٩.

[٥] هو جان باتيست لامرك، عالم نباتي وبيولوجي فرنسي، ولد سنة ١٧٤٤، درس الظواهر الجوية وعلم النبات،لـه كتاب في نباتات فرنسا في ثلاث مجلدات، ومن أهم كتابه (فلسفة الحيوان) صدر في باريس سنة ١٨٠٨، وكتـاب (تـاريخ الفقاريات الطبيعي)، وله مذهب في التطور العضوي يقول بأن التغيرات التي تكتسبها المتعضيات خـلال حياتهـا تنتقل بالوراثة إلى الذرية، علاوة على قانون الاستعمال والإهمال بالنسبة لأعضائها، وتوفي لامرك سنة ١٨٢٩م.

[٦] تشارلز لايل هو عالم جيولوجي بريطاني، ولد سنة ١٧٩٧م،قام بالاشتراك مع(د.هـ. وكر) بالاطلاع على أفكار كل من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نُشر في لندن، سنة ١٨٠٣-١٨٣٣م، فوضع داروين على رأيهما أساس فكرته، ثم قام بتجارب عديدة وسجل مشاهدات دقيقة عن أحوال الحيوان والنبات في مختلف المناطق التى زارها؛ مما أدى به إلى الأخذ بفكرة التحول في أنواع الحيوان والنبات، وكذلك إلى القول بالإنتخاب الطبيعي[١].

ثم طبق داروين ما ذهب إليه ((مالثوس))[٢] من أن وسائل البقاء تتناقص كلما تزايد الحيوان، فقال داروين أن الحيوان يتنازع البقاء بعضه بعضاً، فيحدث عن ذلك انتخاب طبيعي حيث تكون الغلبة فيه للحيوان المزود بغرائز وأعضاء أو أقدر على التكيف فيجعله ذلك أقدر على البقاء، فهذا الإصطلاح قد استعمله ((هربرت سبنسر))[٣] الذي يقول "ببقاء الأقدر على التكيف" في سنة ١٨٠٢م[٤].

---

(داروين) و (والاس)، وتشجيعهما على نشر نظريتهما وربما يكونا قد قاما بمهمة إعدادها بالاشتراك مع آخـرين، من أشهر كتبه (مبادىء الجيولوجية)(١٨٣٠) نقض فيه مذهب (النكات الجيولوجية) وأقام مذهبه في هذا العلم على أساس التطور التدريجي، انتخب سنة ١٨٥٠ رئيساً للمجمع الجيولوجي ورئيساً لجماعة تقدم العلوم البريطانية فـي سنة ١٨٦٤، وتوفي لايل سنة ١٨٣٠.

[١] انظر: بدوي، **موسوعة الفلسفة**، ج١، ص:٤٧٣.

[٢] هو توماس روبرت ملتوس، عالم اقتصاد وقسيس انجليزي، ولد سنة ١٧٦٦م، وتوفي ١٨٣٤م، ومـن مؤلفاتـه (بحث في مبدأ السكان) وصاغ فيه نظريته حول السكان والتي ثارت ضجة كبيرة حيث ورد فيها أن الرجل الـذي ليس له من يعيله والذي لا يستطيع أن يجد له عملاً في المجتمع سوف يجد أن ليس له نصيباً مـن الغـذاء علـى أرضه فهو عضو زائد في وليمة الطبيعة حيث لا صحن له بين الصحون فإن الطبيعة تأمره بمغادرة الزمن.

[٣] هربرت سبنسر هو فيلسوف بريطاني، ولد سنة ١٨٢٠م، وهو مؤلف كتاب (الرجل ضد الدولة). كان سبنسر، وليس داروين، هو الذي أوجد مصطلح (البقاء للأصلح ) رغم أن القول ينسب عادة لداروين، وقد ساهم سبنسر في ترسيخ مفهوم (التطور)، واعطى له بعداً اجتماعيا، فيما عرف لاحقاً ب(الدارونية الاجتماعية).و هكذا يعد سبنسر واحدا من مؤسسي علم الاجتماع الحديث. ويعتبر سبنسر أحد أكبر المفكرين الإنجليز تأثيرا في نهاية القرن التاسع عشر، وهو الأب الثاني لعلم الاجتماع بعد أوجست كونت الفرنسي ،اشتهر بنظريته عن التطور، وقد استند على هذه النظرية في وضع الأسس لنسق ومنظومة اجتماعية(سوسيولوجية)تؤكد التطور تجاه تعقيد اجتماعي متزايد وارتفاع درجة الفردية فالمجتمع في نظره مثل الكائن الحي المعقد، يتصف بحالة من التوازن الدقيق ولا ينبغي ألاّ يسمح إلاّ لعملية التطور الطبيعية بالتأثير في نموه، توفي سبنسر سنة ١٩٠٣م. (انظر: هربرت_سبنسر/http://www.marefa.org/index.php).

[٤] انظر: بدوي، **موسوعة الفلسفة**، ج١، ص: ٤٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلم تكن نظرية داروين جديدة تماماً؛ لأن لامرك قد ذكر شيئاً عنها قبل داروين، ولم يكن داروين هو مبتكرها، إنما هو أخذها من لامرك من الناحية البيولوجية، ومن هربرت سبنسر من ناحية تحديد قانون التطور.[١]

## المبحث الثاني: عصر داروين

شهد القرن السادس عشر والقرن السابع عشر الميلاديين عهد الاضطهاد الكنيسي ومنع الناس من الدرس والتعلم والبحث في أمور الكون المادي، وأن يلتزم الناس بالشروحات الكنسية وحدها، فكل الناس يجب عليهم أن يعتقدوا بما في الكتاب المقدس دون أي اعتراضات[٢].

ذكر محمد قطب ذلك في كتابه (مذاهب فكرية معاصرة)، فقال : "فقد كان هذا الطغيان الجديد يفرض على العقول ألا تفكر في أمور الكون المادي بما تقتضيه الملاحظات والمشاهدات العلمية، وأن تلتزم بالتفسيرات الكنسية لما جاء من إشارات في التوراة عن شكل الأرض وعمر الإنسان، ولو خالفت هذه التفسيرات كل حقائق العلم النظرية والعلمية على السواء"[٣].

فهذا الاعتقاد يتناقض مع الدين الحقيقي الذي جاء به عيسى عليه السلام، إذ البابوات ورجال الكنيسة غيروها و حرفوا آياتها، وذلك "بسبب جهل البابوات ورجال الدين، وعدم اهتمام غالبيتهم بتثقيف أنفسهم، واكتفائهم بسلطانهم الروحي على الجماهير، وانكبابهم على الكتاب المقدس بكل ما فيه من تحريف، على اعتبار أنه يحوي كل العلم المطلوب للإنسان في دنياه من أجل الخلاص في الآخرة."[٤]

قال محمد قطب: "انقلب الدين على يد الكنيسة إلى عامل معوق عن الحياة، مضاد للعلم والحضارة والتقدم والرقي، محقّرا للإنسان ونزعاته الحيوية، مهملاً للحياة الدنيا بوهم العمل على خلاص الروح، والتهيؤ لملكوت الله في الآخرة."[٥]

---

[١] انظر: المصدر نفسه، ج١، ص: ٤٧٤.

[٢] قطب، محمد، **مذاهب فكرية معاصرة**، ط٨، دار الشروق- القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص: ٤٧.

[٣] المصدر نفسه، ط٨، ص: ٤٧.

[٤] قطب، محمد، **العلمانيون والإسلام**، ط٢، دار الشروق-القاهرة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ص: ٢٠.

[٥] المصدر نفسه، ط٢، ص: ١٧-١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال محمد رشيد رضا:"أما الزعم أن المدنية الأوربية مسيحية فهو زعم منقوض بالبداهة؛ لأن هذه المدنية مادية مبنية على حب المال والسلطة والتغلب والعزة والكبرياء والعظمة والتمتع بالشهوات، والتعاليم المسيحية تناقض هذا كله بإفراط بعيد، وما وصل الأوربيون إلى ما وصلوا إليه إلا بعد ما نبذوا التعاليم المسيحية ظهرياً، ولو أن هذه المدنية من أثر التعليم المسيحي لنشأت عنه بقرب نشأته، ولكنها لم تظهر إلا بعد بضع قرون من ظهوره"[١].

كما أنه لم يكن هناك أي بحث عن علم في الأناجيل، ذلك كما أشار الدكتور أحمد شلبي بقوله: "الحقيقة أن هذه الأناجيل تخلو خلواً تاماً من أية إشارة من علم أو إصلاح أو مدنية، و حسبك أن تقرأ الأناجيل وأن تعيد قراءتها، فلن تجد فيها ما يبنى مجتمعاً، أو بحثاً عن علم، أو يقود إلى إصلاح أو مدنية."[٢]

كما علّق إسماعيل مظهر في مقدمة كتاب (بين الدين والعلم) حيث قال: "قامت لدى اللاهوتيين فكرة ثابتة في أن العلم لا يجب مطلقاً أن يبشر بشيء فيه أقل مخالفة لظاهر ما جاءت به الأسفار المقدسة والمتون ورسائل الحواريين."[٣]

والكنيسة الأوروبية كانت أنذاك تحارب الفكر والعلم، قال الدكتور أحمد شلبي: "منعت الكنيسة-إبان نفوذها- أن ينشر التعليم بين العامة إلا ما كان دعوة إلى الصلاح وتقرير الإيمان على وجه ظاهر، وبقي غير القسيسين في جهالة حتى بأمور الدين وحقائقه وأسراره، وقد رأينا من قبل أحكام الكنيسة ضد كثير من المفكرين بالتجريد والحرمان والنفي، وقد عارضت الكنيسة القول بكروية الأرض، وعارضت رحلة كريستوف كولمبى للكشف عن الدنيا الجديدة، وعارضت الحقن تحت الجلد، وعارضت تخدير المرأة لتسهيل ولادتها..وكل ذلك وسواه لسبب واحد هو أن هذه الأشياء لم ترد في الكتاب المقدس، وليس لأحد أن يقترح شيئاً لم يرد في هذا الكتاب، فهذا الكتاب عندهم كل العلم وكل المعرفة، ومرة أخرى لم تنهض أوربا نهضتها العلمية إلا بعد أن تحررت السلطة المدنية من سلطات الكنيسة"[٤].

---

[١] رشـيد رضـا، محمـد، (ت١٩٣٥م)، **شـبهات النـصارى وحجـج الإسـلام،** ط٢، دار المنـار- القـاهرة، ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م، ص:٨.

[٢] شلبي، د. أحمد، **مقارنة الأديان (المسيحية)**، ط١٠، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ١٩٩٨م، ص: ٢٦٩.

[٣] من مقدمة كتاب **بين الدين والعلم** لاندرو ديكسون وايت، د.ط،(ترجمة وعلّق حواشيه: اسـماعيل مظهـر)، دار العصور للطبع والنشر-مصر، ١٩٣٠م، ص: ١٩.

[٤] شلبي، **مقارنة الأديان (المسيحية)**، ص: ٢٦٩- ٢٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأبعد من ذلك ما قرر مجمع رومة بعصمة البابا في سنة ٨٦٩م، حيث انتقل حق التشريع إليه كرأس للكنيسة، وذلك يشمل سلطان الكهنوت والتدبير والتعاليم، وعصمة الكنيسة هذا امتياز تنعم به هي والبابا رأسها كنائب المسيح المنظور[١].

يقول الدكتور شلبي: "قد رأينا أن مجمع رومة المنعقد سنة ٨٦٩م قرر أن الفصل في المسائل الدينية من اختصاص كنيسة روما، وأن المسيحيين جميعاً يخضعون لقرارات رئيس هذه الكنيسة، ورأينا أن مجمع رومة المنعقد سنة ١٢١٥م يقرر أن الكنيسة البابوية تملك حق الغفران وتمنحه لمن تشاء، وطبيعي أن من يملك حق الغفران يملك حق الحرمان"[٢].

وكذلك قامت محاكم التفتيش في القرون الوسطى في أوروبا، حيث قتلوا وعذبوا كل من يبدع علماً جديداً ويكشف حقيقة من حقائق الطبيعية تخالف الكتاب المقدس تحت عنوان الهرطقة والخروج على الدين، "وأوقعت محاكم التفتيش بالهراطقة والأبرياء دون تمييز"[٣].

فالكنيسة "تفرض عليهم الإتاوات، وتفرض عليهم الخضوع المذل لرجال الدين الذين زعموا لأنفسهم قداسة ليست لبقية البشر، ويزيد على ذلك كله أن تفرض عليهم أفكاراً معينة باعتبارها أفكاراً سماوية مقدسة، لا يجوز الخروج عليها، وإلا اعتبر من لم يعتنقها كافراً بالكنيسة وبالمسيحية، ووجبت عليه لعنة الرب ولعنة البابا والدولة والناس أجمعين، وكان من هذه الطائفة الأخيرة علماء قالوا بكروية الأرض، فعذبوا ونكل بهم أبشع تنكيل، لأنهم يخالفون الحقائق المقدسة التي احتضنتها الكنيسة، وقالت : إنها كلمة السماء"[٤]

وقد وصف اسماعيل مظهر النزاع بين اللاهوت والعلم الذي كان في القرون الوسطى بقوله: "لم تبلغ الخصومة بين العلم واللاهوت من الشدة ما بلغ في القرون الوسطى و بين أحضان النصرانية، فإنك لا تعثر في تاريخ الأديان كلها على تاريخ يشابه تاريخ مذاهب اللاهوت النصراني في قيامها في العلم أزماناً طوالاً، بل قروناً متعاقبة"[٥]

---

[١] انظر: حداد، جورج، وعلي، بسام كرو، **مختصر تاريخ الحضارة الغربية في الأزمنة الحديثة،** ط٢، مكتبة العلوم والآداب للطباعة و النشر- دمشق، ص: ٢٣٤

[٢] شلبي، **مقارنة الأديان (المسيحية)**، ص: ٢٥٤

[٣] المصدر نفسه، ص: ٢٥٧

[٤] قطب، محمد، **الإنسان بين المادية والإسلام،** ط١٢، دار الشروق- القاهرة-مصر،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص: ١٥

[٥] انظر: وايت، **بين الدين والعلم،**ص:١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولهذه الأسباب ظهر ما يسمى بالخصومة والعدوان بين الدين والعلم، بل "ما هي في الواقع إلا خصومة بين اللاهوت والعلم[١]" كما يتحدث (وايت) في كتابه (بين الدين والعلم):"وكم من لاهوتي ظهر خلال القرون الوسطى وحاول أن يثبت أن الدين لا شأن له بالعلم، وأن وظيفته تنحصر في أن يعرف الناس طريقة الخلاص في الآخرة، لا حركات الأجرام السماوية أو تكوين الأرض كيف تكون، ولكن المذاهب الشائعة في اللاهوت ومن ورائها محاكم التفتيش، لم تكن تترك لأمثال هؤلاء مجالاً، وزاد الطين بلة أن اللاهوتيين ومن ورائهم الكنيسة، وعلى رأسها البابوات المعصومون عن الخطأ كانت قد زكت المذاهب اللاهوتية التي ذاعت في تفسير الإنجيل والتوراة بإجازتها حينا بعد حين، فأصبحت تلك التفاسير في الواقع مقدسة كأصل المتون نفسها، لهذا كانت ثورة اللاهوت في القرون الوسطى حامية ونارها محرقة تلظى"[٢]

لذلك حاول العلماء أن يبحثوا علم الطبيعة باسم العلم لإبعاد كل ظل للدين عن البحث العلمي انتقاماً من موقف الكنيسة التي حاربت العلم باسم الدين، ونتيجة لهذه المحاربة، فقد حدث في ذلك الوقت عملية فصل الدين عن الدولة، أي أن من يتكلم عن الدين لا يتكلم في العلم، وكذلك لا يتكلم العلماء عن الدين، وهذا العمل يسمى بـ((العِلمانية)).[٣]

فالعِلمانية هي السبيل الوحيد للخلاص والخروج من شرور الكنيسة كما يقول محمد قطب:"كانت العلمانية بما تشتمل عليه من إبعاد للدين عن الهيمنة على واقع الحياة، وعزله عن النفوذ السياسيى بصفة خاصة، وتقرير حق الإلحاد، والمنافحة عنه، وحق مهاجمة الدين ومفاهيمه

---

[١] المصدر نفسه، ص: ١٩.

[٢] المصدر نفسه، ص: ١٩-٢٠.

[٣] هي كلمة إنجليزية ترجمتها الصحيحة: اللادينية أو الدنوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على غير دين، وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم او المذهب العلمي (أنظر: زيتون، د. وضاح، **المعجم السياسي**، ط١، ٢٠٠٦م، دار أسامة، عمان-الأردن، ص: ٢٥١) وهي أيضا بمعنى: مراعاة المصلحة بعيداً عن الدين، وقد ظهرت في أوروبا منذ القرن السابع عشر، واختيرت كلمة علمانية لأنها أقل إثارة من كلمة لا دينية، ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة، وحياة المجتمع وإبقاءه حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه، فإن سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما.(انظر:الندوة العالمية للشباب الإسلامي، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**،(إشراف وتخطيط ومراجعة:د.مانع بن حماد الجهني)،ط٥، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع-الرياض، ١٤٢٤هـ، ج٢، ص:٦٧٩)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لمن أراد ذلك، كانت العلمانية – بهذه الصفات – هي سبيل الخلاص – في نظر أوروبا- من ربقة ذلك الدين، الذي يمثل في حسها الظلام والأغلال التي تسحق وجود الإنسان"[١].

وكان الأوربيون في ذلك الوقت يعتمدون على العلم بدلاً من الدين، يقول الأستاذ محمد قطب: "ولم يكن ثمة شك حين يقوم الصراع على هذه الصورة، بين الكنيسة وبين العلم التجريبي، أن يؤمن الناس بما يثبته العلم، ويكفروا بما تقوله الكنيسة، وأن ينتهزوا هذه الفرصة السانحة، فيقفوا في وجه طغيان الكنيسة ودكتاتوريتها الفظيعة، وقد أمسكوا بأيديهم السلاح الذي يحطمون به أوهامها، ويزلزلون به كيانها، وينزعون قداستها من نفوس المؤمنين بها، وكان ذلك السلاح الجبار هو العلم"[٢]

وبدأ القرن السابع عشر بظهور علماء كثيرين منهم (بيكون)، و(نيوتون) الانكليزيين، و (ديكارت) الفرنسى و(غليلو) الإيطالي، و(ليبنتز) الألماني، وفي القرن الثامن عشر اهتم الناس بالعلوم وبدأ التخصص فيها، ومن هؤلاء:- (جوسيو) و(بوفون) من علماء التاريخ الطبيعي، و(لافوزييه ) و(بريستلي) من علماء الحكمة.[٣]

أما القرن التاسع عشر فيعد العصر الذهبي لازدهار العلوم، وأهميته التاريخية ناتجة عن الاكتشافات العلمية وتطبيقاتها العلمية في جميع نواحي الحياة مما أدى إلى قلب أحوال المعيشة، ففي هذا القرن تقدم التاريخ الطبيعيون وبدأت تتفرع علومه وترتقي، وقد ظهر علماء الطبيعة في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وأشتهر منهم: لامرك الذي ألف كتاب ((الفلسفة الحيوانية)) في عام ١٨٠٩م، وهو الذي يتكلم عن النشوء والتطور عن طريق الوراثة، وهو أحد مؤسسي نظرية النشوء والارتقاء.[٤]

وظهر العالم جوفروا سانت ايلير (١٨٤٤م) الذي شرح في كتابه أن كل المخلوقات مركبة على أساس واحد بمعنى أن لها نفس الأعضاء الرئيسية، وإنما تختلف بالتفاصيل، وأما العالم الأفرنسي الثالث في التاريخ الطبيعي كوفييه (١٨٣٢م) فإنه صاحب الفضل على علم المستحاثات (المتحجرات) وطبقات الأرض، والمبدأ الذي وضعه هو أن جميع أعضاء الحيوان لها نِسب لا تتغير وذلك ما أرجع بقايا هياكل عظيمة إلى حالتها الأصلية، وكذلك اكتشاف بعض أنواع

---

[١] قطب، **العلمانيون والإسلام**، ص: ٢١.

[٢] قطب، **الإنسان بين المادية والإسلام**،ص: ١٥-١٦.

[٣] انظر:حداد، وعلي، **مختصر تاريخ الحضارة الغربية في الأزمنة الحديثة**، ص: ١٣٤.

[٤] المصدر نفسه، ص: ١٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحيوانات البائدة وصار من الممكن تصنيف طبقات الأرض حسب البقايا الحيوانية الموجودة فيها[١].

ومن أهم تطورات القرن التاسع عشر في العلوم الطبيعية ظهور نظرية التطور على يد أشهر عالمين انكليزيين: تشارلز داروين وألفرد والاس[٢]، وقد شرح داروين نظريته في كتاب رئيسي عنوانه (أصل الأنواع) صدر في ١٨٥٩م، وتكلم بعض مفكري العصور القديمة والوسطى بهذه النظريات، إلا أن آراء داروين أحدثت ضجة في أوربا وقام من العلماء من يؤيدها ومنهم الفيلسوف هربرت سبنسر (١٩٠٣م) وتوماس هكسلي[٣] (١٨٩٥م) في انكلترا.

---

[١] انظر: حداد، وعلي، **مختصر تاريخ الحضارة الغربية في الأزمنة الحديثة**، ط٢، ص:١٣٤

[٢] ولد ألفرد والاس في ٨ يناير سنة ١٨٢٣م، وهو إنجليزي عالم تاريخ طبيعي، له أثر بين في عصره في كل علوم الإنسانية

سواء كانت فلسفية أو أدبية أو طبيعية (انظر:بولتون، س.ك، **مشاهير رجال العلم**، (ترجمة: د. وصفي حجاب) د.ط، دار الكتب العربي-بيروت، ومؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر-نيو يورك، ١٩٦٣م،ص:٢٧٠)، اقترح والاس نظرية التطور سنوات قبل أن يقدم داروين فكرته التطور عن طريق الانتخاب الطبيعي، وإنما نظرية والاس تتفق تماماً مع نظرية داروين، ولذلك قدما معاً داروين ووالاس أوراقهما متحدين معاً لجمعية لينيان، وفي خلال حياته استمر والاس في تدعيم نظرية التطور مع الاختلاف مع داروين في بضع نقاط، فهو يعتقد أن البقاء للأصلح هي أهم في الكفاح لأجل البقاء وكذلك قال إن الانتخاب الطبيعي لا يفسر كثيرا من صفات الإنسان مثل الذكاء-فقد الشعر (الصلع) وتطور الأيدي المتخصصة على سبيل المثال. ورحل والاس رحلات مكثفة في أمريكا الجنوبية وجنوب شرق آسيا جامعاً عينات من الأمكنة المختلفة، ومن أهم كتبه (التوزيع الجغرافي للحيوانات) المنشور عام ١٨٧٦، وهو الذي ما زال يعتبر المرجع المهم لموضوع توزيع الحيوانات، وعقل والاس النشيط أدى به إلى فحص كثير من الموضوعات التي تتعلق بالتطور، ومات والاس عام ١٩١٣م.(انظر: بقطر، **أشهر العلماء واكتشافاتهم**، ص: ٢٢٨-٢٣٠).

[٣] ولد توماس هنري هكسلي في لندن عام ١٨٢٥، ويعتبر هكسلي أعظم أساتذة علم الأحياء في القرن التاسع عشر على

الإطلاق، تخرج في الطب من جامعة لندن، وغدا جراحاً في البحرية البريطانية، ثم عين أستاذاً للتاريخ الطبيعي في (كلية التعدين) وشغل مناصب عملية أخرى رفيعة وضع مصطلح (اللا أدرية) في اللغة ليصف به معتقدات فريق من علماء عصره، وقد اشتهر في دفاعه المجيد عن نظرية داروين في النشوء والإرتقاء (انظر:سلستي،جورج، **عباقرة العلم في الغرب**، ط١، دار العلم للملايين-بيروت،١٩٦١م، ص: ١٨٧) وفي عام ١٨٦٣، نشر هكسلي كتابه (موضع الإنسان في الطبيعة) وفيه قارن بين الإنسان وبين كبار القرود ووضح التشابه بينها وعلاقة ذلك ببقايا هيكل (نياندرثال) هو هيكل عظمى وجد في وادى نياندرثال قرب دسلدورف بألمانيا وكان قد عثر عليه قبل ذلك بسنوات قليلة، وخلال عام ١٨٦٠ وضح قيمة الحفريات كما نشر العديد من الكتل خلال هذه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك أرنست هيجل[١] في ألمانيا (١٩١٩م) وكان أستاذاً في جامعة ألمانيا وهو أول عالم كبير أيد نظرية داروين التطورية في الأوروبى.[٢]

---

الفترة، وأمضى هكسلي باقي أيام حياته في تأييد وتأكيد نظرية داروين، وتوفى عام ١٨٩٥م.(انظر: بقطر، **أشهر العلماء واكتشافاتهم**، ص:٢٣١-٢٣٣)

[١]ولد ارنست هيجل سنة ١٨٣٤، وهو عالم ألماني متخصص في علم الحيوان،أصبح شهيرا بسبب نظريته في (مراحل التطور

لكائن من أسلاف سابقة). تزعم النظرية أن كل حيوان يعيد، خلال نموه جنينًا، كل مراحل التغير التي مر بها أسلافه. فعلى سبيل المثال إذا مرت أسلاف حيوان بري بطور عاشت فيه في الماء، وكانت لها زعانف، فإن كل جنين من هذا النوع من الحيوان يمر بمرحلة تتطور له فيها زعانف تماما كأسلافه، رغم أنه يفقد هذه الزعانف في مرحلة أخرى في تطوره الجنيني. وقد درس هيكل أجنة العديد من الحيوانات، وقام بوضع رسوم لها ما تزال تستعمل في كتب التشريح. واستعمل نتائج بحثه ليدعم نظرية تشارلز داروين في التطور. ويشرح كتاب هيجل الواسع الانتشار (لغز العالم) (١٨٩٩م) الكثير من نظرياته. كان هيجل أول من وضع بيانًا تصويريا يوضح العلاقات المفترضة بين مجموعات الحيوانات المختلفة. وقد درس في أوائل أعماله الحيوانات ذات الخلية الواحدة. وتوفي سنة ١٩١٩، ( راجع: ارنست_هيكل /http://www.marefa.org/index.php ).

[٢]انظر: حداد، وعلي، **مختصر تاريخ الحضارة الغربية في الأزمنة الحديثة**، ص: ١٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## المطلب الأول :موقف الكنيسة المسيحية:

كان ظهور داروين ونظريته في علم الطبيعة وصدور كتابه عن أصل الأنواع في القرن التاسع عشر الميلادي قد أثار ثائرة الكنيسة التي اتهمت نظريته بأنها مناقضة لتفسير الكتاب المقدس للخلق، ومؤدية إلى الحط من الإنسان إلى مستوى النوع الحيواني[١]، فكفّرته الكنيسة، وقالت: إنه زنديق خرج عن الدين واتهموه بالكفر، قال محمد قطب: "فأما الكنيسة فقد كفّرت داروين ابتداء وقالت عنه إنه زنديق مهرطق مارق من الدين؛ لأنه ينفي الخلق المباشر من الله للإنسان على صورته، بل ينفي يد الله من عملية الخلق كما ينفي الغاية والقصد؛ لأنه يقرر أن الحياة قد وجدت على الأرض بالصدفة في ظروف معينة (لم تتكرر مرة أخرى) وأن تفسير الحياة وتطورها بإرجاعها للإرادة الإلهية يكون بمثابة إدخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت[٢]"

أما موقف العلماء فقد انقسموا، فمنهم من أيده، ومنهم من عارضه، ومنهم من حاول التوفيق بين نظريته وبين الدين، وكانت الجماهير من الناس قد رفضوها، ووقفوا مع الكنيسة في تكفير داروين في بداية الأمر، ولكنهم عادوا يؤيدونه بعد أن اعتنق العلماء هذه النظرية ولما رأوا أنها فرصة سانحة للخلاص من ظلام الكنيسة[٣].

لقد وصف محمد قطب ذلك بأنه المهرب الوجداني وأن السبب لهذا القبول ليس إلا الصراع القديم وما ينتج عنه من العلمانية، فقال: "إن النظرية لم يكن من الحتم أن تصاغ بالطريقة التي تصادم العقيدة لولا ذلك الصراع القديم الذي قام بين الكنيسة والعلماء، واستمر إلى وقت داروين وما بعده، وجعل العلماء يتعمدون تجريح الدين ورجاله انتقاماً مما فعلته الكنيسة من قبل، كما جعل أوروبا تهرب من إله الكنيسة وتضع ((الطبيعة)) إلهاً بدلاً منه!"[٤]

وقال إسماعيل مظهر:"الدين عندهم هو عبادة المادة، أرادوا أن ينظر الإنسان إلى المادة كأنها المصدر الأول والعلة الأولى التي خلقته، كانت العودة إلى تلك الفلسفة نتاجاً لضغط زعماء

---

[١] انظر: إمام، د. إمام عبد الفتاح، **مدخل إلى الفلسفة**، ط٥، دار الثقافة- القاهرة، ١٩٨٥م، ص: ٢٣٠.

[٢] قطب، **مذاهب فكرية معاصرة**، ص: ٩٤-٩٥

[٣] انظر: المصدر نفسه، ص: ٩٥

[٤] المصدر نفسه، ص: ٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدين على العلم في أوروبا بحجة أن العلم إنما يقوض من بناء الكنيسة ما يريد الله أن يقيم على يد القساوسة في قرون الظلمة والوحشية".[١]

## المطلب الثاني: **موقف اليهود:**

أعطى ظهور نظرية داروين في ذلك العصر الفرصة السانحة لليهودية العالمية لتحقيق حلمها وهو السيطرة على سائر البشرية أو على الأميين[٢]، وبنشأة هذه النظرية فقد تحقق نصف الطريق نحو تحطيم العقيدة الأوروبية، والعقيدة هي العدو الدائم لليهودية العالمية، فاليهود هم الذين توفرت فيهم الخبائث وسوء النية في التخريب المتعمد لكيان البشرية.[٣]

فاليهود من حكماء صهيون يعرفون بأن الدين هو الأساس الذي جعل الناس يستشعرون المسؤولية أمام خالقهم، ثم يبتعدون عن الهدم والضلال، لذلك يضع الصهيونيون الخطوات لنشر الإلحاد أو عزل الدين من نفوس أصاحبها؛ ليحل محلها أشرار الخُلُق لأجل تنفيذ أحلامهم وأهدافهم الشريرة، ذلك كما ورد في البروتوكول الرابع من كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) حيث قال حكماء صهيون : "..وذلك الموطن هو أن تقوم الحرية على أساس الإيمان بالله وأخوة الإنسانية، غير متعلقة بعقيدة المساواة، وهي العقيدة التي تنفيها نواميس الكون، وهذه النواميس أوجبت وقوع التباين في المخلوقات بالخضوع والاتباع، فإذا ساد الإيمان بالله، فيمكن أن يحكم الشعب، بأن تقسم الأرض إلى أقاليم، وعلى كل إقليم راعيه الوصي، فيصير الشعب راضياً قنوعاً تحت إرشاد الراعي الروحي، إلى ما فيه مشيئة الله على الأرض، وهذا هو السبب في أنه من المحتم علينا أن ننسف الدين كله، لنمزق من أذهان (الغوييم) المبدأ القائل بأن هناك إلهاً رباً، وروحاً، ونضع موضع ذلك الأرقام الحسابية والحاجات المادية، ولكي لا نعطي (الغوييم) وقتاً للتفكير والروية، فيجب تحويل أذهانهم إلى الصناعة و التجارة."[٤]

---

[١] مظهر، إسماعيل، **مذهب النشوء والإرتقاء**، الكتاب الأول، ط١،ج١، مطبعة المقتطف والمقطم- القاهرة، ١٩٢٣م، ص: ١٥.

[٢] الأميين أو (الكويم/الغوييم) عبارة عن غير اليهودي، إذ يزعم اليهود أن لهم خصوصية ومكانة متميزة عند الرب، ويدعون أنهم شعب الإله المختار المفضل دون سائر البشرية.

[٣] انظر: قطب، محمد، **جاهلية القرن العشرين**، ط١، مكتبة وهبة- القاهرة، ١٩٦٤م، ص: ٤٤.

[٤] نويهض، عجاج، **بروتوكولات حكماء صهيون**، ط١،ج١، دار الجليل- عمان، ١٩٨٤م، ص: ٢١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكانت أوروبا إحدى المواطن لأداء خطواتهم في نشر الإلحاد وخلع الإيمان من الأنفس، وقد كان أبرز العلماء لتنفيذ أحلامهم داروين وماركس[١]، حيث جاء في كتاب (الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي):" كانت أوروبا أول مسرح للعمل الصهيوني في هذا المجال، حيث عمل اليهود على نشر الإلحاد واهتزاز المثل الروحية فيها منذ مطلع القرون الحديثة، وأبرز اليهود الذين هدموا التفكير الديني في أوروبا: داروين الذي قال بتطور الإنسان من الحيوان، وراحت اليهودية تجد في نشر آرائه ورفع قيمته عالياً حتى صارت نظريته بمثابة المحول الذي حول الفكر الأوروبى عامة في جميع مجالات العلم بعيداً عن الله."[٢]

وقد أورد حكماء صهيون ذلك في خطواتهم (البروتوكول الثاني)، حيث ورد فيه: "إياكم أن تعتقدوا ولو للحظة واحدة، أن ما أقول هو من الكلام القليل الجدوى: فما عليكم إلا أن تتفكروا في ما صنعنا لإنجاح النظريات الدروينية والماركسية والنيتشية، أما نحن اليهود، فما علينا إلا أن نرى بوضوح ما كان لتوجيهاتنا من أثرٍ خطير في التلبيس على أفهام (الغوييم) في هذا المجال."[٣]

لقد استخدم اليهود نظرية داروين كوسيلة من وسائلهم وآلة من آلاتهم لأجل تنفيذ أحلامهم الشريرة، كما يقول محمد قطب : "إن اليهودية قد استغلت النظرية الداروينية ونظرية التطور أبشع استغلال لتحطيم كل فضيلة باقية في الجاهلية الأوروبية"[٤].

ولذلك، انتشرت نظرية داروين وبخاصة أنها تأسست على مذهب التطور، فما مدى صحة أو بطلان هذه النظرية؟ وما حقيقتها؟ هذا ما سوف نشرحه في الفصل القادم، بإذن الله تعالى.

---

[١] انظر: كيلاني، ماجد، **الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي**، ط٢، الدار السعودية- جدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ص: ٦٥.

[٢] المصدر نفسه، ص: ٦٦.

[٣] نويهض، **بروتوكولات حكماء صهيون**،ج١، ص: ٢٠٨.

[٤] قطب، **جاهلية القرن العشرين**، ص: ٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

# الفصل الأول:

## نظرية داروين في نشأة الخلق

### المبحث الأول : التطور والارتقاء عند داروين

المطلب الأول : **نشأة النظرية عند داروين ومن سبقه**

المطلب الثاني: **عوامل التطور والارتقاء عند داروين**

### المبحث الثاني: أصل الموجودات عند داروين

المطلب الأول: **الكون**

المطلب الثاني: **نشأة الحياة**

### المبحث الثالث: أصل الكائنات عند داروين

المطلب الأول: **النبات**

المطلب الثاني: **الحيوان**

المطلب الثالث: **الإنسان**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

# الفصل الأول: نظرية داروين في نشأة الخلق

**تمهيد:**

قبل أن نبحث في نظرية داروين، يحسن بنا أن نبدأ أولاً بالتعريفات اللغوية والاصطلاحية المتعلقة بهذه النظرية، وهي كما يأتي:-

**النظرية لغةً:** جمعها نظريات، وهي: قضية تثبت بالبرهان[١].

**واصطلاحاً:** تأتي بمعنى: "تصور أو فرض أشبه بالمبدأ، له قيمة التعريف على نحو ما، يتسم بالعمومية، وينتظم علماً أو عدة علوم، ويقدم منهجاً للبحث والتفسير، ويربط النتائج بالمبادئ[٢].

وتطلق في الفلسفة عبارة (نظرية) على طائفة من الآراء يُفسر بها بعض الوقائع العلمية أو الفنية[٣].

**أما كلمة (نشأة) في اللغة:** فهي بمعنى حَيِيَ، مِن نَشَأَ يَنْشَأُ نَشْأً ونُشُوءاً ونَشَاء ونَشْأَةً ونَشَاءَةً[٤].

**وفي الاصطلاح:** أَنْشأه اللّه خلقه، وأنشأ اللّه الخَلْقَ أي: ابْتدأ خَلْقَهم[٥].

**أما (الخَلْق) لغةً:**

فقد جاء في (مقاييس اللغة): أنه مشتق من الخاء واللام والقاف، بمعنى تقدير الشيء، أو مَلاسَة الشيء[١].

---

(١) انظر: مذكور، إبراهيم، **المعجم الوسيط،** ط٢، (تخريج: د. إبراهيم أمين، ود. عبد الحليم منتصر، وعطية محمد الصوالحي خلف الله أحمد)، القاهرة، ١٩٧٢م، ص: ٩٧٢.

(٢) الحفني، د. عبد المنعم، **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة،** ط٣، مكتبة مدبولي-القاهرة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص:٨٨٠.

(٣) انظر: مذكور، **المعجم الوسيط،** ص: ٩٧٢.

(٤) انظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، **لسان اللسان تهذيب لسان العرب،** (تم تهذيبه بعناية: المكتب الثقافي لتحقيق الكتب، إشراف الأستاذ عبد أ. علي مهنا)، ط١، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص: ٦١٥.

(٥) انظر: المصدر نفسه، ج٢، ص: ٦١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

**و (الخلق) اصطلاحاً:** "بالفتح وسكون اللام، هو إيجاد شيء من شيء، ويختص بالموجودات الطبيعية، بخلاف الإبداع الذي هو إيجاد الشيء من اللاشيء"[٢].

وهو بمعنى "عالم المادة والوجود والزمان، مثل الأفلاك والعناصر والمواليد الثلاثة أي الجمادات والنباتات والحيوانات، وهي تسمى عالم الشهادة وعالم المُلك وعالم الخلق"[٣].

إذاً، نحدد معنى نشأة الخلق هنا بأنه بدء الخلق من الموجودات وهي الكون والحياة والكائنات من النباتات والحيوانات وكذلك الإنسان وأصلها جميعاً عند نظرية داروين.

**أما (النشوء) لغةً:** فقد اقتبس من مصدر (نَشَأَ) بمعنى حَيِيَ، أي ابتدأ خلقه[٤].

**وأما (التطور) في اللغة:** فهو مشتق من مصدر (تَطَوَرَ) بمعنى تحول من طَوْر إلى طَوْر[٥]، أو من حالٍ إلى حالٍ[٦].

**والتطور اصطلاحاً:** هو: "التغير التدريجي الذي يحدث في بنية الكائنات الحية وسلوكها، ويطلق أيضاً على التغير التدريجي الذي يحدث في تركيب المجتمع أو العلاقات أو النظم أو القيم السائدة فيه"[٧].

وجاء في المعجم الفلسفي أنه: "نمو بطئ متدرج يؤدي إلى تحولات منتظمة ومتلاحقة تمر بمراحل مختلفة يؤذن سابقها بلاحقها، كتطور الأفكار والأخلاق والعادات، وهو في الجملة انتقال من المختلف إلى المؤتلف، ومن غير المتجانس إلى المتجانس، ومن اللامحدود إلى المحدود أو

---

(١) انظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، د.ط، ج٢، (تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص: ٢١٣.

(٢) الحفني، **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، ص: ٣٣٤-٣٣٥.

(٣) التهانوي، محمد علي (ت ١١٥٨هـ)، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، (تقديم وإشراف ومراجعة: د.رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج) ط١، ج١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، ١٩٩٦م، ص: ٧٦٣.

(٤) انظر: ابن منظور، **لسان اللسان تهذيب لسان العرب**، ج٢، ص: ٦١٥.

(٥) انظر: مدكور، **المعجم الوسيط**، ص: ٥٩٦.

(٦) انظر: مسعود، جيران، **الرائد: معجم لغوي عصري**، ط٨، دار العلم للملايين-بيروت، ٢٠٠١م، ص: ٤٠٩.

(٧) مدكور، **المعجم الوسيط**، ص: ٥٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالعكس، ولا يتضمن التطور في ذاته فكرة التقدم أو التقهقر، وإنما يعبر عن التحولات التي يخضع لها الكائن العضوي أو المجتمع سواء أكانت ملائمة أم غير ملائمة"[١].

ويقول (الحفني)، **التطور عند داروين** هو: "التغيرات النوعية التي تحدث أو تنشأ في الكائنات وترتقي بها، سواء في تركيبها أو في سلوكها"[٢].

وهو يأتي أيضاً بمعنى: "قانون شامل يسري على عالم الجماد وعالم الحيوان على السواء، وهو يقضي بأن الحي أو الجماد دائم التحول لا يثبت على حال واحدة"[٣] وهذه الأنواع من الأحياء إنما تتحول وتتعدد على حسب العوامل الطبيعية، وأنها ترجع جميعاً إلى أصل واحد أو أصول قليلة[٤].

## المبحث الأول: التطور والإرتقاء عند داروين

### المطلب الأول: نشأة النظرية عند داروين ومن سبقه

كان داروين في مسألة الخلق ينتابه موقف من الشك في ثبات الأنواع كما يقول به رجال الكنيسة المسيحيون، وتعد رحلته حول العالم على سفينة البيجل النقطة الأولى في ذلك؛ التي دفعه إلى الاعتقاد بتغير الأنواع وعدم ثباتها، فهذه الفكرة تسمى ((بالنشوء والتطور)).

وقد عبر داروين عن ذلك في كتابه الأول (أصل الأنواع) فقال: "لما كانت على ظهر البيجل مضيت أعتقد في ثبات الأنواع، ولكن على قدر ما تعي ذاكرتي كانت تساورني شكوك غامضة إزاء ذلك بين آونة وأخرى، ولما عدت إلى الوطن في خريف سنة ١٨٣٦م، عكفت بلا تردد على إعداد مذكراتي العلمية لتنشر، فآنست إذ ذاك كثيراً من الحقائق التي تؤيد تحول الأنواع وتسلسل بعضها من بعض، وبدأت في شهر يوليه سنة ١٨٣٧م في تدوين الحقائق التي قد يكون

---

(١) مجمع اللغة العربية، **المعجم الفلسفي**، د.ط، جمهورية مصر العربية، الهيئة العامة لشؤن المطابع الأميرية-القاهرة، ١٣٩٩هـ-/١٩٧٩م، ص: ٤٧.

(٢) الحفني، **المعجم الوسيط لمصطلحات الفلسفة**، ص: ٢٠١.

(٣) موسى، سلامة، **نظرية التطور وأصل الإنسان**، ط٦، سلامة موسى للنشر والتوزيع-القاهرة، ط٣، ص: ١٣.

(٤) العقاد، عباس محمود، **الإنسان في القرآن الكريم**، د.ط، مكتبة دار الهلال-القاهرة، د.ت، ص: ٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لها صلة بهذا الموضوع، ولكني لم أقتنع بأن الأنواع كائنات متحولة، قبل مضى عامين أو ثلاثة أعوام على ما أتذكر"[١].

وقد أكّد داروين ذلك في مقدمة كتابه، حيث قال: "فإني بعد أن أنفقت ما أنفقت من الوقت في البحث وتقليب الأسفار، وكثرة التأمل والاستبصار، وبما عرفت من الأحكام والاستنتاجات الجلية، ولما لي من الثقة في ذلك كله، لم يمر بي خلجة من الشك في أن ما كنت أقطع به، كما قطع الطبيعيون من القول بأن كل نوعٍ من الأنواع قد خلق مستقلاً بذاته كان خطأً محضاً. وإني لعلى تمام الاعتقاد بأن الأنواع دائمة التحول، وأن الأنواع التي تلحق بما نسميه الأجناس اصطلاحاً، هي أعقاب متسلسلة من أنواع طواها الانقراض، على نفس الطريقة التي نعتبر بها الضروب التابعة لأي نوع، أعقاباً متسلسلة من ذلك النوع ذاته"[٢].

وهو بهذا الصدد، كان يؤمن بالخلق المستقل في بادئ الأمر، إلا أن موقفه تغير بعد عودته من تلك الرحلة؛ مما جعله يؤيد فكرة تطور الأنواع بالمواد التي وجدها ولاحظها خلال الرحلة.

وقد بين مذهبه بالنشوء والتطور الذي معناه أن الأنواع دائمة التحول، وليست ثابتة، وأنها نشأت من أنواع سابقة لها، وبالتالي ليست هي في أصلها كما نراها الآن، وإنما تجري عليها التحولات والتغيرات من جنس إلى جنس آخر على حسب قانون التطور عنده، كما يقول بعض العلماء، ولذا يرى داروين أن (الأنواع دائمة التحول، وأن الإنسان وباقي الكائنات الحية منحدرة من أصل واحد) [٣].

فهذه الفكرة التي تسمى بالنشوء والتطور، وهي مذهب قديم يرجع جذوره إلى آلاف السنين، فقد تطرق إليه الفلاسفة اليونانيون القدماء في موضوع التطور، منهم (أناكسيماندر) الذي عاش في النصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد، وهو سار إلى القول بأن ظهور الإنسان هو نوع من تطور الحيوانات كلها، فالإنسان –عنده- تكون أولاً كسمكة، ثم تخلص فيما بعد من

---

(١) داروين، **أصل الأنواع**، ص: ٧٧.

(٢) داروين، أصل الأنواع، ص: ١٢٢.

(٣) انظر: الشحات، علي أحمد، وطلبة، د. مصطفى كمال، **نظرية التطور بين العلم والدين**، ط١، مكتبة الخانجي-القاهرة، ص: ١٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جلد السمك، ثم عاش على الأرض، حيث تتطور الحيوانات من حالتها الدنيا والناقصة إلى أن تحصل على صورتها الحاضرة[١].

وكما تكلم (أرسطو) [٢] بالتطور الطبيعي للأحياء، "أي أن الكائنات الحية قد تصنف بمقتضى رقيها التكويني"[٣].

ثم في عصر النهضة اعتنقه كثير من العلماء، من أشهرهم (لامرك) الذي قال باستعمال الأعضاء وإهمالها، و(بوفون) [٤]، العالم الفرنسي الذي قال بأن "وجود نباتات أو حيوانات تحت تأثير وسط معين يكسبها صفات جديدة، وهذه الصفة تنتقل إلى نسلها فتحدث انقلابات هي عوامل التطور"[٥]، وكذلك جده (أراسموس داروين) [٦]، كان يتكلم بالنشوء والتطور حيث يعتمد على وراثة العادات في الكائنات الحية[١].

---

(١) أنظر: المصري، د. عادل محمد، **النشوء والتطور في الكائنات الحية،** د.ط، طباعة الدلتا للطباعة، الناشر: منشأة المعارف، جلال حزي وشركاه-الإسكندرية، ٢٠٠٢م، ص: ٣-٤.

(٢) هو الفيلسوف عالم اليوناني، ولد في سنة ٣٨٤ ق.م، حصل أرسطو على دراسته الأولية بالمنزل وزوده والده بمعلومات كبيرة في التاريخ الطبيعي، في سنة ٣٦٧ ق.م، ذهب إلى أثينا، وكانت مركزاً للعلم، وفي أثينا درس على يدي أفلاطون الفيلسوف الأكبر في ذلك العصر، وأعظم آثار أرسطو العلمية الباقية هي تلك التي خلفها في مجال علمي الحيوان والأحياء، ولقد أظهر أرسطو في هذا المجال فهماً أخاذاً للطريقة العلمية كما نفهمها اليوم، لم يقتصر أرسطو في بحوثه في علم الأحياء على المشاهدات الخارجية فقط، وإنما كان أول من قام بتشريح الحيوانات كشف بذلك بعض اختلافات في التكوين الداخلي، ولذلك يعتبر أرسطو رائداً للطريقة الأحيائية الحديثة. (أنظر: كين، ونيسنسون، **عمالقة العلم،** ص: ٨-٩).

(٣) المصدر نفسه، ص: ٩.

(٤) هو جورج لويس لوكليرك كونت دي بوفون، عالم في الطبيعة فرنسي، ولد بوفون في مونبار (فرنسة) ومنح لقب كونت في عام ١٧٧٣ فصار يعرف (بكُونت بوفون) نسبة إلى المزرعة التي ورثها، اشتهر بكتابه الشامل وعنوانه: "التاريخ الطبيعي، العام والخاص"، الذي ألفه عام ١٧٤٩، ولم ينشر منه إلا ستة وثلاثين جزءاً من الأجزاء الخمسين التي كان يزمع إصدارها. وقد غطت الأجزاء الثمانية الأخيرة منها الزواحف والأسماك والحوتيات. انتخب بوفون عام ١٧٥٣ عضواً في الأكاديمية الفرنسية، وكانت أكاديمية العلوم قد عينته عضواً مساعداً فيها عام ١٧٣٣. شغف بوفون بالطبيعة في (مون بار) وشاطر الفلاحين معيشتهم في إدارة مزرعته، وأنشأ فيها حديقة حيوان تضم مجموعة من الطيور. حول أحد أبنية مزرعته إلى مختبر وفرن لدراسة طبيعة النار، مات في باريس.

(٥) فريق من العلماء، **خلق لا تطور،** ط١، (عربه بتصرف: الدكتور إحسان حقي)، دار النفائس-بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٣٢م، ص: ٢٣.

(٦) هو طبيب وشاعر بريطاني، وجد لداروين، ولد سنة ١٧٣١، عُرف بآرائه ونظرياته العلمية التي كان لها شأن مذكور في تاريخ نظرية التطور، ويعتبر هو و(كونت بوفون) من أوائل ومشاهير المنادين بنظريات التطور المادي على أسس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فداروين ليس مبتكراً لهذه الفكرة، إلا أنها قد اشتهرت على يده، حتى سميت بـ (نظرية داروين)؛ لأنه قد وضع على هذه الفكرة شروحات وتفسيرات وأدلة عن تغير الأنواع، محاولاً إثبات فكرة النشوء والتطور، حيث جاء في كتاب (قضية الخلق بين الماديين والمثاليين): "كانت نظرية داروين تعتبر من أمتن النظريات التي ظهرت في القرن التاسع عشر الميلادي والتي تعالج موضوع تطور الكائنات الحية من خلال عمليات التغيير التي تطرأ عليها، وتنازعها من أجل البقاء، وتأثير الانتخاب الطبيعي عليها. كل هذه العوامل أدت متحدة إلى دفع الكائنات الحية في سلم الرقي والتطور"[٢].

ويعتقد داروين أن التغيرات التي تحدث ببطء وبشكل تدريجي غير محسوسة خلال هذه الأحقاب الطويلة، حيث يقول: "على أن هذه التحولات لن يتحول بوساطتها النسل تحولاً كبيراً، فقد كان تأثره بها تدريجياً بطيئاً غير محسوس، حتى أن ((مستر بورو)) قد أبان أنه لم ير نوعاً من كلاب إسبانيا المرشدة تشابه كلابنا ((المرشدة))، مع أنها مشتقة من أصل إسباني"[٣].

وكما يزعم داروين أن سجل عصور الجيولوجيا يتفق مع نظريته، حيث أنه يؤمن بالتحول التدريجي البطيء قائلاً: "وإذا تأملنا فترات من الزمن الطويلة بالدرجة الكافية فيستفيدنا الجيولوجيا بوضوح أن كل الأنواع قد تغيرت، وأن تغيرها كان بالطريقة التي تطلبها نظريتي، إذ أنها تغيرت ببطء وبشكل تدريجي"[٤].

وسوف نبحث عن الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى التحول والتطور في الكائنات الحية عند داروين في المبحث الآتي.

---

وقواعد علمية، ومن أشهر آثاره (الحديقة النباتية) و(هيكل الطبيعة أو أصل المجتمع) و(معبد الطبيعة) الذي صدر عام ١٨٠٣، وتوفي سنة ١٨٠٢.

(١) أنظر: موسى، سلامة، **الإنسان فمة التطور،** د.ط، دار مصر للطباعة-القاهرة، ١٩٥١م، ص:٤٠.

(٢) مهدي عبرة، عبد الرسول، **قضية الخلق بين الماديين والمثاليين،** ط١، عبد الرسول مهدي عبرة للنشر والتوزيع، دون مكان النشر، ١٩٧٩م، ص: ١٤٨.

(٣) داروين، **أصل الأنواع،** ص: ١٥٦.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٧٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

**المطلب الثاني: عوامل التطور والإرتقاء عند داروين**

بُنيت نظرية داروين في النشوء والتطور على عدة عوامل هامة، يتصل بعضها بالبعض، وهي ثلاثة:-

١) التناحر على البقاء.

٢) الانتخاب الطبيعي أو بقاء الأصلح.

٣) الوراثة.

**أولاً: التناحر على البقاء:**

تأثر داروين بهذه الفكرة من مطالعته لكتاب (ملتوس) [١] الذي يدور بحثه حول المجتمع البشري، حيث يقول بأن "سكان الأرض يزيد عددهم تزايداً مستمراً في متتالية هندسية، فلو أن الحرب والمجاعات والأمراض لم تقض على بعض من الناس في كل جيل لضاقت بهم الأرض، ولم يبق فيها موضع لقدم، ولقصرت موارد الغذاء عن كفايتهم جميعاً"[٢].

فمن هنا يبدأ داروين بالتفكير في تطبيقها على جميع الكائنات من الحيوانات والنباتات، وإن عدد أفراد النوع الواحد من الكائنات كما يرى داروين يظل كما هو ثابتاً لفترة طويلة، وأنه بعد تزايدهم وتكاثرهم بالألوف، حدث الصراع والتناحر بين أفراد النوع الواحد من أجل البقاء، حيث يقول: "فإذا أمعن بعض الأنواع في التزايد بنسبة كبيرة أو قليلة، فإن كل الأنواع لا يتيسر

---

(١) ملتوس هو توماس روبرت ملتوس، عالم اقتصاد وقسيس انجليزي، ولد سنة ١٧٦٦م، وتوفي ١٨٣٤م، عرض نظريته عن المجتمع البشري في كتابه الموسوم (محاولة في دراسة السكان) في القرن الثامن عشر، قد وضح في هذا الكتاب أن عدد السكان يتزايد بأسرع مما تتزايد الموارد الغذائية، إذ أن السكان يتزايدون وفق متوالية هندسية على حين أن الموارد الغذائية لا تتزايد إلا وفق متوالية حسابية، وينتج عن ذلك عدم التوازن بين السكان وبين الوارد الغذائية مما يؤدي حتماً إلى هلاك العدد الفائض من السكان، وقد نصح مالتوس لمقاومة هذه الكوارث، بتأخير سن الزواج وتحديد النسل، وإلا تدخلت الطبيعة بوسائلها القاسية كالمجاعات والأوبئة والحروب الطاحنة (أنظر: بدوي، د. السيد محمد، **التطور في الحياة وفي المجتمع،** د.ط، مؤسسة الثقافة الجامعية-الإسكندرية، ١٩٦٦م، ص: ٦٥).

(٢) بيشين، كاترين، **رجال ومجاهر في عالم الأحياء،** د.ط، (ترجمة: د. عبد الحافظ حلمي محمد)، دار القلم-القاهرة، د.ت، ص: ٩٧، (وراجع كتابه الأصل باللغة الإنجليزية: ملتوس، توماس روبرت، **محاولة في دراسة السكان،** (١٧٩٨)، (تحقيق: جيمس بونر)، ماكميلان-لندن، ١٩٦٦م).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لها أن تمضي خاضعة للنسبة ذاتها، وإلا لضاق عليها العالم بما وسع فضاؤه، تلك هي القاعدة التي عزاها (ملتاس) إلى عالمي الحيوان والنبات"[١].

ثم يقول داروين بأن التناحر يسيطر على جميع الكائنات الحية بسبب هذا التزايد في عدد الأنواع من الكائنات زيادة سريعة، ذلك لأجل البقاء، فيبقى بعضها ويفنى بعضها الآخر وإلا لضاق العالم، حيث يقول: "بأن الكائنات العضوية قاطبة تزيد زيادة طبيعية بنسبة رياضية كبيرة، حتى أنه إذا لم تحل بنسلها أسباب الفناء لملأ وجه الأرض بتولدات زوج واحد منها في زمن يسير، فإن الإنسان وهو من الكائنات البطيئة التوالد يتضاعف عدده في عشرين سنة، وبهذه النسبة القياسية، وفي أقل من ألف سنة يضيق العالم بنسله"[٢].

ولذلك لا بد للكائنات الحية أن تتنازع لأجل البقاء في الحياة، حيث يقول داروين بأن "التناحر على البقاء نتيجة محتومة لما في طبيعة العضويات من قابلية الازدياد والتكاثر، وكل كائن في الوجود، إن أُنتج في حياته عدداً وافراً من البيض أو البذور، فلا بد أن ينتابه الهلاك في بعض أدوار حياته، أو غضون بعض الفصول أو السنين اتفاقاً، وإلا فإن عدد أفراده تتكاثر بنسبة هندسية لا يتصورها الوهم، حتى لقد نقصر أية بقعة من البقاع دون أن تعضد نتاجه، وسنن الحياة تقضي بأن يربو عدد الأفراد الناتجة على العاجز منها على البقاء، لذلك يتعين أن تجري على الكائنات سنة التناحر على البقاء، أفراد النوع الواحد بعضها إزاء بعض وأفراد الأنواع الخاصة"[٣].

ولكن لم يطلق داروين على **كلمة (التناحر أو التنازع على البقاء) إلا مفهوماً مجازياً،** "فلم يشترط أن يكون النزاع بالشكل المذكور، فكما قال داروين أنه تعبير مجازي لإجلاء الفكرة، إذ من الممكن أن يكون **النزاع على شكل انعزال الكائن الحي عن الأحياء الأخرى"[٤].**

وكذلك من الممكن أن يكون هذا التنازع **للحصول على المواد الغذائية بين الأحياء** أو أفراد النوع الواحد، لأن "الطعام لا يكفي جميع الأحياء التي تتوالد أو تتكاثر بالألوف، فهي يزاحم بعضها بعضاً، فتكون الحرب بينها، أي تنازع البقاء"[١].

---

(١) داروين، **أصل الأنواع،** ص: ١٩٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٩٤.

(٣) داروين، **أصل الأنواع،** ص: ١٩٤.

(٤) محمد، يحي، **الداروينية: عرض وتحليل،** د.ط، دار التعارف للمطبوعات-بيروت، د.ت، ص: ٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الممكن أيضاً **حصول تنازع الكائن الحي مع الطبيعة والبيئة،** مثلاً الجفاف والرطوبة، فالتناحر عند الحيوان يختلف عن التناحر عند النبات، ذلك كما وضح داروين: "إن وجود حيوانين من فصيلة السباع في مجاعة يختلف جد اختلاف عن حالة نبات في صحراء مقفرة، فإن الأولين إن كان تناحرهما على البقاء محتوماً إلا أن أنهما سوف يجدان طعاماً يقومان به حياتهما، على العكس من الثاني فإنه يجالد الجفاف، ولا خفاء في أن النبات في مثل هذه الحال يعتمد في سبيل البقاء على الرطوبة، وثمة نبات يثمر ألف بذرة كل عام ينضج منها بذرة واحدة في المتوسط، أفليست الحقيقة أن هذا النبات يتناحر في سبيل البقاء منافساً غيره من نوعه، أو أنواع أخرى، مما يكسو وجه الأرض؟"[٢].

إذن، التناحر أو التنازع على البقاء عند داروين إنما يؤدي إلى المعنى المجازي، كما يقول داروين: "أطلق اصطلاح (التناحر على البقاء) إطلاقاً مجازياً صرفاً، لدلالته عليها وملاءمته لها"[٣].

**والمراد به هو التلاؤم والتكيف مع البيئة،** فالأكثر منهم تلاؤماً وتكيفاً بما يحيط به من البيئة له فرصة أكبر للبقاء على وجه الأرض، تحدث إذا وجد لديهم الخصائص أو الصفات المفيدة، أما الذي لم تكن لديهم هذه الصفات المفيدة، ستسبب في عدم القدرة على التكيف مع البيئة، فسيكون ضعيفاً، وعلى مرور الزمن، تموت وتنقرض أنواعها، يقول الدكتور بدوي: "يمكننا أن نفهم هذا الأثر إذا أخذنا في اعتبارنا في تنازع البقاء يترتب عليه كنتيجة حتمية فناء عدد كبير من أفراد النوع، كما يترتب عليه كذلك أن الأفراد التي تستطيع أن تواصل الحياة، هي الأكثر تكيفاً مع البيئة وظروف الحياة"[٤].

فإن هذا التنازع هو الذي يُسمى تنازع البقاء، ويعني التنازع لأجل البقاء، وأن الذي يبقى هو أصلح الموجودات للبقاء، أي هو بقاء الأصلح[٥].

---

([١]) موسى، **هؤلاء علموني،** ص: ٤٦-٤٧.

([٢]) داروين، **أصل الأنواع،** ص: ١٩٣.

([٣]) المصدر نفسه، ص: ١٩٣.

([٤]) بدوي، د. السيد محمد، **التطور في الحياة وفي المجتمع،** د.ط، مؤسسة الثقافة الجامعية-الإسكندرية، ١٩٦٦م، ص: ٦٨.

([٥]) أنظر: خان، محمد صالح كريم، **الإنسان والداروينية: تحقيق علمي ودراسة لإدراك الحقيقة من أجل الحقيقة ذاتها،** د.ط، مطبعة الجمهور-الموصل، ١٩٧٦م، ص: ٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا الصراع يظل مستمراً في الأحياء، حيث يقول داروين بأنه هو "عامل مضطرد التأثير غير منقطع الفعل، فكل نبات أو حيوان يبرز في الوجود، ينبغي له أن يسعى إلى الرزق، وأن يجالد في سبيل ذلك، وأن يجاهد غيره على ضرورات الحياة"[١].

وكذلك يقول داروين: "فإذا نظرنا في سنن التناحر على البقاء، نظر المتأمل، فلا نلبث أن نوقن بأن هذه الحروب الطبيعية غير متناهية، أو هي غير قابلة للانتهاء، وأنه ليس هناك من خطر على الأنواع من جراء ما يعتريها من الهلاك، وأنه لا يبقى حياً منها أو يتضاعف عدده إلا الأنواع التي تهيء لها قوتها، أو كمال بنيتها الطبيعي، سبيل الاحتفاظ بكيانها"[٢].

وهذا ما يقصده داروين، الأفضل والأصلح منها هو الأكثر تكيفاً مع البيئة فسيبقى، وما دون ذلك سيموت وينقرض أنواعه، وبالتالي، تنتج هذه العملية أن الصالح يبقى فقط في هذا العالم، وبهذا أطلق على ذلك داروين اصطلاح (البقاء للأصلح)، فهذا العالم عنده إنهما للأصلح والأكمل منها فقط دون غيره، فهذا الأصلح له الفرصة للتناسل أكثر من دون ذلك، أما غير الصالح أو الأقل تكيفاً مع البيئة فسيكون مصيره الهلاك والفناء ولم يورث صفاته.

وهذه العملية هي إحدى الأسباب التي تؤدي إلى الاختلافات والتغايرات بين أنواع الكائنات بعضها من بعض عند داروين، وإلى تطور الأحياء وتحولها عن أنواعها السابقة، وذلك عن طريق التناحر أو الصراع من أجل البقاء.

**ثانياً: الانتخاب الطبيعي أو بقاء الأصلح:**

أما العملية الثانية التي تؤدي إلى التغيرات والتحولات في الكائنات عند داروين فهي الانتخاب الطبيعي أو بقاء الأصلح، تتعلق وتعتمد هذه العملية مباشرة على أساس التناحر والتنازع على البقاء.

إن الطبيعة هي التي "ما اختصت به من القوة، والطبائع الأربع عند الأقدمين وهي الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة"[٣].

---

(١) داروين، **أصل الأنواع**، ص: ٣٨-٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢١٢.

(٣) مدكور، **المعجم الوسيط**، ص: ٥٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبين داروين قصده من الطبيعة وسننها فيقول: "لست أقصد بالطبيعة سوى فعل الاجتماع مقروناً بتأثير السنن الأخرى، كما أني لا أقصد بالسنن سوى تتابع وقوع الحوادث الكونية كما ثبتت حقائقها لدينا"[١].

وقد أعطى داروين أمثلة من الطبيعة، منها مؤثرات المناخ، وظروف البيئة المحيطة بالكائنات التي تساعد وتؤدي إلى الاختلاف وتغير الأنواع فيقول: "لا سبيل إلى تدبر الانتخاب الطبيعي ودرس مؤثراته إلا بالبحث في حالات إقليم يتغاير مناخه تغايراً طبيعياً طفيفاً، فإن عدد الأفراد النسبي فيه يتغير تغيراً سريعاً، ويغلب أن يذهب الانقراض ببعض أنواعه، ونستنتج مما وعيناه من الاختلاط والترابط الذي يصل بعض سكان الأقاليم المختلفة ببعض، أن كل تغير يطرأ على نسبة عدد قُطّان بقعة من البقاع، بغير تأثير من تغاير المناخ ذاته، يؤثر فيها بأهل بقعة أخرى تأثيراً عظيماً"[٢].

أما **الانتخاب الطبيعي أو البقاء للأصلح عند داروين،** فإنما يقتضي أن الطبيعة هي التي تحفظ على الصفات المفيدة في الأنواع الصالحة دون غيرها، وهي التي تنتقي الأنواع الصالحة للبقاء على قيد الحياة، وأما الأنواع التي ليست لديها تلك الصفات فستفنى بسبب عدم الاحتفاظ من الطبيعة، يقول داروين "وإنا لنعلم علم اليقين أنه لو كان في حدوث أي تحول، مهما كان طفيفاً، ضرر بالأنواع لبادت وللحقت بما غبر خلال القرون، وحفظ تلك التباينات الفردية المفيدة، ثم إبادة الضار منها هو ما سميته (الانتخاب الطبيعي) أو (البقاء الأصلح)" [٣].

**فالانتخاب الطبيعي،** إذن **يؤثر على أمرين، وهما أولاً:** تأثير الطبيعة بحفظ الأنواع الصالحة لأجل البقاء والتناسل على الأرض، **وثانياً:** إهلاك الأنواع غير الصالحة وعدم تناسلها وتكاثرها لسبب عدم استطاعتها التكيف مع البيئة.

**أما الأول،** فإن تأثير الطبيعة فيكون في حفظ تلك التحولات المفيدة التي ظهرت في الأحياء وتكون مفيدة لها في حياتها الطبيعية، ولذلك سماها داروين الصفات أو الخصائص المفيدة. فللطبيعة أثر في انتقاء هذه الصفات المفيدة، كما يقول داروين: "إذ يساعد بالانتخاب الطبيعي على

---

(١) داروين، **أصل الأنواع،** ص: ٢١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢١٥.

(٣) داروين، **أصل الأنواع،** ص: ٢١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إبراز آثاره، وتهيء للأنواع جم الفرص والسيادة، بما تحدثه فيها من التحولات المفيدة، ولو لم تظهر تلك التحولات لما كان للانتخاب الطبيعي أثر ما"[١].

ومن خلال ملاحظة داروين للحشرات والطيور بالألوان المخصصة لها فهو يعتقد "اعتقاداً راسخاً بأن هذا التلون ذو فائدة لهذه الطيور وتلك الحشرات في حفظها من الأعاصير والأخطار المحدقة بها"[٢].

ولذلك يعتقد داروين بأن الانتخاب الطبيعي هو السبب الفعال في تشكيل كل نوع بما يلائمه من الألوان، وجعلها لبوساً دائماً لها ما دعت الحاجة إليه.

فالتحوت الطفيفة التي اكتسبت بها الكائنات الحية وطرأت على أشكالها وتركيبها العضوي وإذا كانت صالحة لها، فهي على رعاية الطبيعة أن تحفظها، ومن المضطرد أن تبقى هذه الأحياء على الأرض حتى تكون الأقوى والأصلح، حيث قال داروين: "أما في الطبيعة فإن التحولات التي تلحق الشكل الظاهر أو التركيب تؤلف سبباً وجيهاً لحفظ التوازن في التناحر للبقاء، وبذلك يتعين حفظها ويتحتم بقاؤها"[٣].

وهكذا، فالطبيعة إنما تعمل وتؤثر دائماً وباستمرار لحفظ الأنواع الصالحة دون غير الصالحة أو الأقوى دون الأضعف، حيث يقول داروين: "وقد نستطيع أن نقول على سبيل المجاز: إن الإنتخاب الطبيعي قوة دائبة الفعل كل يوم، بل كل ساعة في استجماع التحولات العرضية في العالم العضوي كافة، نافية كل ما كان منها مضراً، مبقية على كل ما كان منها مفيداً صالحاً، تعمل في همودها وسكونها عملها الدائم، ما سمحت الفرص في كل زمان ومكان، لتهذيب كل كائن من الكائنات بما يلائم طبيعة حالات الحياة المحيطة به، ما اتصل منها بالموجودات العضوية وما اتصل بغير العضوية"[٤].

فقد وصف داروين الطبيعة كالعلة للمعلول، فهي تستطيع أن تحدث تحولات أخرى من استجماع من مؤثرات المناخ والغذاء على الكائنات الحية، كما يقول "فإذا أردنا أن نتدبر كثيراً من

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٢١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢١٩.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢١٨.

(٤) داروين، **أصل الأنواع**، ص: ٢١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفروق الشتى الواقعة بين الأنواع، التي نعتبرها غاية ما تنتهي إليه الفروق من الشأن والخطر، والتي لا نستطيع أن نحكم عليها إلا بقدر ما يسمح لنا مبلغ علمنا بها، فلا يجب أن نغفل عن أن المناخ والغذاء وبقية المؤثرات الأخرى قد أثرت في إنتاجها تأثيراً مباشراً، ومن الواجب أن نعي دائماً أنه إذا تحول جزء من أجزاء كائن ما، واستجمع الانتخاب الطبيعي كل التحولات التي قد تطرأ عليه، فلا بد من أن تحدث فيه تحولات وصفية أخرى، ولو لم يكن من المنتظر حدوثها، وفقاً لقانون العلة والمعلول"[١].

**وأما ثانياً:** فإن الطبيعة تؤثر أيضاً في إفناء الكائنات الضعيفة، التي ليست لديها الصفات المفيدة لأجل التكيف مع البيئة؛ لأن الانتخاب الطبيعي عند داروين يؤدي إلى "تحويل صفات العضويات، موكل بإفناء صور الحياة المنحطة، صفاتها والحلقات الوسطى التي تصل بعض الصور ببعض، وهذه القواعد تكشف لنا عن طبيعة الروابط التي تقع بين العضويات وتعين لنا الفروق التي تفصل بين الكائنات على اختلاف مراتبها في العالم الحي"[٢].

**وخلال هذه العملية،** يمكن للطبيعة-عند داروين- إحداث التطور في الأحياء، ذلك بحفظ الصفات المفيدة لدى الكائنات الحية، وبالإبقاء والإدامة لتلك الأنواع الصالحة، والإفناء للأنواع غير الصالحة، وبالتالي تنشأ منها الأنواع الجديدة التي تختلف عنها.

فالطبيعة عند داروين هي التي تختار وتعين كل صفة تملكها أنواع الكائنات، حيث يتحدث داروين عن تأثير الانتخاب الطبيعي في الصفات المفيدة للكائنات التي تريد لها البقاء على قيد الحياة، ذلك كما أشرنا في قول داروين: "**وأما الطبيعة فلا تأخذ بأسباب الانتخاب إلا لفائدة الكائن الذي تريد حفظه وبقاءه، وإن الطبيعة لتكاد تتخير كل صفة من الصفات المنتخبة، ويستدل على ذلك استدلالاً قاطعاً بأنها تنتخب صفة دون سواها**"[٣].

وأنواع الكائنات عندما تضعف في سبيل التناحر وعدم الملاءمة مع البيئة، فإنها تموت ثم تنقرض أنواعها، فتظهر أنواع جديدة خلال تعاقب الزمن تحت تأثير الانتخاب الطبيعي، حيث يقول داروين: "تسوقنا هذه الاعتبارات إلى التسليم بأنه كلما جد الانتخاب الطبيعي في استحداث

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٢٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٨٢.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنواع جديدة خلال تعاقب الأجيال، مضت أنواع غيرها ممنعة في سبيل الندرة درجة بعد درجة، حتى يأتي عليها الانقراض"[١].

وصف بعض العلماء مقصد داروين في ذلك بأنه: "كأن هناك قوى في الطبيعة تختار فيما بين الكائنات وتعمل على حفظ التوازن بين أنواع الحياة وذلك في البيئات المختلفة"[٢].

وهكذا تتحول وتتطور الكائنات الحية عند داروين بالإفناء والإهلاك للأنواع غير الصالحة عن طريق حفظ وانتقاء الأنواع الصالحة على البقاء، ثم تنقرض الأنواع غير الصالحة على مر الزمان، فتظهر من بعدها أقوى الأنواع الجديدة التي تتلاءم مع البيئة.

يتحدث داروين في كتابه بأن هذه العملية يمكن أن تقود إلى إيجاد أنواع جديدة تختلف عن سابقها وتطورها وترتقي بها، ويقول داروين: "يؤثر الانتخاب الطبيعي بصورة مطلقة عن طريق الاحتفاظ بالتحولات واستجماع ما يكون منها ذا فائدة في ظل الحالات العضوية وغير العضوية التي يتعرض لها الأحياء في كل أدوار الحياة. **أما الحياة النتيجة النهائية فمحصلها أن كل حي ينزع إلى أن يرتقي ويتهذب شيئاً بعد شيء من حيث علاقته بالظروف التي تحيط به، وهذا التهذيب محتوم أن يؤدي إلى ارتقاء تدريجي يصيب النظام العضوي الخاص بالعدد الأوفر من الكائنات الحية في جميع أطراف الأرض"[٣].**

كما ورد في كتاب (النشوء والتطور في الكائنات الحية): "وبذلك يتحول النوع تدريجياً في اتجاه التركيب الأصلح الذي أمكنه البقاء، فالطبيعة تختار الصفات الصالحة من الاختلافات الصغيرة المستمرة التي تتراكم بمرور الأجيال حتى تصبح في آخر الأمر صفات جديدة مميزة تعين وتساعد الكائن الحي على النشوء والارتقاء"[٤].

**ثالثاً: الوراثة**

أما الوراثة عند داروين فهي العملية التي تشرح كيفية انتقال صفات مفيدة من جيل إلى جيل، حيث إنه يعتقد بتوريث الصفات المفيدة من الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة، و"أن تلك

---

(١) داروين، **أصل الأنواع،** ص ٢٥٤.

(٢) أنظر: الشحات، وكمال طلبة، **نظرية التطور بين العلم والدين،** ص: ٤٣.

(٣) داروين، **أصل الأنواع،** ص: ٢٧٢.

(٤) المصري، **النشوء والتطور في الكائنات الحية،** ص: ١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفات المميزة التي ساعدت هذه الآباء على البقاء والتكاثر موجودة في التراكيب الوراثية لهذه الآباء، إذ تلك الصفات تنتقل من جيل الآباء إلى الجيل التالي عن طريق الوراثة، ومن ثم يكون لجيل الأبناء فرصة التكاثر والبقاء"[١].

وهذه الصفات المميزة إنما تتوارث من الآباء إلى الأبناء، وبتعيين وبحفظ من الطبيعة، وبهذه الوسيلة تؤدي إلى التغير والتطور العضوي في الكائنات عند داروين، يقول (جي.إم.سفج): "إن الطبيعة إنما تختار أولئك الأفراد الأكثر ملائمة للعيش، على حين يفشل الأفراد الأقل ملائمة في التناسل، ثم إن الخصائص التي يفضلها الانتخاب سوف تمر إلى الجيل القادم"[٢].

والحقيقة، إن داروين لم يعرف كيفية عملية الوراثة في حمل التنوعات والتحولات تفصيلاً كما اكتشفها علماء التطور بعده، ذلك "بسبب انعدام المعلومات عن الأجهزة البيولوجية في وقته، ومنها على سبيل المثال عدم معرفة الكروموسومات أو الجينات"[٣]، وإن ما استنتجه من فكرة تغير وتطور الأنواع من التوريث بُني على أن بعض الصفات تورث بسبب انتقالها من الآباء إلى الأبناء[٤].

وقد أخذ داروين هذه الفكرة من نظرية لامرك في وراثة الصفات المكتسبة لتوضيح الطريقة التي تؤدي إلى تغير الأنواع، ثم فسرها "بعوامل الانتخاب للجينات التي لها ملاءمة تكاثرية وعزل المجتمعات في تطورات فريدة كعوامل رئيسية لنشوء الأنواع"[٥].

هذه الفكرة تسمى أيضاً بقانون (استعمال الأعضاء وإهمالها) بحيث تنمو الأعضاء أو تضمر تبعاً للحاجة[٦]، حيث يرى لامرك أن الكائنات الحية تتطور وتتحول بسبب سلوك الكائنات وطريقة حياتها والظروف التي كانت تعيش فيها التي شكلت صورها الجسدية وأعضاءها

---

(١) الشحات، وكمال طلبة، **نظرية التطور بين العلم والدين،** ص: ٤٥.

(٢) سفج، جي. إم، **التطور،** ط٣، (ترجمة: د.ساهي جواد ضاحي)، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-جامعة الموصل، ١٩٧٧م، ص:٣٩.

(٣) فالكونر، دوغلاس سكوت، **المدخل إلى الوراثة،** د.ط، (ترجمة: د. وليد خضير المرلني)، سيما روتوماج-فرنسا، د.ت، ص:٨.

(٤) أنظر: المصدر نفسه، ص:٨.

(٥) العذاري، د. عدنان حسن محمد، **أساسيات في الوراثة،** ط٢، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-جامعة الموصل، ١٩٨٧م، ص: ٨٥٥.

(٦) أنظر: المدرسي، هادي، **عن الإنسان والمادية الاروينية،** د.ط، دار التعارف-بيروت، ١٩٧٨م، ص: ٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخصائصها[١]، ومن الأمثلة المشهورة لديه؛ تغيير عضو الزرافة، حيث يقول: "من المعروف أن هذا الحيوان وهو أطول الثدييات، مضطر لأن يقتات على أوراق الأشجار، إذ أنه يعيش في أراض قاحلة، وقد نتج عن هذا السلوك الذي التزمته الزرافات أمداً طويلاً من الزمان، أن الرجلين الأماميتين أصبحتا أطول من الرجلين الخلفيتين في السلالة كلها، وأن الرقبة قد استطالت حتى أصبحت ترفع الرأس إلى ما يقرب من ستة أمتار"[٢].

فالتطور كما يرى لامرك يحدث بسبب تغير عضو أنواع الكائنات ليتلائم مع البيئة بمرور الزمان، وذلك إنما يحدث بسبب سلوك الكائنات وطريقة حياتها والظروف التي كانت تعيش فيها التي شكلت صورتها الجسدية وأعضاءها.

فهناك تشابه بين داروين في هذه النظرية مع لامرك إلا أن هناك اختلاف بينهما فيها، فلامرك يرى أن التراكيب الجديدة أو الكبيرة سوف تظهر بسبب رغبة داخلية لدى الكائنات، وهي عادات وسلوك الكائنات التي شكلت صورتها الجسدية؛ مما يؤدي إلى التطور العضوي، بينما يعتقد داروين بأن ليس من هذه المهارات، وإنما هي من اختيار الطبيعة لينتخب الصفات أو الخصائص المفضلة لدى الكائنات الحية[٣].

وشرح داروين ذلك، فقال: "بما أن عدد الأفراد الذين يولدون لكل جنس أكبر من أن يعشوا، وبما أن نتيجة ذلك تحتم صراعاً مستمراً على البقاء، فسيتبع ذلك أن الأفراد الذين يختلفون حتى ولو بصورة بسيطة عن أقرانهم اختلافاً مفيداً لذاتهم تحت الظروف المعقدة المختلفة السائدة للحياة يملكون فرصة أكبر للبقاء، وينتخبون بصورة طبيعية، ومن قوانين الوراثة، إن الأنواع المنتخبة تتوالد وتنتشر أنواعها الجديدة"[٤].

فالوراثة تعمل تحت سيطرة الطبيعة في اختيار الصفات المميزة والمفضلة للأنواع والضروب الخاصة بالكائنات الحية، حتى يمكنها أن تعيش وتستمر الحياة بهذه الصفات المختصة لها، ثم تنتقل هذه الخصائص والصفات المميزة بالوراثة إلى أنسالها، فهي أيضاً تؤدي إلى التغير التطوري للأنواع عند داروين.

---

(١) أنظر: بيشين، **رجال ومجاهر في عالم الأحياء**، ص: ٨٧.

(٢) المصدر نفسه، ص:٨٨.

(٣) أنظر: سفج، **التطور**، ص: ٣٦.

(٤) أنظر: فالكونر، **المدخل إلى الوراثة**، ص:٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذاً، فالتغاير في الكائنات الحية كما شاهدنا اليوم وكما زعم داروين إنما يكون لهذه الأسباب. وكما يقول بعض العلماء: "فإن مجرد اكتساب فارق عضوي يفيد في بقاء الفرد، لا يكفي لتفسير تغيرات النوع، بل إن من الواضح أن هذه التنوعات ينبغي أن تكون قابلة للنقل عن طريق الوراثة، ولولا ذلك لعادت ذريته إلى المستوى العادي للنوع"[١].

فالكائنات الحية السابقة تورث هذه الخصائص المميزة إلى الأجيال اللاحقة كأعدادٍ لها لتعيش ولتتكاثر، حيث إن تلك الصفات المميزة في التركيب الجسمي الذي يملكه به الآباء للبقاء على قيد الحياة ينتقل من جيل الآباء إلى الجيل التالي عن طريق الوراثة، فتكون للأجيال التالية فرصة التكاثر والبقاء[٢].

ويرى (ميد هنتر) أن هذه المميزات تنتقل عن طريق الوراثة، وتكون قد اكتسبها بالميلاد، وبعد مدة طويلة وأجيال متعددة أخرى تحصل أنواع جديدة تختلف شكلاً عن الأجيال السابقة، حيث وضح ذلك بالقول: "إن فر التطور بأسره تتوقف على إمكان أو عدم إمكان نقل هذه التنوعات عن طريق وسيلة الوراثة العادية، ومن حسن حظ هذا الفرض أن الملاحظة والتجربة قد أثبتتا أن نقل الفوارق شديدة الضآلة يعود واحد من أبوينا قد اكتسبها بالميلاد، وهذا الفارق راجع إلى نوعين كما كان داروين يعتقد، فإن النتيجة التراكمية لعدة أجيال من هذه التنوعات يمكن بسهولة أن تكون نوعاً جديداً"[٣].

ومن خلال هذه العملية يمكن للكائنات القوية والصالحة أن تنقل صفاتها المفيدة إلى أنسالها؛ مما يجعلها أصلح من آبائهم، وهي فرصة لديها للتناسل والتكاثر، وكذلك أن الأنواع غير الصالحة لم تصلح للبقاء ولم تتكاثر أو تتناسل، ولم تورث صفاتها، فأدى ذلك إلى موتها وهلاكها.

وهذه العمليات كلها من التنازع على البقاء، والانتخاب الطبيعي وكذلك الوراثة يمكن أن تقود إلى تحول وتطور تدريجي عند داروين، وبالتالي نشوء أنواع كائنات جديدة تتغير وتختلف عن الأنواع السابقة.

---

(١) ميد، هنتر، **الفلسفة أنواعها ومشكلاتها**، ط٣، (ترجمة: د.فؤاد زكريا)، دار النهضة، القاهرة-مصر، ص: ١١٠.

(٢) أنظر: الشحات، وكمال طلبة، **نظرية التطور بين العلم والدين**، ص: ٤٥.

(٣) ميد، **الفلسفة أنواعها ومشكلاتها**، ص:١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## المبحث الثاني: أصل الموجودات عند داروين

**تمهيد:**

جاء **(الكون) في اللغة** بمعنى "الحدث، كالكينونة، والكائنة: الحادثة، وكونه: أحدثه، والله أحدث الأشياء أوجدها"[١].

**والكون اصطلاحاً:** "عند أهل التحقيق، الكون عبارة عن وجود العالم، من حيث هو عالم لا من حيث أنه حق، وإن كان مرادفاً للوجود المطلق العام عند أهل النظر، وهو بمعنى الكون عندهم"[٢].

**أما العالم،** فبوجه عام، مجموع الأجسام الطبيعية كلها من أرض وسماء[٣].

يقدم الجرجاني العالم بأنه: كل ما سوى الله من الموجودات[٤].

**وأما الحياة،** فهي ضد الموت، قالوا: إنها صفة توجب للموصوف بها العلم والقدرة، وقيل: إنها مجموع ما يشاهد من قوى الحس والحركة والتغذية والتنمية والتكاثر[٥].

وعندما نتكلم عن أصل الحياة، فإن هذه المشكلة من أصعب الأمور التي شغلت أذهان الناس، وهي أمور غيبية لا تدرك إلا عن طريق مصدر موثوقة وهو القرآن الكريم والسنة النبوية، وبدونهما لم نستطع أن نفسرها ونحدد ما هو أصل الكون والحياة، وقد أقر العلماء بذلك حين بحثوا عن ماهية الحياة وحقيقتها، فقال بعضهم: فالأشياء التي نشير إليه باعتبارها (حية) لها من الكثرة والتنوع بحيث يصعب التوصل إلى تعريف مشترك لها ولو على نحو أولي"[٦].

---

(١) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط،** ط١، (تحقيق: عبد الخالق السيد عبد الخالق)، مكتبة الإيمان-منصورة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص: ١٠٤٩.

(٢) الحفني، **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة،** ص: ٦٩٣.

(٣) أنظر: مدكور، **المعجم الفلسفي،** ص: ١١٥.

(٤) أنظر: الجرجاني، علي بن محمد الشريف، **كتاب التعريفات،** د.ط، مكتبة لبنان-بيروت، ١٩٧٨م، ص: ١٤٩.

(٥) أنظر: الحفني، **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة،** ص: ٣٢٠-٣٢١.

(٦) ميرفي، مايكل. ب. وأونيل، لوك. أ.ج، **ما هي الحياة؟ الخمسون سنة المقبلة تأملات حول مستقبل البيولوجيا،** ط١، (ترجمة: أحمد حسن مغربي)، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت-لبنان، ٢٠٠١م، ص:٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي كتاب (أسرار الحياة) وُصف تعريف الحياة بأنه كمثل تعريف الكهرباء، غاية في الصعوبة، لا نعرف ماهيتها ولا نستطيع تعريفها[١].

ولكن مهما كانت صعوبة هذه الأشياء، فقد حاول العلماء منذ العصر القديم أن يحلّوها، وظن الكثيرون أن سر الحياة أصبح في متناول اليد.

أما أصل الكون، فقد افترض علماء المادة بأن الكون إنما وُجد منذ الأزل، ليس له بداية، وهذه الفكرة التي تسمى بـ (سرمدية الوجود) قد اقتبست من الفلسفة الإغريقية القديمة، حيث يقولون بأن الكون هو كتلة مادية محضة لم تخلق، وإنما وجد في الزمن اللانهائي، وسوف يبقى كذلكإلى الأبد[٢].

**المطلب الأول: الكون.**

أما مبحث أصل الكون فلعلّ داروين لم يقدم أية شروحات عنها تقريباً، إذ أننا لم نجد خلال دراستنا في أهم كتبه وهو كتاب (أصل الأنواع) وكذلك كتابه (تسلسل الإنسان) أية تدخل من داروين في البحث عنها إلا إشارات بسيطة.

ولكن من الواضح أنه يعتقد في التطور التاريخي في البحث عن كل الأشياء، فلم يخرجه في البحث عن الكون والحياة، فقد تحدث داروين في كتابه عن أن بداية ظهور الأرض فقد كانت عبارة عن كتلة واحدة متماسكة الأطراف متواصلة النواحي، ثم تطور تطوراً تدريجياً خلال العصور البعيدة.

وذلك كما يشير في قوله: "يجب أن نعي بادئ ذي بدء، أن مساحات الأرض الكبيرة التي نراها في الزمان الحاضر كتلة واحدة متماسكة الأطراف متواصلة النواحي، لا يمكن أن تكون قد ظلت على ما هي عليه من الوحدة أزماناً موغلة في القدم، إذ أن علم طبقات الأرض يسوقنا قسراً إلى الإعتقاد بأن أكثر القارات العظمى التي تؤلف أرضنا الحاضرة، قد انقسمت إلى جزر عديدة خلال تكون طبقات العصر الثالث، وأن أنواعاً معينة لا بد من أن تكون قد استحدثت في كل من

---

(١) أنظر: عبد العزيز أمين، د. مصطفى، وعبد العزيز، د.أمين، **أسرار الحياة،** د.ط، دار المعارف-مصر، ١٩٤٨م، ص:٥.

(٢) أنظر: يحيى، هارون، **خلق الكون،** ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص:١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تلك الجزر متسقلة بذاتها، من غير أن تظهر في البقاع التي تقع بين ما هي الأنواع المستحدثة، ضروب وسطى تربط بينها، والمساحات البحرية التي نراها في الزمن الحاضر دائمة الإتصال، لا يتسير أن تكون قد ظلت على تواصلها وتجانس أطرافها، مدى الأزمان الأولى، ذلك لما يحدثه تغير شكل الأرض واختلاف المناخات من الآثار الجلي"[١].

لم يكن داروين إلا مقلداً لتفسيرات علماء الجيولوجيا في البحث عن أصل الكون، بالإضافة إلى أن الحقيقة أنه تأثر كثيراً برأي العالم الجيولوجي (تشارلز لايل)، وأنه يعتمد على كتابه (مبادئ الجيولوجية)، وأخذه أساساً لفكرته[٢].

ولو نظرنا إلى رأي علماء الجيولوجيا، سوف نرى فيها تفسيرات من جانب الفكرة المادية فحسب، فالأرض، كما يقولون هي كتلة من المادة ذات حرارة عالية عند أول انفصالها من النظام الشمس، ثم أخذت تبرد ببطء شديد حتى صارت بقوام الجماد، ثم يقولون: "وقبل ذلك، أي عندما بدأت تأخذ القوام العجيني، كانت كتلة من المادة المصهورة شديدة البياض، وبتناقص الحرارة تدريجياً، نزلت إلى الحالة النارية، أي أصبحت حرارتها حمراء اللون، أما الجزء الأثقل وزناً من هذه الكتلة، فانفصل عن الجزء الأخف وتألف منه بطن الأرض، كما تألفت من الجزء الخفيف قشرتها"[٣].

يقول بعض العلماء بأن هذه العملية حدثت "منذ أكثر من خمسة آلاف مليون سنة مضت"[٤]، وكما يعتقد علماء التطور، فإن الكون كان "كتلة واحدة قبل نحو خمسة آلاف مليون سنة فقط، ثم انفجرت هذه الكتلة فنشأت منها المجرات بشموسها وكواكبها"[٥].

ثم يتحدث علماء الجيولوجيا عن كيفية تطور عملية الأرض حتى أصبحت من اليابسة والماء كما نشاهدها حالياً، حيث إن "مركز كرة الأرض وهي التي تتألف من معادن ثقيلة، لا تزال في حالة الذوبان، أما القشرة فتؤلف ذلك الأديم الذي يسمى بالتربة أو الثرى، وفوق الأرض أيضاً الماء الذي نسميه البحار والبحيرات والأنهار، وفي الدور الذي كانت فيه الأرض كتلة منصهرة،

---

(١) داروين، **أصل الأنواع**، ص: ٣٣١.

(٢) أنظر: بدوي، د. عبد الرحمن، **موسوعة الفلسفة**، د.ط، ج١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ت، ص:٤٧٣.

(٣) داروين، **أصل الأنواع**، ص: ٣٦-٣٧.

(٤) الشحات، وكمال طلبة، **نظرية التطور بين العلم والدين**، د.ط، ص:١٠١.

(٥) موسى، **الإنسان قمة التطور**، ص:٥٩-٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غشاها غلاف كثيف من الماء بخاري القوام، فلما بردت برد معها ذلك الغلاف البخاري واستحال ماء، كذلك تقلصت الأرض عندما أخذت تبرد تدريجياً، فتجعد سطحها، كجلد تفاحة جفت وانضمرت، وفي الأغوار المنخفضة تجمع الماء، وانتهى الأمر بأن أصبحت الأر كرة من يابس وماء"[١].

واعتمد داروين على العصور الجيولوجية في تقسيم مدة الزمان إلى عدة أزمنة أو أحقاب كما خطّها العلماء الجيولوجيون، حسب أدلة الحفريات أو المتحجرات في تعيين بدء تاريخ نشوء الحياة في الكون، وقد وضح من خلال كتاب (التطور والسجل الحفري) إن داروين قد أخذ النظرية التي جاء بها (جيمس هتون) في القرن الثامن عشر، و(تشارلز لايل) في القرن التاسع عشر حيث يزعم أن الحقائق الجيولوجية الملاحظة كافية تماماً لشرح تاريخ الأرض، ورفض داروين نظرية الكوارث كتفسير للتغير المفاجئ في السجل الحفري[٢].

فالكون وما فيه من السموات والأرض والبحار والبر إنما تطور حسب رأي الجيولوجي حتى بعد أن تبلغ الأرض هذا المبلغ من النشوء، أزماناً متطاولة، بل موغلة في التطاول، ذلك قبل أن يظهر على سطها شيء من الكائنات الحية، وقد ادعى هؤلاء أن أول نشأة للحياة فكانت في الماء، ومنها تأصلت[٣].

وسنتحدث عن نظرية داروين ورأيه في أصل الحياة، وهل تتفق مع رأي علماء الجيولوجيا فيها؟ وكيف نشأت الحياة عنده في المبحث الآتي، إن شاء الله.

---

(١) داروين، **أصل الأنواع،** ص:٣٧.

(٢) أنظر: قراءات من المجلة العلمية الأمريكية، (مقدمة: ليو. لايورت)، **التطور والسجل الحفري،** د.ط، (ترجمة: د. محمد السيد غلاب)، مكتبة الأنجلو المصرية-القاهرة، ١٩٨١م، ص: ٣١٦-٣١٧.

(٣) أنظر: داروين، **أصل الأنواع،** ص: ٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

**المطلب الثاني: نشأة الحياة.**

كما كان هو الحال في مبحث أصل الكون، كذلك الحال في مبحث أصل الحياة إذ إن داروين لم يفسر ويبين عنها إلا القليل.

وقد أثبت الدكتور جورج حنا ذلك إذ يقول: "أما داروين فلم يتطرق إلى السؤال: من أين نشأت الحياة أو كيف نشأت..." [١].

ولكن من الواضح، أننا نجد داروين يعتقد أن الحياة تأصلت من المائية، وهي في أبسط صورتها ثم تطورت منها الكائنات أكثر تعقيداً ورقياً، وذلك عند اكتشافنا في تفسيره عنها في مقدمة (سرجيوس) في ترجمته لكتاب (أوبارن)، حيث كتب داروين في رسالته إلى (ج. هوكر)، سنة ١٨٧١م، وتحدث فيها عن كيفية نشأة الحياة البدائية، فيقول: "يقال غالباً وتكراراً إن كافة الظروف التي طرأت على المنتج الأول من الكائنات الحية موجودة الآن والتي وجدت على الدوام والتي قد توجد في البرك الدافئة مع بعض أنواع من الأملاح كالأمونيا والفوسفور، والضوء، والحرارات، والكهرباء، حالياً، وأن مركّب البروتين تكون بصورة كيميائية تجعله قادراً على تحمل التغيرات الأكثر تعقيداً والذي هو حالياً عرضة للامتصاص أو الالتهام بسرعة على خلاف الكائنات الحية عند نشوئها سابقاً"[٢].

( It is often said that all the conditions for the first production of a linving orgamism are now present, which could ever have been present, But if we could conceive in some warm little pond, with all sorts of ammonia and phosphoric salts, light, heat, electricity, etc, present, that a protein compound was chemically formed ready to undergo still more complex changes, the present day, such matter would be instantly devoured or absorbed, which would not have been the case before living creatures were formed)

---

(١) حنا، الدكتور جورج، **قصة الإنسان،** ط٣، دار العلم للملايين-بيروت، ١٩٥٩م، ص:٩.

(٢) أوبارن، ألكسندر أفانويك، **أصل الحياة،** (ترجمة إلى اللغة الإنجليزية: سرجيوس مورجولس)، ط٢، منشورات دوفر-نيويورك-الولايات المتحدة، ١٩٥٣م، المقدمة، ص: ٥-٦، (إن هذا الكتاب ليس مترجماً للغة العربية، وإنما استعنت مكتب المسرة للترجمة المعتمدة حيث قاموا بترجمة هذه العبارات الهامة والتي تعبر عن خلاصة نظرية داروين في أصل الحياة، ولذا أرفقتُ بها النص الإنجليزي حتى يكون مجالاً للمناقشين للمطابقة وبيان سلامة المرجع المنقول منه المادة العلمية).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذهب بعض العلماء إلى أن هذه العملية إنما تحدث بالتوالد ذاته، بدون أي فعل خارجي، كما ذكر في كتاب (الداروينية: عرض وتحليل): "إن المواد الكيمائية البسيطة في الهيئات الصغيرة أو في المياه الضحلة قد تشكل عفوياً المركبات العضوية في وجود الطاقة من الحرارة والضوء، أو الكهرباء أو الصواعق، ويمكن لهذه المركبات العضوية تكرار ذلك الحين مع تطورات لإنشاء نماذج أكثر تعقيداً"[١].

وكما يقول العالم التركي (هارون يحيى): "تدعي هذه النظرية أن الحياة نشأت من مواد حية بفعل المصادفات.." [٢].

أما البعض الآخر، فيقول بأن داروين لم يبحث فيما إذا كانت الحياة من خلق القوة الخارجية أو من فعل المصادفة المحضة، ويقول الدكتور (جورج حنا) بأن داروين "لم يتعرض إلى البحث فيما إذا كانت الحياة هي من خلق قوة فوق الطبيعة أم هي حصيلة تفاعل بين مواد غير ذات حياة.." [٣].

وكذلك يقول إسماعيل مظهر بصدد نظرية داروين في أصل الحياة: "إن أول ما يعلق بذهن الباحث المتريث من نور الحق واليقين، أن هذا المذهب بعيد عن البحث في أصل الحياة، فلا شأن له بالبحث في التولد الذاتي، ولا في القول بأن الحياة قوة مادية أو غير مادية، أو أنها من المبادئ المفارقة، على قول الأقدمين"[٤].

ثم عقّب بعد ذلك بقوله: "ولا يغيب عنا أن البحث في أصل الحياة لا يؤيد من رأي الماديين، بل على الضد من ذلك يرجح راي القائلين بخلق الحياة أصلاً وتطورها استتباعاً"[٥].

---

(١) محمد، يحيى، **الداروينية: عرض وتحليل،** د.ط، دار التعارف للمطبوعات، بيروت-لبنان، د.ت، ص: ١٣٧.

(٢) يحيى، هارون، **المعجزة الخضراء: التمثيل الضوئي،** ط١، (ترجمة: مصطفى أنور)، مراجعة: مصطفى الستيتي، مؤسسة الرسالة ناشرون-بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص: ٢٠٣.

(٣) حنا، **قصة الإنسان،** ص: ٩.

(٤) مظهر، إسماعيل، **ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء وأثره في الانقلاب الفكري الحديث،** د.ط، (عني بنشره: إلياس انطون إلياس)، المطبعة العصرية-القاهرة، ١٩٢٤م، ص :٥٤.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في رأينا، إن داروين تأثر كثيراً بمذهب (لامرك)، وقد أتخذ رأي علماء الجيولوجيا[١] في تفسير أصل الحياة، ولعلّ داروين لم يخرج عن هذين التفسيرين، حيث لامرك لم يبتعد عن التطور التدريجي، وهو أيضاً يعتنق بفكرة أرسطو القائلة بالتوالد الذاتي[٢].

ولكن لما واجه داروين في عصره من ضغط رجال الدين واتهامه بإنكار الألوهية، فقد اضطر داروين إلى التخفيف من عقيدته[٣]، حيث ذكره في كتابه (أصل الأنواع) شيئاً عن الخلق الإلهي في هذا الأصل الأول، فيقول: "فلا بد لي أن أستنتج من المقارنة والتحليل بالمثل أنه من المحتمل أن تكون كل الكائنات العضوية التي عاشت فوق هذه الأرض قد انحدرت على شكل واحد وأصل بدائي **نفخ الله فيه الحياة أول مرة** ففي كل الكائنات العضوية- ربما عدا بعض الدنيا منها- كان التكاثر الجنسي فيها متشابه وفيها جميعاً كما هو الحال الآن **فإن الخلية الجرثومية واحدة، وعلى ذلك فإن كل الكائنات العضوية لها أصل مشترك**"[٤].

ثم يقول في آخر كتابه: "إن هناك جمالاً وجلالاً في هذه النظرة عن الحياة بقواها العديدة التي **نفخها الخالق لأول مرة** في عدد قليل من الصور أو في صورة واحدة"[٥].

---

(١) قد فسر علماء الجيولوجيا، بأن الحياة أول ما ظهرت في الصورة الهلامية التي تسمى بـ (الجبلة) أو (البروتولازم) وهي الذخيرة أو الأصل الذي تعود إليه كل صور الحياة من نبات وحيوان، فأبسط صور الحياة حي، هو عبارة عن شذرة صغيرة من (البروتولازم) أو (الجبلة) تتضمن جسماً مستديراً هو (النواة)، وكلاهما من الصغر بحيث لا تراه العين إلا مستعينة بالمجهر (المكرسكوب)، وهذه الشذرة المكونة من جبلة ونواة، هي ما يسميه الأحيائيون (الخلية)، وكل الأحياء، على إطلاق القول، إما أن تتألف من خلية واحدة أو من خلايا متعددة. (أنظر: مقدمة المترجم، **أصل الأنواع،** ص: ٣٩).

(٢) التوالد الذاتي أو التوالد التلقائي هي إحدى النظريات القديمة التي وضعها الفيلسوف الإغريقي الشهير أرسطو (٣٢٢-٣٨٤ ق.م)، وهي تفسر نشوء الكائنات الحية تلقائياً من مادة غير حية، حيث يقول أرسطو (أن الحياة تنشأ من جسم رطب يجف أو من جسم جاف يرطب)، وقد اشتهر هذا المعتقد وانتشر خلال عهود العصور المظلمة ثم لعدة قرون بعد ما يسمى بعصر النهضة، ثم أتى بعد ذلك من أبطل هذه الادعاء منهم العالم البيولوجي (لويس باستير) (١٨٢٢-١٨٥٩) يقول بأن المخلوقات الأولى جميعاً قد وجدت بطريقة خلق مباشر ومقتصر، كما سن قوانين التكاثر والتناسل على جميع المخلوقات الأخرى (أنظر: سلستي، **عبافرة العلم في الغرب،** ص: ٢٣٣، وانظر:
http://www.aaas.org/spp/dser/٠٢_Events/Workshops/WS_٢٠٠٣_٢٠٠٤_PET/٢٠٠٣_٠٢٢١_٢٣_OriginLife/OriginLife_PDFs/tutorials/strick.pdf

(٣) أنظر:
http://www.aaas.org/spp/dser/٠٢_Events/Workshops/WS_٢٠٠٣_٢٠٠٤_PET/٢٠٠٣_٠٢٢١_٢٣_OriginLife/OriginLife_PDFs/tutorials/strick.pdf

(٤) داروين، **أصل الأنواع،** ص: ٧٧١.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٧٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن من المدهش، أن يتعارض هذا القول مع ما وجده العلماء المحدثون، حيث قدم عالم تاريخي، (جيمس ستريك) في ورشة قامت بها (الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم: حواراً عن العلوم والأخلاقيات والدين)، عام ٢٠٠٣م، بحثاً بعنوان "داروين وأصل الأشياء أو الحياة: تصور تاريخي"، حيث قال فيه:

"المسيحيون المحافظون كانوا يشكّون منذ البداية بنظرية داروين والتي تضمنت حسبما يعتقدون أن الحياة جاءت من خلال الطبيعة وبالتالي لم تأتِ من إله خالق لها، في الطبعة الأولى ((أصل الأنواع)) ولم يرد عن ذلك إلّا القليل في كتاب داروين، .."وعليه فإني استنتج من التحليل أن من المحتمل أن تكون كافة الكائنات العضوية التي قد تكون على الأرض كانت وليدة من شكل بدائي كان حيا"، أكد داروين في الطبعة الثانية من الكتاب على هذه المقولة بإضافة كلمة "**الخالق**" حتى نهاية الجملة، (**وحذف العبارة الأخيرة بكاملها من الطبعة الثالثة ولكنه لم يورد في أي من الطبعات اللاحقة أكثر تحديداً عن كيفية تكون أو نشوء الشكل البدائي)**" [(١)].

(Conservative Christians had form the beginning been suspicious of Darwinism, which to them implied that life had come about through nature, thereby elimintating any theoretic need for a Creator God..

In the first edition of *Origin of the Species*, Only one scant passage from Darwin's book even addressed the question:

… I should infer from analogy that probably all the organic beings which have ever lived on this earth have descended form some one primordial form, into which life was first breathed,

In the book's second edition, Darwin strengthened this statement by adding "**by the Creator**" to the end of the sentence. **(He took out the entire last phrase in the book's third edition but never publicly offered in any later editions a more specific comment about how the "one primordial form" had arisen.))**

---

(١) هذه المقالة ليست مترجمةً للغة العربية، وإنما استعنت بمكتب (المسرة للترجمة المعتمدة) وهو من المكاتب المعتمدة في الترجمة العلمية، ولذا أرفقت بها النص الإنجليزي حتى يكون مجالاً للمناقشين للمطابقة وبيان سلامة المرجع.

أنظر:

http://www.aaas.org/spp/dser/٠٢_Events/Workshops/WS_٢٠٠٣_٢٠٠٤_PET/٢٠٠٣_٠٢٢١_٢٣_OriginLife/OriginLife_PDFs/tutorials/strick.pdf

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكما قام فريق من العلماء الباحثين العالميين ملاحظات وتجارب على نظرية داروين في أصل الحياة تحت رئاسة (جولي بريتو)، وطبعت هذه الدراسة في الجورنال الموسوم:

(Origin of Life and the Evolution of Biosheres)

حيث يقر الباحثون بأن أقوال داروين عن أصل الحياة يمكن أن يكتشفها في رسائله ودفاتره الخاصة فقط إذ لم يرد بها في أي من كتبه، ثم يقول (بريتو): "من الخطأ تماماً التفكير أنه كان يطلب التدخل الإلهي، كما ثبت أنه ذكر "الخالق" في (أصل الأنواع)، كان إضافة لا معنى لها ندم عليها لاحقاً". [١]

( It is utterly wrong to think that he was invoking a divine intervention; it is also well documented that the mention of the "Creator" in The Origin Of Species was an addition for appearance's sake that he later regretted)

وفي رأيي، خلال ملاحظتي في كتابيه مهمين (أصل الأنواع)، و(سلالة الإنسان) لداروين، وجدتُ أن داروين يذكر في كتاب (أصل الأنواع) بوجود الخالق حيث نفخ الخالق الحياة في أول مرة في الكائن الحي، ولكن يذكرها في آخر كتابه فقط دون يفسرها خلال تفسيره في نشأة الكائنات الحية من النباتات والحيوانات في هذا الكتاب، وأن هذا الكتاب طبع في عام ١٨٥٩م، ثم ظهر كتابه (سلالة الإنسان) في عام ١٨٧١م، ولم يشير فيها أي إشارة وإثبات إلى الخالق وقدرته، هذا يدل على إنكار داروين لقدرة الخالق في خلق هذه الأحياء.

ونرجع إلى الموضوع عن أصل الحياة عنده، فقد شرح بعض العلماء رأي داروين عن الكائنة البدائية الأولى التي نشأت في الماء وحدوث عملية التطور، حيث أورد بعض العلماء أن "الحياة الأولى عندما وجدت حول المستنقعات كان عليها أن تصارع من أجل البقاء وأن أول عمل وقائي لتحصين الحياة ضد الفناء هو أن تغلفت هذه الحياة بصدف كلسي يقيها الحرارة"[٢].

---

(١) هذه المقالة ليست مترجمة للغة العربية، وإنما استعنت بمكتب (المسرة للترجمة المعتمدة) وهي من المكاتب المعتمدة في الترجمة العلمية، ولذا أرفقت بها النص الإنجليزي حتى يكون مجالاً للمناقشين للمطابقة وبيان سلامة المرجع.
أنظر:
http://www.ncbi.nim.nih.gov/pmc/articles/PMC٢٧٤٥٦٢٠/pdf/١١٠٨٤_٢٠٠٩_Article_٩١٧٢.pdf
وأنظر: http://www.ts-si.org/bilolgy/٢٠٨١٦-mining-charles-darwin-the-origin-of-life

(٢) باشميل، محمد أحمد، **الإسلام ونظرية داروين،** ط١، مطبعة محمد أحمد باشميل-بيروت، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م، ص: ٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكما شرح الدكتور (جورج حنا) ذلك قائلاً: "فنظرية داروين انطلقت من كون الحاية وُجدت في البيئة المائية، بطريقة ما، ثم تدرجت على ممر الأجيال إلى حياة نباتية حول المستنقعات التي ظهرت فيها، وبعدئذ تدرجت ارتقاء إلى حياة حيوانية بدائية، فإلى حيوانات أكبر فأكبر..." [١].

ويفترض داروين أن هذا الكائن الحي البدائي الذي يرجع إليه أصل جميع الكائنات الحية إنما هو الجرثومة الصغيرة خلية وحيدة وهي في أبسط صورة، يقول: "إنه من المحتمل أن تكون كل الكائنات العضوية التي عاشت فوق هذه الأرض قد انحدرت على شكل واحد من أصل بدائي نفخ الله فيه الحياة أول مرة ففي كل الكائنات العضوية-ربما عدا بعض الدنيا منها-فإن التكاثر الجدنسي فيها متشابه وفيها جميعاً كما هو الحال الآن حيث **الخلية الجرثومية واحدة،** وعلى ذلك فإن **كل الكائنات العضوية لها أصل مشترك**"[٢].

وقد استنتج داروين كما نرى هنا، أن جميع الكائنات الحية إنما تعود إلى أصل بدائي واحد وكلها تشترك في هذا الأصل، وقد تكرر ذكر داروين في الكتاب نفسه، وفي مكان آخر من الكتاب مثلاً يقول: "وإذا قررنا ذلك، وجب أن نقرر كذلك أن كل الكائنات العضوية التي عاشت على سطح الأرض قد تسلسلت من أصل بدائي واحد، ومما لاشك فيه أن من المحتمل كما يقول المستر ج.هـ.لويس، أنه في بدء الحياة، نشأت صور مختلفة كثيرة وإذا كان الأمر كذلك فإن قليلاً جدالاً منها ترك خلفاً متحوراً، وكما لاحظت أخيراً بالنسبة لأفراد كل قسم كبير كالفقاريات، والمفصليات فهنالك أدلة كثيرة من الأجنة، والتجانس، والأعضاء الأثرية مما يدل على أن الأفراد جميعاً قد تسلسلت من أصل واحد"[٣].

ومن ثم يتطور هذا الأصل البدائي تطوراً بطيئاً خلال ملايين السنين إلى كائنات أكثر تعقيداً، يقول داروين: "ربما كان معدل التغير في أثناء الفترات الأولى من تاريخ الأرض أكثر بطئاً عندما كانت صور الحياة أغلب الظن أقل وأبسط منها فيما بعد، وإبان الفجر المبكر للحياة حينما لم يكن هناك غير عدد قليل من أبسط الأشكال تركيباً ربما كان معدل التغير بطيئاً بدرجة متناهية. إن تاريخ العالم كلهل كما هو معروف الآن سيعتبر بالرغم من طوله الذي لا يحيط به

---

([١]) حنا، **قصة الإنسان،** ص:٩.

([٢]) داروين، **أصل الأنواع،** ص: ٧٧١.

([٣]) المصدر نفسه، ص: ٧٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العقل مجرد لحظة من الزمن إذا قورن بالآماد التي انصرمت منذ ظهر أول مخلوق أو الجد الأعلى لعدد لا يعد من الأخلاف المنقرضة والحية"[١].

وإن داروين كان يعتقد أن الحياة ليست لها غاية وهدف، فالغاية الوحيدة عنده من الحياة إنما هي المدافعة عن الطبيعة وعن الجوع والموت، حيث يقول داروين في ختام كتابه (أصل الأنواع): "وهكذا فإن أسمى هدف في هذا العالم ألا وهو نشوء الحيوانات الراقية ليتحقق مباشرة من حرب الطبيعة ومن الجوع والموت، إن هناك جمالاً وجلالاً في هذه النظرة عن الحياة بقواها العديدة التي نفخها الخالق لأول مرة في عدد قليل من الصور أو في صورة واحدة، وإنه لطالما ظل هذا الكوكب يدور طبقاً لقوانين الجاذبية الثابتة كانت وما زالت تتطور من مثل تلك البداية البسيطة صور لا نهائية من الحياة غاية في الجمال وغاية في العجب"[٢].

فالحياة عند داروين ما هي إلا صراع دائم بين الكائنات الحية لأجل البقاء، وكذلك فإن الحياة إنما هي للأصلح منها فقط وفقاً للانتقاء الطبيعي، وذلك كما شرحنا سابقاً في قواعد التطور عند داروين.

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٧٧٥-٧٧٦.

(٢) داروين، **أصل الأنواع**، ص:٧٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## المبحث الثالث: أصل الكائنات عند داروين

في هذا المبحث سنشرح نظرية داروين في أصل الكائنات الحية، وهي تشمل النبات، والحيوان، وكذلك الإنسان، وقد بينا سابقاً، بأن الحياة البدائية إنما تتأصل من الجرثومة ذات الخلية الوحيدة أو متعددة الخلايا في المستنقعات عند داروين، وسنتعرف الآن إلى قوله عن أصل النبات:-

### المطلب الأول: النبات:

إن داروين يذهب إلى القول بأن جميع الكائنات إنما تتأصل من أصل بدائي واحد، فجميع النباتات إنما نشأت من هذا الأصل، وليست هي أنواع من خلقة مستقلة، إنما هي من تطور هذا الأصل، وهي المواد ذات الخلية الواحدة، فعلى حسب نظرية داروين أن ما يحدث حول المستنقعات في بداية الحياة من تأثير الطبيعة-من الحرارة والضوء والكهرباء والأملاح- يمكن لها أن تترقى وتتطور إلى الكائن الحي عديد الخلايا.

ذلك كما ذكر في كتابه: "كل الأحياء، على إطلاق القول، إما أن تتألف من خلية واحدة أو من خلايا متعددة. وقد يصح أن تكون الحيوانات الكثيرة الخلايا قد نشأت من أحادية الخلية"[١].

وهذا الاعتقاد هو ما كان يؤمن به علماء التطور الآخرين من أن الأحياء بعِدة خلايا إنما تظهر من الأحياء ذات الخلية الوحيدة[٢].

فلم يحدد داروين ما هو أصل النبات إلا أن النبات عنده تطور من جرثومة صغيرة في الركة الدافئة، ولكن كيف تحول ذلك، من الجراثيم ثم يتحول إلى مادة أخرى، وهي النبات، والحيوان وما إلى ذلك، فقد فشل داروين أن يقدم لنا أي إجابة عن ذلك، يقوم أنها حدثت من تأثير الطبيعة، فكتابه الموسوم (أصل الأنواع) لم يتوافق مع عنوانه، لأنه لم يشرح أصل الكائنات الحية فيها، ولكن نجد بأن مترجم هذا الكتاب (اسماعيل مظهر) حاول أن يدافع عن داروين في ذلك حيث يقول: "فالذين يقولون إن داروين قد وضع نظرية أثبت بها تكيف الأحياء للبيئة، ولم يثبت

---

(١) داروين، **أصل الأنواع**، ص: ٤٠.

(٢) أنظر: يحيى، هارون، **المعجزة الخضراء: التمثيل الضوئي**، ط١، (ترجمة: مصطفى أنور)، مراجعة: مصطفى الستيتي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت-لبنان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص: ١٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كيف تأصلت، أي أصل الأنواع، إنما يكونون قد أساءوا فهم النظرية إلى درجة كبيرة، ذلك بـأن الواقع أنه طوعاً لنظرية الانتخاب ينبغي أن يحوز كل نوع من الأنـواع خـصية أو أكثـر مـن الخصيات التركيبية أو الوظيفية، تمكه، بما تضفى عليه من تأييد وغلبه، أن يشق طريقه في غمار المنافسين والأعداء، فيفوز بالبقاء، وبهذا المعنى يكون كل نوع قد ((تأصل)) بطريق الانتخاب"[١].

ثم يقول مظهر: "ومحصل هذا كله أن ((أصل الأنواع)) إنما يقوم في جملته على نـشوء (التحولات)، في حين أن أصل كل نوع بذاته إنما يرجع إلى نشوء التحولات، ثم انتـاب تحـول بعينه والاحتفاظ به راسخاً في صفات النوع"[٢].

ونقول، هذه التحولات والتطورات كلها لا بد أن ترجع إلى أصلها، وهو أصل لـيس لـه بداية، وإلا ستقع في الدور والتسلسل، وأما الانتخاب فحسب فلم يستطع أن يخلق التحـولات فـي عضوي أو تركيب الكائنات. وسنناقش ذلك في مبحث النقد لهذه النظرية.

يقول داروين إن النبات يتأصل من تطور الخلية الوحيدة في البركة، فكيف يتم ذلك، ولـم يعرف كيف تطور الأحياء البدائية في المرة الأولى، ثم يقول بأن الأدلة التي تدل على تطور هذه الكائنات البدائية مفقودة، حيث يقول في كتابه: "إذا ألقينا نظرة على فجر الحياة، عندما كانت كـل الأحياء العضوية على ما نعتقد من غرار التركيب، فلا مندوحة لنا من أن نتساءل: كيف نـشأت خطوات الارتقاء الأولى وكيف تخلق الأعضاء، ولكن من الجائز أن يكون قد أجـاب (هربـرت سبنس) على هذا السؤال فقال: (إنه بمجرد أن تحول الكائن البسيط ذو الخلية الواحـدة، فـصار بالتنامي أو بالإنقسام حياً مركباً من خلايا كثيرة، أو أصبحت حياته متعلقة بـشيء يتـشبث بـه، فهنالك يبدأ بالتأثير فيها قانون محصلة أن الوحدات المتجانسة التالية لأية مرتبة، تتخلـق بنـسبة الإختلاف الذي يقع على علاقتها بالقوى العرضية التي تحيط بها)، أما وإن الحقائق التي نستهدي بها مفقودة، فإن التأمل في هذا الموضوع يصبح معدوم الجدوى، وعلى أية حال، فإن من الخطـأ أن نفرض أنه لم يقع هنالك تناحر على البقاء، ومن ثمة ينتفي الإنتخاب الطبيعي، قبـل أن تنتـشأ صور عديدة، فإن التحولات التي تصيب نوعاً ما بأهل بموطن منعزل، قد تكون مفيـدة، وبـذلك تتكيف جميع الأفراد، أو ينشأ عن ذلك صورتان متميزتان، غير أني قد أشرت في نهايـة مقدمـة هذا الكتاب، بأنه لا يعجبن أحد من أن كثيراً مما يتعلق بأصل الأنواع لا يزال غامضاً خفياً، إذا ما

---

(١) مقدمة المترجم، **أصل الأنواع**، ص:٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ص:٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اعترفنا بجهلنا المطبق بالعلاقات المتبادلة بين أحياء الأرض في العصر الحاضر، وأننا أكثر جهلاً بعلاقاتها فيما سبق من الأزمان"[١].

وكذلك أن داروين في رأيي، لم يخترع شيئاً جديداً في مسألة أصل الكائنات الحية بل إنه يقلد ما اعتقده العلماء الأقدمون فحسب. ويرجع داروين في بحث عن أصل النبات إلى علم الجيولوجيا وعلم الأحياء، حيث يقولون بأن أول نشأة النبات كانت من مادة بسيطة ذات خلية وحيدة، يجتمع فيها أيضاً الخلية الوحيدة لأصل الحيوان، وهو صورة متوسطة بين النبات والحيوان البدائي، وهو يسمى هذا الصنف بـ (الطلائعيات) أو علمياً (الروتستا)، مما سنذكره في مبحث الحيوان.

كما جاء في كتاب (تطور الجنس البشري) بأن الأنواع المتشابهة ترتبط بعضها ببعض، مما يؤدي "لارتباط الأحياء جمعياً في النهاية إلى مملكتين؛ حيوانية ونباتية، بل أنه ترتبط هاتين المملكتين في صورهما البدائية الأولى كائنات يمكن أنه تسلك في مملكة الحيوان كما يمكن أن تسلك في مملكة النبات مثل الخمائر والبكتيريا"[٢].

ويقول داروين: "وإذا نظرنا إلى القسمين الرئيسين (عالمي الحيوان والنبات)، فإن بعض الصور الدنيا تبدو متوسطة الصفات حتى أن العلماء تنازعوا نسبتها إلى أي العالمين، وكما أشار الأستاذ (آسا جراي)، فإن الأبواغ والأجسام التكاثرية الأخرى في كثير من الطحالب الدنيا كان لها وجود حيواني ثم وجود نباتي، على أساس الانتخاب الطبيعي مع تحور في الصفات، فمن المحتمل أن ينشأ من هذه الصور الأولية المتوسطة كل من الحيوانات والنباتات وإذا قررنا ذلك، وجب أن نقرر كذلك أن كل الكائنات العضوية التي عاشت على سطح الأرض قد تسلسلت من أصل بدائي واحد"[٣].

يقول (د. السيد غلاب): "إنه ليست البكتيريا وغيرها من الطفيليات، فهذه نهايات في حد ذاتها، لم تتطور، بل هي كتلة مجهرية (لا ترى إلا بالمجهر)، هلامية نصف نباتية ونصف حيوانية تسمى بالعصويات، ولا بد وأنها كانت تملأ قاع البحار بطفرات جديدة منها، ذات خلية

---

(١) داروين، **أصل الأنواع**، ص:٢٧٧.

(٢) غلاب، د. السيد، **تطور الجنس البشري**، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية-القاهرة، ١٩٦٣م، ص:٥٥.

(٣) داروين، **أصل الأنواع**، ص: ٧٧١-٧٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واحدة تفرعت إلى فرعين، أصبحا فيما بعد أصول الشقين الكبيرين لأحيـاء المملكـة الحيوانيـة والمملكة النباتية"[١].

لذلك يعتقد داروين بأن النبات والحيوان إنما ينتميان إلى أصل بدائي واحد، فلا اخـتلاف بينهما إلّا من حيث الدرجة والظواهر، أما من جوانب أخرى، فتشبه النبات الحيوان فـي الغـذاء والتنفس والنمو والتناسل والوراثة وكذلك التطور[٢].

كما قال داروين: "إن ما ينطبق على حيوان، لا بد من أن ينطبق على غيره من الحيوانات خلال كل العصور، بمعنى أنها إذا تحولت، وإلا فالانتخاب الطبيعي يعجز عن إبراز أي أثر فيها، وهكذا الأمر في النبات"[٣].

فالكائنات الحية عند نظرية داروين تشمل أن النبات دائماً في تطور، فهي لا تخلو من أن تجري عليها التحولات، لأجل نشوء كائنات أخرى فيها.

وتعتبر الطحالب أول نشأة للنبات في علم الأحياء، وهي ذات خلية وحيـدة، كمـا قـال الدكتور عادل المصري عن تطور النباتات وهي أن "الطحالب البدائية كانت وحيدة الخليـة ثـم تقدمت تدريجياً بعد ذلك إلى تكوين مستعمرات ثم تطورت إلى كائنات متعددة الخلايا، أبسطها كان خيطي الشكل غير متفرع، ثم بدأ تكون الفروع في الأنواع الجديدة، ثم تفرعت الأفرع ثم تكونـت بعد ذلك نباتات كثيرة إختلفت فيها الأنسجة تدريجياً إلى تركيبات شبه جذرية، ثم إلـى تركيبـات تشبه السوق إلى أخرى تشبه الأوراق"[٤].

وإنما استدلوا على هذا الإدعاء بأدلة الحفريات، فالطحالب هي نباتات مائية كما يعتقـدون وهي تنشأ في زمن (الكمبري) أي عصور الجيولوجيا، حيث ذكر: "تعتبر الطحالب عموماً نباتات مائية ولو أن كثيراً منها دخل إلى المناطق الرطبة من الأرض. ويبدأ السجل الحفري تقريباً مـن فترة (الكمبري) في عصر (الباليوزي) أي من حوالي خمس مائة مليون سنة ويظهر من حفريات هذا العهد إحتواءها على طحالب وبكتيريا في تركيبات كثيرة مختلفـة. ولكـن حفريـات فتـرة

---

(١) غلاب، **تطور الجنس البشري**، ص:٥٦-٥٧.

(٢) أنظر: موسى، **نظرية التطور وأصل الإنسان**، ط٦، ص: ٥١-٥٣.

(٣) داروي، **أصل الأنواع**، ص:٨٨.

(٤) المصري، **النشوء والتطور في الكائنات الحية**، ص: ١٠٤-١٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(السيلوري) وتبدأ منذ حوالي ثلاث مائة وستين مليون سنة فتشمل النباتات الأرضية البدائية، وقـد لوحظ أنه عندما غزت النباتات الأرض لتعيش في بيئاتها الأصعب والأكثر إختلافاً كانت الطحالب هي السائدة، ولكن النباتات الأرضية تغلبت بمضي الوقت على الطحالب المائية الأصل"[١].

وهذه الادعاءات هي التي يعتقدها داروين في نظريته في أصل النبـات، فالحيـاة عنـد داروين إنما تبدأ في المياه أو البركة الدافئة، ومنا تتأصل هذه النبات البدائية، خلال عملية التطور بتأثير الطبيعة التي حولتها، كما يذكرها (روبرت ل. ليرمان): "ويلزم لاستمرار العمليات الحيوية لأي كائن حي أن يحصل على الطاقة، وهو يحصلها عن طريق تفاعلات كيمياوية من مواد توجد فيما حوله، أما النباتات فإنها تبنى هذه المركبات من مواد كيماوية بسيطة تؤخذ من الوسط المحيط بها- مثل ثاني أوكسيد الكربون والماء والنترات والفوسفات وغير ذلك"[٢].

فعن طريق عمليات التطور من التنازع على البقاء والانتخاب الطبيعي وكذلك الوراثـة، تنشأ هذه النباتات الأولية ذات الخلية الوحيدة وتتفرع إلى فروع أخرى ذات خلاليا عديدة من خلال التحولات والتحورات، وكما يقول داروين "لقد راجعت الآن الحقائق والاعتبارات الرئيسية التـي أقنعتني تماماً أن الأنواع قد تحورت خلال آماد طويلة من التسلسل والانحدار، وذلـك بواسـطة الإبقاء على تغييرات عديدة متعاقبة طفيفة نافعة أو بانتخابها انتخاباً طبيعياً"[٣].

وهكذا يزعم داروين، كان النبات يتطور بتأثير الطبيعة دون أي عامل خارجي يخلقهـا، وهذه القاعدة لم تنته هنا بل امتدت إلى عالم الحيوان أيضاً، وهو ما سنبحثه في المبحث الآتي:-

---

(١) المصدر نفسه، ص:١٠٥-١٠٦.

(٢) ليرما، روبرت ل. ، **الطريق الطويل إلى الإنسان: قصة التطور في عالم الحيوان،** د.ط، (ترجمة: د. ثابت جرجس قصبجي)، مؤسسة فرنكلين والمؤسسة الوطنية، نيويورك-بيروت، ١٩٦٣م، ص: ٢٤٥.

(٣) داروين، **أصل الأنواع،** ص:٧٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

**المطلب الثاني: الحيوان**

إن البحث في الحيوان عند داروين لم يختلف عن بحثه في النبات، فكلاهما يشترك في أصل بدائي واحد، وهو الكائن البدائي ذو الخلية الوحيدة- وهي الجرثومة كما يعتقد داروين- فأصل الحيوان إنما هو أصل النبات لأنهما ذواتا صورة متوسطة بين النبات والحيوان، فلم يفرق داروين بينهما على حسب ما يعتقده علماء الأحياء الذين سبقوه[١].

فيفترض داروين ما افترضه علماء الأحياء والجيولوجيا من قبله، كما شرحنا في المبحث السابق، ويقول بأن هناك عملية تطور تحدث في المياه الدافئة بتأثير الطبيعة، فتصبح المادة الأولى أكثر تعقيداً، وهي صورة متوسطة بين هذه الأحياء، للفرع النباتي وللفرع الحيواني، وكلاهما هو الأصل البدائي لكل واحد من المملكة الكبيرة: وهي المملكة النباتية والمملكة الحيوانية.

فأصل الحيوان عند داروين على حسب ما يعتقد علماء الأحياء هو في أبسط صورة للحيوان ذي الخلية الوحيدة التي تسمى (بروتوزوا)، ولكن يصعب على هؤلاء العلماء أن يصنفوها كحيوان أو نبات بسبب صورتها المتوسطة حيث يقول بعضهم: "الصعوبة في تعريف الحيوانات وحيدة الخلية (البروتوزوا) ناتجة عن اهتمام العلماء بالنباتات الأولية وكذلك دراسة بعضها من الأنواع ذاتها وتصنيفها حسب أنواع الطحالب ذات الصلة بها، وهذا التدخل لا يحدث بسبب اختلاف في الرأي بين العلماء ولكن لوجود خلايا وحدية تفصل كثيراً بين النباتات والحيوانات"[٢].

(The difficulty in defining the protozoa, which means "the first animals" arises because scientists concerned with "the first plants" also study some of the same species, classifying them with algae. This overlapping occurs not because of any real difference of opinion but because on the one-celled level of existence there is no sharp dividing line between plants and animals)

ويعتقد بعض علماء الأحياء أن (البروتوزوا) هي أول نشأ الحيوان، ولكنها تتصف أكثر بصفة النبات من الحيوان، حيث يقولون: "الحيوانات ذات الخلايا الوحيدة (البروتوزوا) حسبت تعريفها هين حيوانات بدائية، وعلى كل حال، هي أكثر شبهاً بالنبات منها بالحيوانات، مثلاً قد تحتوي مادة الكلوروفيل وتحمل في ثناياها نوعاً من التخلّق الضوئي، وهذا الأمر يجعلنا من حيث

---

(١) أنظر: المصدر نفسه، ص: ٧٧١-٧٧٢.

(٢) كيرتس، هيلينا، **الحيوانات المدهشة: مقدمة عن الحيوانات وحيدة الخلية**، ط١، كتبا هاينمان التربوية-بريطانيا العظمى-لندن، ١٩٦٩، ص: ٤، (إن هذا الكتاب ليس مترجماً للغة العربية، وإنما استعنت بمكتب المسرة للترجمة المعتمدة).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعايير العادية لدينا التي تفصل الحيوانات عن النباتات نراها غير ذات أهمية بالنسبة للحيوانـات وحيدة الخلية (من نوع بروتوزوا)" [١].

(Protozoa, by definition, are primitive animals. However, some are more plant-like than animal-like. For example, they may contain chlororphyll and carry photosynthesis. Thus, we see that our ordinary criteria for separating animals from plants break down at the level of the Protozoa)

لذلك، حاول علماء الأحياء أن يضعوا أول الأحياء البدائية في صنف واحد يسمى عنـدهم بـ(بروتستا)، ولا يشتمل فيها الطحالب والبروتوزوا فقط، وإنما يشتمل أيضاً البكتيريا والفطريات.

كما يقول (هيلينا كريتس) عالم الأحياء: "علماء الأحياء اليوم يميلون إلى دمـج حيوانـات البروتوزا (وحيدة الخلية) مع نباتات الطحالب ويطلقون عليها اسم (بروتيستا) ويعتبرونها مملكـة مستقلة حيث أن النباتات ذات الخلية تشكل مملكة ثانية وأن كثيراً من الحيوانات ذات الخلية تشكل من النوع الثالث ولا تشتمل (البروتيستا) الحيوانات وحيدة الخلية أو النباتات الطحلبية فقط ولكـن أنواع أخرى ذات خلية واحدة مثل البكتيريا والفطريات"[٢].

(Biologist are now tending to group both protozoa and algae together as protista- a large group that is considered a separate "kingdom" (the many-celled plants constituting a second kingdom and the many-celled animals making up the third), The Protista include not only protozoa and algae but other quite different unicellular organisme, such as bacteria and fungi)

ومن (البروتوزوا) ذات الخلية الوحيدة، نشأ منها الحيوان الأكثر تعقيداً وهي مـا تـسمى علمياً بـ (الميتازوا) وهذا الصنف من الحيوانات متعددة الخلايا، كما يتحدث (مظهر) في مقدمـة كتاب داروين: "والحيوانات أحادية الخلية وتسمى علمياً: الأوالي (البروزويات) تتألف مـن خليـة واحدة، وكثيرة الخلايا، وعلمياً (المتزويات)، تتألف من أكثر من خلية، أي من خلايا عديدة، وقـد يصح أن تكون الحيوانات كثيرة الخلايا قد نشأت من أحادية الخلية"[٣].

---

(١) ريدشارد، ب.هول، **(البروتوزا): الحيوانات الأكثر بساطة من نوعها في عالم الحيوان،** ط٢، مكتب هولت، رينا هارت، وونستون للعلوم-الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٦٣م، ص:٧، (إن هذا الكتاب ليس مترجماً للغة العربية ، وإنما استعنت بمكتب المسرة للترجمة المعتمدة).

(٢) كيرتس، **الحيوانات المدهشة: مقدمة عن الحيوانات وحيدة الخلية،** ص: ٤.

(٣) مقدمة المترجم، **أصل الأنواع،** ص: ٣٩-٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذه الحيوانات ذات الخلايا العدة كما يزعم هؤلاء كانت في أول أمرها بسيطة التركيـب كحيوان المرجان وقناديل البحر وشقائق البحر وما إلى ذلك[١].

وهكذا وكمنا يعتقد داروين بأن الحيوان والنبات يشتركان في أصلهما البـدائي، وأن أول ظهور حيوان البدائي كان في حالته البسيطة ذا خلية وحيدة ثم تطور وتحول إلى أرقى الكائنات أو أكثر تعقيداً ذات خلايا متعددة.

ثم تنشأ منها الحيوانات الأخرى ذات الخلايا العديدة، وقد ذهب داروينـ إلـى أن جميـع الحيوانات في هذا العالم إنما تنتمي إلى أربعة أو خسمة طوائف، حيث يقول: "وعلـى هـذا فـلا يمكنني أن أشك في أن نظرية التطور بالتغير تشمل كل الأفراد المنتمية للطائفـة الواحـدة، إنـي أعتقد أن الحيوانات قد انحدرت من أربعة أو خمسة أسلاف فقط على أكثر تقدير"[٢].

وكذلك يرى داروين بأن الطوائف من الحيوانات لا بد أن تظهر واحداً تلو الآخر، وينذكر داروين أنها تنشأ من الأرض جميعها في وقتٍ واحد جاهزة على ما هي عليـه الآن بـل يقـول داروين: "نشأت الأنواع وظهرت ببطء كبير، واحداً تلو الآخر، سواء في اليابسة أو في الماء"[٣].

ذلك بأنه استدل بآثار الحفريات التي سجلها علماء الجيولوجيا، فاعتمد على رأي (تشارلز لايل) عالم الجيولوجيا في ذلك حيث يقول: "ولقد أظهر (لايل) أنه من المستحيل أن ينكر الإنـسان الأدلة المثبتة لهذه الظاهرة في كثير من مراحل العصرالثالث، وفي كل عام يمضي يـسد فـراغ فجوة من الفجوات الكائنة بين هذه المراحل، بحيث تصبح النسبة بين الصور المفقـودة والـصور الحية أكثر تدرجاً"[٤].

ثم عقب بقوله: "تتفق هذه الحقائق اتفاقاً كبيراً مع نظريتي، إذ هي لا تقول بـسنة ثابتـة للتطور تقضي على أهال باحة بذاتها أن تتحول فجأة أو متزامنة أو بدرجـة واحـدة، إن مـنهج التطور لا بد أن يكون بطئياً، ولا يتناول بوجه عام غير قليل من الأنواع في وقت واحد"[٥].

---

(١) انظر: المصدر نفسه، ص:٤٠.

(٢) داروين، **أصل الأنواع**، ص:٧٧١.

(٣) المصدر نفسه، ص:٥٩١.

(٤) داروين، **أصل الأنواع**، ص: ٥٩١.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٥٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن اعترض على هذا الإدعاء بعض علماء الأحافير، فينقلب داروين فيقول بأن أدلة من الحفريات ليست كاملة لعجز الإنسان عن العثور على معظمها، ويقول: "كـان ظهـور عـشائر الأنواع بصورة فجائية في بعض التكوينات الجيولوجية، من البراهين التي اتخذ منها بعض علماء الأحافير ومنهم (اغاسيز) و(بكتيه) و(سوجويك)، معترضاً نافياً للاعتقاد بتحول الأنواع، فإذا كـان من الحق أن جملة كبيرة من الأنواع التابعة لجنس بذاته أو فصائل معينة، قد بدأت الوجـود فـي الحياة فجأة، فإن هذه الحقيقة تقوض ولا شك دعائم نظرية التطور بالانتخاب الطبيعي، ذلك بـأن نشوء عشيرة من الصور الحية بهذه الطريقة، بحيث تكون جميعاً منحدرة من أرومة واحدة، لا بد أن يكون نهجاً بطىء الأثر جهد البطء، وأن هذه الأرومات محتوم أن تكون قـد عاشـت أزمانـاً متطاولة قبل ظهور أعقابها المرتقبة، غير أننا كثيراً ما نبالغ في تقدير كفاية السجل الجيولـوجي واكتماله، بل ونحدس خطأ، استناداً إلى أن بعض الأجناس أو الفصائل لم توجد بعد مرحلة معينة، أنها لم توجد قبل تلك المرحلة"[١].

وقد رتّب داروين على هذا الإدعاء قوله في ظهور سلسلة من طائفة من الحيوانـات فـي هذا العالم على حسب عصور الجيولوجيا[٢]. وهي كما الآتي:-

**أولاً: الحيوانات اللافقاريات:**

بدأ ظهور الحيوانات ذات الخلايا المتعددة في الماء في العصر (الكمبري) وهـو زمـن الحياة القديمة، من نحو (٥٢٠) إلى (٤٢٠) مليون سنة مضت[٣]، وهو الحيوان (اللافقـاري) أي الحيوان بدون عظام ولين الأجسام، حيث يقول: "ظهر الحيوان الدودى الـصورة أو الحيوانـات الدودانية التي منها ((الرخويات)) كالمحار والحلازين والحبارات من الأسماك، ثم ((الـشوكيات)) كنجوم البحر وقنادل البحر وخيار البحر، ثم ((القشريات)) كالسراطين والأربيان (الجمبري)، ثـم

---

(١) المصدر نفسه، ص:٥٧٨.

(٢) عصور الجيولوجيا هي المقياس التي استخدمه علماء الجيولويجا في تعيين عمر الأرض، والعمر الجيولوجي لأي طبقة من طبقات الأرض يقدر نسبياً بالنسبة للطبقات الأخرى، وبأساليب التأريخ الجيولوجي التي تعتمد في المقام الأول على الحفريات (أي بقايا كائنات كانت تعيش في العصور السابقة ودفنت في الصخور القديمة والطبقات الرسوبية التي تكون سواء فوق اليابسة أو في قاع البحار والمحيطات عبر ملايين السنين) فعن طريقها يمكن معرفة العصر الذي تنتمي إليه الطبقة أو التكوينات التي عثر فيها عليها. وقد قسم العصور الجيولوجي إلى عدة أحقاب أو أزمنة، وقسم كل حقب إلى عدة عصور.

(٣) أنظر: شويقة، د. فاروق عبد الجواد، **مقدمة في الأنثروبولوجيا الطبيعية والسلالات البشرية**، ط٢، دار روتابرينت للطباعة-القاهرة، ١٩٨٦م، ص:٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من بعد ذلك ظهرت الحشرات، فكل هذه الحيوانات كانت رخوة القوام لينـة الأجـسام، معدومـة العظام، ولو أن بعضاً منها كالسراطين والمحار وقنافذ البحر، قد اختصت بأصداف تقي ذواتها من العطب"[١].

**ثانياً: الحيوانات الفقاريات:**

ثم بعد فترة طويلة من الزمان نشأت طائفة من الحيوانات تختلف صفاتها وخصائصها عن الحيوانات التي قبلها اختلافاً تاماً، وهي الحيوانات ((الفقارية)) [٢]، وهي نتاج من تطور الحيوانات اللافقاريات.

يقول (ماك آلستر): "إنه من المؤكد أن الحيوانات الفقرية قد نشأت بطريقة ما من سلف لا فقري ولكن هذا السلف الحقيقي غامض مشكوك فيه فـي معظـم الحـالات، ذلـك لأن الـسجل المستحاثي لا يزودنا بمعلومات موثوقة فأقدم المستحاثات الفقرية التـي وجـدت فـي صـخور (الأوردوفيسي) [٣] الأوسط هي أجزاء عظيمة لسمكة بدائية مختلفة تماماً منذ ذلـك الحـين عـن أسلافها اللافقرية"[٤].

وهذه الحيوانات هي عشائر ذوات صفات مستحدثة، فوصف الدكتور (غلاّب) بأنه "تطور كبير من الأحياء، إذ أصبح جسم الكائن الحي لحمه وأعصابه وأجهزته الأخرى، تلتف حول هيكل عظمى بعد أن كانت محبوسة في قوقعة أو يحيط بها قفص من كل الجهات، بذلك تحرر في نموه من ذلك القيد الثقيل، ولذلك كانت الفقاريات تنتظم أقساماً هامة كبرى من الأحياء من تحت مملكة واحدة هي مملكة الفقارية"[٥].

---

(١) داروين، **أصل الأنواع،** ص:٤٠.

(٢) وهي الحيوانات ذوات العمود الفقري، فالمملكة الحيوانية تنقسم إلى قسمين عظيمين، وهي اللافقاريات، والفقاريات.

(٣) العصر الأوردوفيسي نسبة إلى الاسم اللاتيني لجماعة قديمة من شعب (ويلز) بإنجلترا أيضاً، وقد استمر سبعين مليون سنة، نحيث امتد من (٤٣٠-٣٦٠) مليون سنة مضت، وقد شهد هذا العصر الكثير من البراكين والحركات الأرضية، وقد بدأت تظهر فيه الأسماك المدرعة عديمة الفكوك.

(٤) مالك آلستر، أريس لي، (ت ١٩٣٣م)، **تاريخ الحياة،** د.ط، (ترجمة: الدكتور فؤاد العجل)، مطبعة جامعة دمشق-دمشق، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص: ١١٥.

(٥) غلاب، **تطور الجنس البشري،** ص: ٦٠-٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول إسماعيل مظهر: "فكان لها حبل متين يمتد طوال الجسم، ويسمى علميـاً (الرتمـة)، وكان ظهور هذا الحبل أو مدرج من مدارج التطور نحو تكوين ((الفقار)) أو ((الصلب)) المؤلف من أجزاء عظيمة كل منها يسمى ((فقارة))، أما أوائل الحيوانات ذوات الرتمة و قد نسميها علمياً ((الرتيمات)) فكانت سهمية الشكل، ومن أهل الماء وأشهرها ((الإطريف)) وقد يسمى ((الـسهيم)) أو الحريب أيضاً، ومن ((السهيم)) نشأت الأسماك"[١].

وأنواع الحيوانات الفقارية عند داروين الآتي:-

(١) **الأسماك:** بدأت بالأسماك عديمة الفك، ثم ظهرت الأسماك المدرعة (البلاكودرصات) وهـذه انقرضت، ثم نشأت منها الأسماك الغضروفية (سمك القرش)، ثم الأسماك العظميـة، والاثنتـان الأخيرتان باقيتان حتى الآن[٢].

يقول (ليرمان): "ما زالت بعض هذه الأسماك على قيد الحياة، ولكن أهم سلالة نشأت عنها كونت الأسماك الفكية بتحويل أقواس خيشومية إلى فكوك وتكوين زعـانف مزدوجـة، وأنتجـت الأسماك الفكية الأسماك الغضروفية التي يمثلها الآن القرش والقوبع وحدأة البحار، كمـا أنتجـت أيضاً مجموعة أخرى وهي الأسماك العظمية"[٣].

ويعتقد علماء الحفريات القديمة أن أول الأسماك الفقارية ظهرت في البحيرات والأنهار ثم انتقلت إلى البحر[٤].

وكما يتحدث داروين في كتابه (سلالة الإنسان) عن تطور الأسماك إلى البرمائيات، يقول: "في المؤلفات القديمة جداً في مملكة (الفقارية)، التي استطعنا الحصول منها على لمحات غامـضة احتوت في الظاهر على مجموعة من الحيوانات البحرية تشبه يرقات (الأسيديانس) والتـي ربمـا

---

(١) مقدمة المترجم، **أصل الأنواع،** ص:٤٠.

(٢) أنظر: شويفة، **مقدمة في الأنثروبولوجيا الطبيعة والسلالات البشرية،** ص:٤٢.

(٣) ليرمان، **الطريق الطويل إلى الإنسان: قصة التطور في عالم الحيوان،** ص: ٢٥٨.

(٤) أنظر: غلاب، **تطور الجنس البشري،** ص:٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كانت سبب نشوء أو وجود مجموعة من الأسماك تُعرف باسم (لانسليت) والتي نتج عنها أسـماك أخرى مثل (الجانويدت) و(اللبدوسيرن) ومن تلك الأسماك تولدت (البرمائيات)" [١].

(The most ancient progenitors in the kingdom of the Vertebrata, at which we are able to obtain an obscure glance, apparently consisted of a group of marine animals, resembling the larvae of existing Ascidians. Theses animals probably gave rise to a group of fishes, as lowly organized as the lancelet; and from these the Ganoids, and other fishes like the Lepidosiren, must have been developed. From such fish a very small advance would carry us on to the amphibians)

**(٢) البرمائيات:**

وهي الحيوان الفقارية التي تعيش في البحر وفي البر مثل الضفادع، وما إليها، وقد نشأت من الأسماك العظيمة البدائية حيث تحولت الزعانف إلى أرجل وتلاشت الخياشيم، مما جعل عبء التنفس يقع بأكمله على الرئتين والجلد، وفي الوقت ذاته كون جزء من القوس الخيشومي الثـاني عظمة الأذن الوسطى التي تتولى نقل ذبذبات الصوت التي يحملها الهواء من طبلـة الأذن إلـى الأذن الداخلية[٢].

ثم "أنشأت إحدى سلالات البرمائيات بيضة ذات غطاء واق لتلائم المعيـشة الأرضـية، وجلداً جافاً غير منفذ للماء، وحزاماً حوضياً يستند إلى فقرتين، وبذلك أصبحت زواحف بدائية"[٣].

ويقول إسماعيل مظهر: "من ذوات التنفسين تنشأت البرمائيات (الكائنات البرية المائيـة) كالضفادع وما إليها، وهي التي تستطيع العيش في اليابسة، كما تستطيع العيش في المـاء، ومـن البرمائيات تنشأت الزواحف كالعظايا والتماسيح والحيات"[٤].

**(٣) الزواحف:**

---

(١) داروين، تشارلز، **سلالة الإنسان وصلته من حيث الجنس،** ط١، ج١ (مقدمة: جون تايلر بونر، وروبرت م. مي)، مطبعة جامعة برنستون-نيو جيرزي، ١٩٨١م، ص: ٢١٢-٢١٣. (إن هذا الكتاب ليس مترجماً للغة العربية، وإنما استعنت بمكتب المسرة للترجمة المعتمدة، ولذا أرفقت بها النص الإنجليزي حتى يكون مجالاً للمناقشين للمطابقة وبيان سلامة المرجع المنقول منه المادة العلمية).

(٢) أنظر: ليرمان، **الطريق الطويل إلى الإنسان: قصة التطور في عالم الحيوان،** ص:٢٥٩.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٥٩.

(٤) مقدمة المترجم، **أصل الأنواع،** ص:٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من نتيجة عمليات التطور، نشأ من البرمائيات طوائف الحيوانات الأخرى تختلف عنها، وهي الزواحف. ذكر صاحب (تطور الجنس البشري): "كانت الزواحف هي الفقاريات السائدة في الزمن الثاني (زمن الحياة الوسطى) [١]. وتفرعت فروعاً مختلفة وتكيفت لظروف البيئة بأساليب متنوعة، وكانت الأنواع الأولى من هذه الزواحف قريبة الشبه إلى حد كبر بالقوازب (البرمائية) في تركيبها، وكانت أقرب إلى الشكل الحالي ذات أطراف قصيرة ضعيفة، ومن هذا الأصل البدائي تفرعت جميع فروع الزواحف في الزمن الثاني"[٢].

وجاء في كتاب (مقدمة في الأنثروبولوجيا الطبيعة)، قائلاً: "لعل أحد التكيفات الحقيقة مع البيئة الجديدة هو نشأة الجهاز الهيكلي (الهيكل العظمي) بما فيه من أطراف لجميع الفقاريات الراقية مع استمرار التحسن في تركيبها، وهذا كان ظهرو الزواحف نتيجة لظهرو الاتجاه نحو الاستقلال عن الماء، إذ لم تعد حاجة الحياة إليه ملحة بعد أن أصبح إخصابها يتم داخلياً، رغم أنها (الزواحف) ما زالت تبيض ولكن بيضها أصبح له غشاء كتيماً يمنع التبخر، كما أن الوليد يولد ومعه القدرة على استعمال رئتيها مباشرة دون أن يحتاج إلى المرور بفترة التنفس الخيشومي بل إن بعض الزواحف أصبحت تحفظ البيض المحصن داخل الأم، وتلد صغارها أحياء مغلقة (توالد البيض الحي)" [٣].

وتطورت الزواحف إلى فرعين، وهما عشيرة الطيور وعشيرة الثديات، حيث ذكر (مظهر) ذلك في كتاب (أصل الأنواع)، فقال: "ومن فرع من الزواحف نشأت الطيور، ومن الزواحف أيضاً نشأت ذوات الثدي التي تغذي صغارها بسائل هو اللبن، ولذا سماها بعضهم ((اللبونات))، ولكنها تسمية غير موفقة"[٤].

---

(١) وهو ما يسمى عند علماء الجيولوجيا بحقبة (الميزوزي)، لقد استمرت هذه الحقبة حوالي (١٣٠) مليون سنة وقسمت إلى ثلاث فترات هي: فترة (الترياسي)، وفترة (الجوراسي)، وفترة (الكريتاسي)، (أنظر: المصري، **النشوء والتطور في الكائنات الحية**، ص: ٣٧-٤٣).

(٢) غلال، **تطور الجنس البشري**، ص: ٥٠-٥١.

(٣) شويقة، **مقدمة في الأنثريولوجيا الطبيعة والسلالات البشرية**، ص: ٤٣.

(٤) مقدمة المترجم، **أصل الأنواع**، ص: ٤٣-٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكما يقول (جوليان هكسلي) وهو أحد دعاة التطور: "وكل فروع الزواحف وقفت عن التطور إلا اثنين تطور واحد منهما إلى الطيور، وتطور الآخر إلى الثدييات"[١].

**(٤) الطيور:**

الطيور تطورت من الزواحف، كما جاء في كتاب (مقدمة في الأنثروبولوجيا الطبيعة) عن عملية تحويلها: "وأهم ما يلاحظ على هذه المجموعة أن الطيور أصبحت ذات الحرارة ثابتة (ذات دم حار) أي أنها تحفظ درجة حرارة الجسم ثابتة مستقلة عن مدار البيئة الخارجية وفي ذلك ضمان لمقدرة عضلية فائقة حتى في أبرد البيئاتن كما أن الطيور بطيرانها في الجو غزت عالماً جديداً لم يكن مطروقاً من الكائنات الحية، وأن هذا قد تم نتيجة ما أصاب هيكلها العظمي من تخفيف، ونتيجة ظهرو عوامل الطيران المساعدة مثل الريش بدلاً من الحراشيف، وأخيراً نتيجة تغييرات رئيسية في الشكل العظمي والعضلي، وهنا يجب الإشارة إلى أن هناك بعض من الطيور قد عادت إلى الأرض واستقرت عليها (النعام والكيوي) بل إن بعضها قد عاد إلى سطح البحر مثل البطريق الذي لا يستعمل أجنحة إلا في السباحة فقط"[٢].

**(٥) الثدييات:**

من الزواحف أيضاً تطورت ونشأت طائفة الثدييات، والثدييات البدائية كما يعتقد مؤيدوا نظرية التطور كانت حيوانات بياضة، أي تضع بيضاً كالزواحف والطيور، وبعضها ما زال حياً حتى اليوم كالصلول والنفطير، وكلاهما يعيش في أستراليا، وليس في غيرها من بقاع الأرض، ثم نشأ من الثدييات البيوض الحيوانات الجلبانيات (ذوات الكيس) كالنغر وغيره[٣].

ثم تفرغ من هذه الجلبانيات عدة فروع من الحيوانات، ومن أهمها من وجهة النظر البشرية ما يسمى علمياً (الصعابير) أو (الليامير) وهي الحيوانات الصغيرة التي تعيش في

---

(١) هكسلي، جوليان، **الإنسان في العالم الحديث،** د.ط، (ترجمة: حسن خطاب، مراجعة: د. عبد الحليم منتصر)، مكتبة النهضة المصرية- ١٩٤٧م، ص: ١١.

(٢) شويقة، **مقدمة في الأنثروبولوجيا الطبيعة والسلالات البشرية،** ص:٤٣.

(٣) أنظر: مقدمة المترجم، **أصل الأنواع،** ص:٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأشجار، وإن بعضاً من هذه الصعابير تطورت إلى فرقتين: الأولى: السعادين، وهي الحيوانـات ذوات الذيول، والفرقة الثانية: هي الفردة وهي الحيوانات معدومة الذيول، والبشرانيات[١].

ثم يقول (إسماعيل مظهر): "أما من أي من الشعب العديدة التي تحولت إلى الصعابير فقد نشأ الإنسان، فالأمر لا يزال محوطاً بكثير من الشك عند العلماء، ولكن الـراجح أن سـلفاً مـن الأسلاف البشرية-المشابهة للبشر- قد تطورت عنه شعب جاء منها الغرلى والشمبنزي والأرطان والحبن، ثم الإنسان، ويظهر أيضاً من الصعابير جاء (السغل)، وهو حيوان صغير من الرئيسيات، في دماغه تلك البلديات التي على غرارها تشكل الدماغ البشري، ومما يذهب إليه بعض الأحيائيين أن (السغل) قد يكون الأصل الذي منه نشأ الإنسان"[٢].

وهكذا، فإن داروين يعتقد أيضاً بأن الإنسان إنما نشأ من تطور الحيـوان مـن الأنـواع السابقة له، وهذا ما سنشرحه في المبحث القادم-ولا بد أن تظهر وتنشأ الطوائـف الخمـسة مـن الطوائف الأخرى، حيث يتسلسل بعضها من بعض، وتتطور واحداً تلو الآخر، ويرفض داروين أي فكرة خلق مستقلة في الكائنات الحية وأنها جاءت إلى الأرض فجأة وجميعاً من العـدم بقـدرة الخالق. بل يعتقد إن جميع هذه الكائنات الحية إنما ترجع وتشترك في أصل بدائي واحد.

يقول داروين: "وهنا أضع بعض الملاحظات حيث أن أصحاب فكرة النـشوء والتطـور يعترفون أن الفئات الفقارية وأقصد- الثدييات والطيور والزواحف والبرمائيات والأسماك تنحـدر جميعاً من بعض هذه الأنواع لأنها تشترك في كثير من الأشياء، وخاصة خلال وجودها كأجنة، وحيث أن فئة الأسماك هي أدناها من حيث تكوينها أو سلوكها وظهرت إلى الوجود قبـل الفئـات الأخرى فقد نستنتج أن كافة الأفراد في مملكة الفقاريات جاءت من أسماك تـشبه الحيوانـات وإن كانت أدنى من الأنواع الأخرى"[٣].

( I will content myself with a few general remarks. Every evolutionist will admit that the five great vertebrate classes, namely, mammals, birds, reptiles, amphibians, and fishes, are all descended from some prototype; for they have much in common, especially during their embryonic state. As the class of fishes is the most lowly organized and appeared before the others, we

---

(١) أنظر: المصدر نفسه، ص:٤٤.

(٢) مقدمة المترجم، **أصل الأنواع**، ص:٤٤.

(٣) داروين، **سلالة الإنسان وصلته من حيث الجنس**، ج١، ص: ٢٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

may conclude that all the members of the Vertebrates kingdom are derived from some fish-like animal, less highly organized than than any as yet found in the lowest known formations)

ومن خلال عملية التنازع على البقاء والانتخاب الطبيعـي، وتـأثير العوامـل الوراثيـة لاستعمال الأعضاء وعدم استعمالها، تطورت عشائر الحيوانات ونشأت منها الأنواع الجديدة التي تختلف عنها خلال العصور المديدة[١].

ذلك كما يقول داروين: "لقد راجعت الآن الحقائق والاعتبارات الرئيسية التـي أقنعتنـي تماماً أن الأنواع قد تحورت خلال آماد طويلة من التسلسل والانحدار، وذلك بواسطة الإبقاء على تغيرات عديدة متعاقبة طفيفة نافعة أو بانتخابها انتخاباً طبيعياً، وقد ساعدت في ذلك بدرجة كبيـرة التأثيرات الوراثية لاستعمال الأعضاء وعدم استعمالها، وكما ساعدت بدرجة غير كبيرة التراكيب التكيفية سواء في الماضي أو الحاضر، كذلك التأثير المباشر للظروف الخارجية وكذلك التغيـرات التي يبدو لنا- ربما جهلاً منا- أنها تنشأ ذاتياً ويظهر أن كنت قد قللت من شأن هذه التغيرات من حيث أنها تؤدي إلى محورات مستديمة مستقلة عن تأثيرات الانتخاب الطبيعي"[٢].

وكذلك تنقرض الأنواع وتظهر أنواع جديدة أكثر رقياً منها هي أمر متلازم فـي نظريـة داروين، حيث يقول: "تكلمنا حتى الآن في اختفاء الأنواع والعشائر بطريقة عرضية، ولنا أن نعني أنه بمقتضى نظرية الانتخاب الطبيعي، ينبغي أن يكون انقراض الصور القديمة، وظهور الـصور الجديدة المرتقبة، أمرين متلازمين أشد التلازم"[٣].

قد بينا فيما سبق حقيقة نظرية داروين في أصل الحيوان، وإنه إنما تنفي أي تدخل إلهـي في تفسير نشأة الحيوان، بل يعتمد داروين على عمليات التطور في تفسيرها، كما يقول إسـماعيل مظهر: "ومنهنا نرى أنه بالتطور قد وجدت جميع الكائنات الحية فخرج بعضها من بعـض علـى طول الأحقاب الجيولوجية"[٤].

---

(١) أنظر: داروين، **أصل الأنواع**، ص: ٧٦٦.

(٢) داروين، **أصل الأنواع**، ص:٧٦٦.

(٣) المصدر نفسه،ص: ٥٩٦.

(٤) مقدمة المترجم، **أصل الأنواع**، ص: ٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

**المطلب الثالث: الإنسان**

إن البحث في أصل الإنسان عند داروين هو أخطر الفرضيات التي طرحت إذ زعم أكثر الناس بأنها هي حقيقة لا يعتريها الخطأ، بل جعلوها كأسس للتعلم في تاريخ البشرية كما كان في كثير من كتب علم الأحياء.

كان داروين يؤمن بالنشوء والتطور في نشأة جميع الأحياء، ويشمل ذلك الإنسان، ويشمل ذلك الإنسان حيث ورد في كتابه كما يقول مترجمه (إسماعيل مظهر): "منذ أن اختمر مذهب التطور واستوى في تصور (داروين)، وبان له بالشواهد الثابتة أن الأنواع تتغاير وتتحول، لم يستطع أن يفلت من الاعتقاد بأن الإنسان لابد أن يكون قد مضى في طوال تاريخه العضوي، خاضعاً لنفس السنن التي خضعت لها جميع الأحياء"[١].

وقدم داروين شروحاته وأدلته عليها في كتابه الموسوم (سلالة الإنسان) [٢]، وأما كتابه (أصل الأنواع) فلم يذكر فيه شيئاً عن أصل الإنسان إلا إشارة طفيفة حيث قال: "إني لألمح في المستقبل ميادين مفتوحة لبحوث أكثر أهمية، وسيقوم علم النفس على أسس جديدة، من حيث أن الاكتساب اللازم لكل قوة وكفاءة عقلية يتم بالتدريج، وهكذا سيسطع الضوء على أصل الإنسان وتاريخه"[٣].

ويعتبر كتابه (سلالة الإنسان) مقدمة وبداية لشروحاته عن أصل الإنسان.لقد سار داروين إلى القول بأن الإنسان إنما نشأ على وجه الأرض و"صار إنساناً عن طريق تحول الحياة عبر ملايين الأجيال من أسفل إلى أعلى، أي من حياة فيروسات في المستنقعات المائية إلى حياة الإنسان، أعلى كائن بين الكائنات ذات الحياة"[٤].

---

(١) داروين، **أصل الأنواع**،ص:٥١.

(٢) إننا سنعتمد غالباً على هذا الكتاب في هذا المبحث، إذ وضح داروين أصل الإنسان فيها فقط دون سائر كتبه، وهذا الكتاب إنما جاء باللغة الإنجليزية، وليس مترجماً للغة العربية، وإنما استعنت بمكتب (المسرة للترجمة المعتمدة) وهو من المكاتب المعتمدة في الترجمة العلمية حيث قاموا بترجمة العبارات الهامة فيها لها علاقة بموضوعنا التي تعبر خلاصة نظرية داروين في خلق الإنسان، ولذا أرفقتُ بها النص الإنجليزي حتى يكون مجالاً للمناقشين للمطابقة وبيان سلامة المرجع المنقول منه المادة العلمية، وهذا الكتاب الموسوم (سلالة الإنسان وصلته من حيث الجنس).

(٣) داروين، **أصل الأنواع**، ص: ٧٧٦.

(٤) حنا، **قصة الإنسان**، ص: ١٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالإنسان الحالي عند داروين هو آخر النتاج من تطورات الأحياء قبله خلال ملايين السنين، من أبسط وأدنى صورة ثم تدرج وترقى إلى أكملها وأكثرها تعقيداً هو الإنسان، حيث يقول داروين: "**وهكذا أسندنا إلى الرجل سلالة ذات نوعية هائلة وفخمة وضخمة،** والعالم كما يبدو كان يستعد للحدث العظيم وهو الإنسان، وهذا في الواقع شيء صحيح لأنه مدين بوجوده إلى السلالة البشرية العظيمة"[١].

(Thus, we have given to man a pedigree of prodigious length, but not, it may be said of noble quality. The world, it is often been remarked, appears as if it had long been preparing for the advent of man; this is, in one sense strictly true, for he owes his birth to along line of progenitors)

ولذلك يشترك الإنسان كما يرى داروين مع جميع الكائنات الحية في نشأته من أصل بدائي واحد، ويتصل بعضهم بعضاً، فيضع داروين الإنسان في طائفة الحيوان، وهي طائفة الثدييات، إذ أنه بين الإنسان والثدييات شبه أكثر مما هو بين طوائف أخرى من الحيوانات، ومن أهمها أن الثدييات هي الحيوانات ذات دم دافئ بينما ما سبقها من ذوات الدم البارد[٢].

وكذلك التشابه في مجهزات القوام بينهما كما ذكر صاحب (ملقى السبيل): "وبالجملة تجد أن كل مجهزات القوام في الإنسان هي بذاتها في ذوات الثدي، وأن الإنسان لايختلف عنها في شيء، اللهم إلا في الدرجة والصفة، اختلاف أنواع ذوات الثدي وصنوفها وأجناسها بعضها عن بعض"[٣].

ويقول (هكسلي): "أما الثدييات فقد وقفت كل فروعها كذلك إلا واحداً-وهذا الواحد أصبح الإنسان"[٤].

ومن ثم، ظهرت من الثدييات فئة أخرى تسمى بـ(الرئيسيات)، وتشمل هذه الطائفة في علم الأحياء الرئيسيات السفلى ومنها الحيوان (الليمور) و(الترسير)، وكلاهما حيوان صغير يعيش

---

(١) داروين، **سلالة الإنسان وصلته من حيث الجنس،** ج١، ص: ٢١٣.

(٢) أنظر: غلاب، **تطور الجنس البشري،** ص:٧١.

(٣) مظهر، **ملقى السبيل في مذهب النشوء والإرتقاء،**ص:٢٨٧.

(٤) هكسلي، **الإنسان في العالم الحديث،** ص: ١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الأشجار، وكذلك تتضمن أيضاً ((السعادين)) وهي القرود ذات الذيول، والقرود بدون الـذيول أو ما تسمى أيضاً بالقرود شبيهات الإنسان وهي من فئة الرئيسيات العليا[١].

وهي مما يطلق عليها الطبيعيون اسم (الأنثروبويد) أي القردة المشابهة للإنـسان، يقـول صاحب (ملقى السبيل): "هذه الحيوانات أصبحت معروفة لدى الباحثين، وتنحـصر فـي الأوران أوتان الذي هو في بورنيو وسمطرة، والشمبانزي والغوريلا الذين همـا فـي غـرب أفريقيـة، وصنوف الجيبون أي القردة الطويلة الأذرع، وهي عدة أنواع تقطن الجنوب الشرقي مـن آسـيا وغالب أرخبيل الملايو"[٢].

ونلاحظ في كتاب داروين في (سلالة الإنسان) نجد أنه يكرر كلامه ويرسخ اعتقاده بـأن أسلاف الإنسان هم من الحيوان الأدنى حيث قال: "سلالة الأولى من الإنسان بلا شك كـان لهـم شعر يغطيهم وكان للرجال وللنساء لِحي (جمع لحية) وكانت آذانهم مدببة وقادرين على الحركة، ولهم ذيل وعضلات قوية تناسب حركتهم"[٣].

(The early progentitors of man were no doubt once covered with hair, both sexes having beards; their ears were pointed and capable of movement; and their bodies were provided with a tail, having the proper muscles)

ثم بدأ داروين يضيف إلى ذلك بقوله بأن هذه أسلاف أولى للإنسان وإنه هو مـن جـنس (الليمور)، وهو حيوان صغير يعيش في الغابة، وأضاف قوله بعد ذلـك بـأن أقـرب الأسـلاف للإنسان هي قرود العالم القديم، ويقول: "في فئة الثدييات ليس من الصعب معرفـة الـصلة بـين (المونوترماتا) و(المارسوبيالز) القديمة وبين السلالات القديمة وبين الثدييات ذات المشيمة، **وبهذا يمكننا الصعود إلى فئة (ليموريدا) والفترة الزمنية ليست بعيدة عن فئة (السيميدال)، ثم تفـرع (السيميدال) إلى فرعين كبيرين، هما قرود العالم الجديد والعالم القديم، ومن الفئة الأخيرة- أي الفترة البعيدة جاء الإنسان الذي هو معجزة الكون والدليل على عظمته**"[٤].

(In the class of mammals the steps are not difficult to conceive which led from the ancient Monotremata to the ancient Marsupials; and from these to

---

(١) أنظر: شويقة، **مقدمة في الأنثروبولوجيا الطبيعية والسلالات البشرية**، ص: ٤٤-٤٥.

(٢) مظهر، **ملقى السبيل في مذهب النشوء والإرتقاء**، ص: ٢٩٣.

(٣) داروين، **سلالة الإنسان وصلته من حيث الجنس**، ج١، ص: ٢٠٦.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص: ٢١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

the early progentitors of the placental mammals. **We may thus ascend to the Lemuridae; and the interval is not wide from these to the Simidae. The Simidae then branched off into two great stems, The New World and The Old World monkeys; and from the latter, at a remote period, Man, the wonder and glory of the universe, proceeded)**

مما سبق، توضح لنا أن الإنسان يتصف بأنه من سلالة من فئة قرود العالم القديم، ولكـن داروين ينكر فيما بعد بأن هذا الأصل هو القرود كما نراها حالياً: إن الإنسان من حيـث الجـنس (الجينات) يمت بصلة إلى (كاتارين) أي إلى فئة عالمية قديمة، وأننا نستنتج مهما كان للأمر وقـع ذلك على كبريائنا، فإن أجدادنا الأوائل كانوا على ذلك الشكل تماماً **إلا أنه يتوجـب علينـا أن لا نفترض أن أسلافنا من تلك الفئة السامية بما فيهم الرجل كانوا متطابقين أو حتى على شبه كبير مع أي نوع من القرود الموجودة حالياً"**[(1)]**.**

ذلك على كبريائنا، فإن أجدادنا الأوائل كانوا على ذلك الشكل تماماً **إلا أنه يتوجب علينا أن لا نفترض أن أسلافنا من تلك الفئة السامية بما فيهم الرجل كانوا متطابقين أو حتى على شبه كبير مع أي نوع من القرود الموجودة حالياً"**.[2]

(And as man under a genealogical point of view belongs to the Catarhine or Old World stock, we must conclude, however much the conclusion may revolt our ride, that our early progenitors would have been designated. **But we must not fall into the error of supposing that the early progenitor of the whole Simian stock, including man,was identical with, or even closely resembled, any existing ape or monkey)**

ولذلك، ترك داروين مسألة أصل الإنسان معلقة، إذ أنه لم يقل بأن الإنسان يتأصل من القرود صراحة، بل إنما يسلك مسلك الحذر حيث يقول بأن الإنسان حالياً والقرود حالياً إنما يشتركون في أصل واحد أو هو ما يسميه داروين بـ "جد مشترك".[3]

يقول الدكتور السيد محمد بدوي: "لم يقل داروين بأن ((أصل الإنسان قرد))، بل قال إن نتيجة أبحاثه في التطور تدعوه إلى الاعتقاد بأن الإنسان يشترك مع القرد في أصل واحد، وأنهما قد انحدرا عن كائن وسط بين الإنسان والقرد لم نستطع أن نكشف عنه بعد".[4]

---

(1) داروين، **سلالة الإنسان وصلته من حيث الجنس**، ج١، ص: ١٩٧-١٩٩.

[2] داروين، **سلالة الإنسان وصلته من حيث الجنس**، ج١، ص: ١٩٧-١٩٩.

[3] انظر: داروين، **أصل الأنواع**، ص: ٧٤٥.

[4] بدوي، **التطور في الحياة وفي المجتمع**، ص: ٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما يقول عالم التطور (هرمن كلاتش):"داروين نفسه كان في قوله شديد الحذر، فلم يعلن ((تسلسل الإنسان من القرد)) بوضوح شديد كما جهر به هيجل في ألمانيا بعد ذلك، وكذلك هكسلي المورفولوجي الإنجليزي الكبير ومساعد داروين في جميع المسائل التشريحية، اقتصر في كتابه المشهور ((مكانة الإنسان في الطبيعة)) على محاولة البرهنة على قرابة الإنسان المتينة بجميع القرود الإنسانية، وأظهر أن الفرق بين القرود المنحطة والقرود الإنسانية أكبر في كبير من النقط من تلك التي بين هذه وبين الإنسان".[١]

وكما يقول صاحب (هؤلاء درسوا الإنسان): "قد فسر داروين بعد ذلك في كتابه ((تحدر الإنسان)) بذكر وجوه الشبه في تركيب الجسم عند جميع الحيوانات العليا، بما فيها الإنسان، فيشرح داروين أن تشابهاً كهذا لا يمكن فهمه إلا إذا عللته نظرية تقول بالتعديل، الحاصل عن طريق التحدر من سلف مشترك".[٢]

وكذلك شرح (جون لويس) أن الإنسان ليس هو من أي نوع من القردة الحالية، وإنما يشترك في أصل واحد مع هذه القرود فحسب، يقول: "إن ذات الفكرة الشائعة القائلة بأن الإنسان انحدر من سلف ما شبيه بالقرد ومن النوع الذي نعرفه جيداً- الشمبانزي والغوريلا والأورانج اوتان- لا تقوم على أساس، فهذه المجموعة من الحيوانات تعرف بـ((البنجد)) وهي متشعبة من العائلة المؤدية إلى الإنسان، الكائنات الشبيهة بالإنسان ولربما كان ذلك قبل ستين مليون سنة، وكان السلف المشترك للأسرتين نمطاً وسيطاً قادراً على سلوك أحد الاتجاهين".[٣]

وهكذا كما يعتقد داروين، بأن الإنسان والقرود حالياً إنما يشتركان في أصل واحد، فإن هذا الأصل ليس هو القرود حاليا، وإنما هو مخلوق الممزوج بين الإنسان والقرود، وهو نصف القرود ونصف الإنسان.

وصف داروين في كتابه (سلالة الإنسان) هذا الأصل المشترك بين الإنسان والقرود بأنه كالمخلوقات الشبيهة بالقرود، وذكر ذلك عدة مرات هذا الكتاب، حيث قدم الأدلة على شبه بين الإنسان والقرود، فيقول: "إستناداً إلى ما سبق يظهر لنا من النظرة الأولى أن الإنسان ربما احتفظ

---

[١] كلاتش، هرمن، **النشوء والارتقاء أو مصير الإنسانية ونشوء المدنية**، د.ط، (ترجمة: عصام الدين حفني ناصف)، المكتبة المصرية-القاهرة، ١٠٥-١٠٦.

[٢] أ. كاردينر، وأ. بربيل، **هؤلاء درسوا الإنسان**، ص: ٢٦.

[٣] لويس، جون، **الإنسان ذلك الكائن الفريد**، د.ط، (ترجمة: د. صالح جواد الكاظم)، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ودار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ١٩٨٦م، ص: ١٠٢-١٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بلحيته منذ أمد سابق وبعيد وحتى لحية البشر أو **النوع البشري تبدو موروثة من فئة أو سلالة تشبه القرود".**[١]

(It appears therefore at first sight probable that man has retained his beard from a very early period... Even the colour of the beard with **mankind seems to have been inherited from an ape-like progenitors**)

وهكذا، فالإنسان تطور وتحول من كائنات سبقه كما كانت طوائف أو عشائر الحيوانات الأخرى، حيث كانت في بدء تحولها إلى أنواع أخرى إنما هو الحيوان الخليط المزيج حيث أن الأسماك في بداية ظهور البريمائيات، كانت خليطاً بين الأسماك والبريمائيات، ثم تطورت إلى الزواحف، وهي البريمائيات الشبيهة بالزواحف، ثم إلى الزواحف الشبيهة بالطيور، وأخيراً إلى الزواحف الشبيهة بالثدييات.

كما يقول داروين: "وأخيراً فإن الطوائف المختلفة من الحقائق التي درست في هذا الفصل، يبدو لي أنها تعلق بكل وضوح أن الأنواع والأجناس والفصائل التي لا تعد من الكائنات العضوية التي تعمر هذه الدنيا قد انحدرت جميعاً، كل في حدود طائفته أو مجموعته، من جد مشترك، وأنها جميعاً قد تحورت خلال تاريخ ذلك الانحدار، لدرجة أنني لا بد أن أقتنع بهذا المذهب وأتبناه حتى ولو لم يكن مدعماً بحقائق أخرى أو بجدل آخر".[٢]

ولكن أين الحلقات الانتقالية التي تثبت كلام داروين؟ يجيب داروين بقوله: "بالنسبة لعدم وجود بقايا المتحجرات التي تساعد على ربط الإنسان بأسلافه شبيهة بالقرود، لا يمكن لأحد أن يعتمد بشدة أو بقوة على هذه الحقيقة خاصةً وأن المناطق التي من المحتمل أن توجد فيها مثل هذه البقايا التي تربط الإنسان مع مخلوقات شبيهة بالقرود والتي انقرض بعضها لم يتم البحث عنها من قِبل الجيولوجيين".[٣]

(With respect to the absence of fossil remains serving to connect man with his ape-like progenitors, no one will lay much stress on this fact.. those regions which are the most likely to afford remains connecting man with some extinct ape-like creature, have not as yet been searched by geologists)

والحقيقة، أن داروين يخالف نفسه بالادعاء بوجود هذه الصور الانتقالية، ولكن لم يعثر عليها أحد فيما بعد، كأنه يعتقد بأنه سيتم اكتشافها في المستقبل!

---

[١] داروين، **سلالة الإنسان وصلته من حيث الجنس**، ج٢، ص: ٣٧٩.

[٢] داروين، **أصل الأنواع**، ص: ٧٤٥.

[٣] داروين، **سلالة الإنسان وصلته من حيث الجنس**، ج١، ص: ٢٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما هذا إلا خيال اخترعه داروين، فآمن بها أتباعه وحاول هؤلاء أن يجعلوا هذه الآمال حقيقة علمية كما نراها الآن في كثير من الكتب والموسوعات الشائعة.

كذلك قام هؤلاء بأعمال التنقيب منذ مائة سنة مضت للبحث عن المتحجرات من الحلقات المفقودة مدعماً لإثبات إدعاء داروين، وأول من بدأ البحث فيها، هو طبيب هولندى اسمه (يوجين دبوا)، وسافر (دبوا) إلى سومطرة (جزيرة في أندونيسيا) في عام ١٨٨٧م للبحث عن أسلاف الإنسان.[١]

ويقول (روث مور) وهو عالم التطور: "بدأ البحث عن أسلاف الإنسان، وأول من بدأ به فيزيائي هولندي شاب ذهب إلى جزر الهند الشرقية، للبحث عن الحلقة المفقودة، وقد نجح تقريباً، فمن شاطىء نهر في جزيرة جاوة وجد في بعض الحفر عظاماً متحجرة للإنسان المسمى بيثكانتروبس أراكتس، وقد تحقق أخيراً من أنه أول إنسان، ولو أنه لم يكن الحلقة المفقودة".[٢]

بعد ذلك توالت لباحثين تطوريين اكتشافات أخرى في هذه الحلقة المفقودة، ويدعي هؤلاء وجودها، منهم (ريموند دارت) في عام ١٩٢٤م، حيث اكتشف على ما يزعم بقايا جمجمة لمخلوق بشري يشبه القرد في كهف (تاونج) في بتشوانا بجنوب افريقية[٣].

وقد أطلق (دارت) على هذا الجنس بالقرد الجنوبي أو (أوسترالوبيتكوس)[٤]، ويؤمن علماء التطور بأنه من أحد البشر الذين عاشوا خلال عصر (البليستوسين)[٥]، وهو يتصف بصفات القرد وصفات الإنسان عامة.[٦]

ويزعم التطوريون بأن ما اكتشفه (دارت) هذا هو الجدود المشتركة الأولى للإنسان، وأن هذا (الأوسترالوبيسوس) ليس سوى نوع من أنواع القرود القديمة المنقرضة، وله أنواع ونماذج متنوعة.[٧]

---

[١] انظر: مور، روث، **التطور**، د.ط، مكتبة كتب تايمس-لايف، نيويورك، ١٩٦٣، ص: ١٣٠.
(Moore, Ruth, **Evolution**, Time-Life Books-New York, ١٩٦٣, pp: ١٣٠)

[٢] نقلاً عن : القرطاس، قيس، **نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها**، ط١، مؤسسة الرسالة-بيروت، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ص: ٨٢.

[٣] انظر: غلاب، **تطور الجنس البشري**، ص: ١٠٩.

[٤] انظر: المصدر نفسه، ص: ١٠٩.

[٥] انظر: ماك آلستر، **تاريخ الحياة**، ص: ٢١٧.

[٦] انظر: غلاب، **تطور الجنس البشري**، ص: ١٠٩.

[٧] انظر: يحيى، هارون، **خلق الكون**، ط١، مؤسسة الرسالة-بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص: ١٨٣-١٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنذ ذلك الحين، يعتقد هؤلاء بأنهم قد عثروا هذه الحلقات الوسطى، وليست مفقودة الآن، حيث يقولون: "فجاء التطوريون في القرن التاسع عشر إلى التكهن حول "الحلقة المفقودة" في ما بين الإنسان والحيوان كأسلاف له، وأن (أوترالوبيتكوس) هو واحد من تلك الروابط، وبالتالي لم يعد في عداد المفقودين".[١]

(Nineteenth-century evolutionist liked to speculate about the 'missing link' between man and his animal forbears. The australopithecines are the one of such 'links', no longer missing)

ثم جاء بعد ذلك أنصار داروين مرة أخرى وزعموا أنهم قد عثروا على هذه الحلقة المفقودة، حيث يقول (جون لويس): "عثر على عدد كبير جداً من هذه الكائنات، وغالباً ما كانت ذات أنماط متغايرة، وأهمها كائن كبير اكتشفه (ليكي) في (أولدفاي جورج) في شرق افريقيا، ويسمى (زينيانثويس). وهذا أقدم مستحاثة من هذا النمط عرفت حتى الآن، ويبلغ عمرها حوالي مليون وسبعمائة الف سنة، وقد وجد الـ(زينيانثويس) صلة وثيقة بما كان في وقته أقدم نوع معروف للإنسان الحقيقي، أي الإنسان ذي المهارة، الذي لا بد أن يكون قد عاش قبل مليون سنة مما كان قد اعتبر حتى ذلك الوقت الإنسان الحقيقي الأول، أي الإنسان القائم المنتصب وإنسان (جاوا) الشهير".[٢]

لكن ما عثر عليه (ليكي) وزوجته في عام ١٩٥٩م، ما هو إلا "ثلاث أسنان بشرية وجمجة بشرية في موضع بحدائق (أولدفاي) في شرق إفريقية، كما عثر في نفس الموضع على آلات حجرية بدائية".[٣]

فالحلقات المفقودة المزعومة لم يعثر عليها أحد أبداً حتى الآن، فالادعاء بوجودها هو بهتان اخترعه داروين.

ومما سبق، يتضح لنا، أن داروين يعتقد بأن الإنسان إنما هو من سلالة القرود، حتى ولو أنكر ذلك هو واتباعه، كما قال (جورج سلستي): "إن البعض ينسب إلى داروين خطأ القول بأن الإنسان متحدر من القرود، وعندما ابتدأت أفكار داروين في الانتشار، لم يكن من الميسور أن

---

[١] دوبزنسكي، ثيوديوس، **تطور الجنس البشري**، ط٩، نيو هيزين ولندن، المطبعة الجامعة اليال، ١٩٦٦م، ص: ١٧٤.

(Dobzhansky, Theodosius**, Mankind Evolving: The evolution of the human species**, Edition: ٩, New Haven and London, Yale University Press, ١٩٦٦, pp: ١٧٤)

[٢] لويس، **الإنسان ذلك الكائن الفريد**، ص: ٨٧.

[٣] غلاب، **تطور الجنس البشري**، ص: ١١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يظل الناس طويلاً دون أن يتهموا حالة أسلاف البشر في هذا الخليط الحيواني الذي تمثله القردة الإنسانية".[١]

وإذ نشير إلى كلام داروين، حيث يقول: "أن أجناس القرود مثل الغوريلا والشامبانزي، والأورانج والهالوبيتس، تختلف من حيث طبيعتها عن الأنواع القديمة ولو أن تلك القرود لها أو تشكل مجموعة خاصة بها حيث يتوافق الإنسان معها ليس فقط من حيث السِمات أو الخصائص التي تشاركها وخاصة مع مجموعة (كاتاهرين) ذات الخصائص المختلفة كعدم وجود ذيل من حيث الصلابة أو في المظهر العام **فإننا في تلك الحالة نستنتج أن بعضاً من تلك الأجناس القديمة هي التي تسببت في وجود الإنسان**".[٢]

(The anthropomorphous apes, namely the gorilla,chimpanzee, orang,and hylobates, are separated as a distinct sub-group from the other Old World monkeys by most naturalist.. If the anthropomorphous apes admitted to form a natural sub-group, then as man agrees with them, not only in all those characters which he possesses in common with the whole Catarhine group, but in other peculiar characters, such as the absence of a tail and of callosities and in general appearance**, we may infer that some ancient member of the anthropomorphous sub-group gave birth to man)**

وهذا يكفي عندنا بدون أي توسيع في كلامه المعقد مرة أخرى، ما يدلّل على إيمانه بأن الإنسان إنما ينحدر من سلالة من نوع القرود!

وكما شرحنا سابقاً، إنه يعتقد بتطور الأحياء قبله كان تطوراً طويلاً منذ زمان بعيد من أدنى الحيوانات من طائفة الأسماك، ثم البرمائيات، ثم الزواحف، ثم الطيور والثدييات، ومما تنشأ عنها الرئيسيات إلى القرود، فآخر التحول هو الإنسان، أكمل وأرقى الكائنات بين جميع هذه الأحياء.

وهذا الكلام عنده هو تأكيد على ذلك، يقول: **وهكذا أسندنا إلى الرجل سلالة ذات نوعية هائلة وفخمة وضخمة، والعالم غالباً ما ينظر إليه وكما يبدو كان يستعد للحدث العظيم وهو الإنسان، وهذا في الواقع شيء صحيح لأنه مدين بوجوده إلى السلالة البشرية العظيمة، ولو لم توجد حلقة في هذه السلسلة لم يكن الإنسان بالشكل الذي نراه عليه الآن تماماً إلّا إذا أغلقنا عيوننا فإننا قد نتعرف من خلال معرفتنا على من هم أباؤنا (أي سلالتنا) وليس هناك داع للشعور بالخجل إذا عرفنا ذلك**".[٣]

---

[١] سلستي، **عباقرة العلم في الغرب**، ص: ١٧٩-١٨٠.

[٢] داروين، **سلالة الإنسان وصلته من حيث الجنس**، ج١، ص: ١٩٦-١٩٧.

[٣] داروين، **سلالة الإنسان وصلته من حيث الجنس**، ج١، ص: ٢١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(Thus we have given to man a pedigree of prodigious length, but not, it may be said of noble quality. The world, it is often been remarked, appears as if it had long been preparing for the advent of man; this is, in one sense is strictly true, for he owes his birth to along line of progenitors.
If any single link in this chain had never existed, man would not have been exactly what he now is. Unless we will willfully close our eyes, we may with our present knowledge, approximately recognize our parentage; nor need we feel ashamed of it).

لذلك لم يفرق (داروين) الإنسان عن القرود العليا إلا في الدرجة وليس في النوع، فالعقل الذي يمتلكه الإنسان هو ما يجعله الأرقى والأعلى بين سائر الاحياء كما يزعم، حيث يقول:"رغم الفروق بين الإنسان والحيوانات من الناحية العقلية ودرجة أهميتها فهو اختلاف في الدرجة وليس في النوع".[١]

(Nevertheless,the difference in mind between man and the higher animals, great as it is, is certainly one of degree and not of kind)

وقد واجه داروين نفسه أكبر الصعوبات خلال بحثه في أصل الإنسان وهي القدرة العقلية والأخلاقية لدى الإنسان، ولكن مهما يكن، فإنه يقول بأن العقل إنما هو من أشياء متطورة كما الحال في الحيوان، حيث قال: "الصعوبة هنا، أصل الإنسان وقدراته الفكرية والأخلاقية، ولكن من يعترف بالمبدأ العام للنشوء يرى أن القدرات العقلية للحيوانات العليا هي من نفس نوع الإنسان، وإن كانت تختلف في الدرجة والقدرة على التقدم والتطور وهكذا الفترة الزمنية بين القوة العقلية للقرود من الفئة العليا للأسماك أو بين ما لدى النملة والحشرات ذات الحراشيف الهائلة".[٢]

(**The greatest difficulty** which presents itself, when we are driven to the above **conclusion on the origin of man, is the high standard of intellectual power and of moral disposition which he has attained. But** every one who admits the general principle of evolution must see **that the mental powers of the higher animals**, which **are the same in kind with those of mankind, though so different in degree, are capable of advancement.**
Thus the interval between the mental powers of one of the higher apes and of a fish, or between those of an ant and scale-insect, is immense).

كما يدعي (كولبرت إدون) أحد علماء التطور : "إن من الشائع في هذا البحث عن تطور الفقاريات الرجوع إلى أنواع من القرود الرئيسية- مثل الليموريس، والتياسير، والسعادين، والقرود، وأن الإنسان يأتي على قمة العالم وهو حاكمه والمتحكم في مصيره وهو شيء صحيح

---

[١] المصدر نفسه، ج١، ص: ١٠٥.

[٢] داروين، **سلالة الإنسان وصلته من حيث الجنس**، ج٢، ص: ٣٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأنه يتفوق على كل الحيوانات الأخرى حيث تطوره العقلي بحد ذاته ظاهرة فريدة في تاريخ الحياة على الأرض".[١]

(It is common in discussions of vertebrate evolution to consider the primates- the lemurs, tarsiers, monkeys, apes, and men- last of all. This practice is an outgrowth of the idea that man is the crowning achievement of evolutionary history, that man is at the top of the heap, the ruler of the world, and the arbiter of his destiny, In a sense this is true, for there is no doubt that the higher primates surpass all other animals in their mental development, and man is a phenomenon unique in the history of life on the earth).

إن أهم الأدلة التي قدمها داروين هي أدلة الأجنة وتركيب الأعضاء بين الإنسان والقردة العليا وهو متساو ومتشابه عنده، ولا وجود لفروق بينهما إلا في القدرة العقلية لدى الإنسان حيث يقول: "وإذا نظرنا إلى الجنين في خلق الإنسان والذي يوجد على نحو أدنى لدى الحيوانات، فإن أعضاءه التي يحتفظ تعود بنا إلى سلالات الإنسان المبكرة".[٢]

(By considering the embryological structure of man-the homologies which he presents with the lower animals,-the rudiments which he retains,-and the reversion to which he is liable, we can partly recall in imagination the former condition of our early progenitors)

وكذلك إن أهم الأدلة عند داروين في زعمه أن الإنسان سليل القرود هو أدلة الحفريات أو المستحاثات، ذلك لأن بقايا الحفريات تشكل ما يكاد سلسلة كاملة من الأشكال التي تؤدي إلى نمط آخر مختلف عنه لدى كل الاختلاف[٣]، يقول داروين: "ونحن إذا اعترفنا بالنقص الذريع في السجل الجيولوجي، فإن مثل تلك الحقائق كما يزودنا بها هذا السجل تدعم نظرية التطور بالتحور".[٤]

ولكن أدلة الحفريات ترفض إدعاء داروين ولا تدعمها، وقد علم داروين هذه الحقيقة، فيقول بأن حفريات الصور الوسطى التي تربط بين الكائنات إنما مفقودةً: "إذا نظرنا في هذا الموضوع نظرة مستقلة عن مسألة البقايا الأحفورية، وعجزنا عن العثور على عدد عظيم منها فيه صفات الحلقات الوسطى التي تربط بين الصور العضوية، فلا جرم يصادفنا معترض آخر محصله أن الزمان الذي قطعته العضويات في أشواط تحولها، لا يمكن أن يكون كافياً لابراز تلك

---

[١] إدون، كولبرت، **تطور الفقاريات: تاريخ تطور الحيوانات خلال العصور الزمنية**، ط:٢، وايلي الشرقية-نيو دلهي، الهند، ١٩٨٢م، ص: ٣٠٠. (إن هذا الكتاب ليس مترجماً للغة العربية، وإنما استعنت بمكتب (المسرة للترجمة المعتمدة) وهو من المكاتب المعتمدة في الترجمة العلمية)

[٢] داروين، **سلالة الإنسان وصلته من حيث الجنس**، ج٢، ص: ٣٨٩.

[٣] انظر: **ميد: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها**، ص: ١١٤.

[٤] داروين، **أصل الأنواع**، ص: ٧٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأحداث العظمى من التحول العضوي، ما دام اعتقادنا الثابت أن كل تحول من التحولات لم يحدث إلا ببطء عظيم على مر الحقب".[١]

ومن خلال عمليات التطور عند داروين من حيث التنازع على البقاء، والانتخاب الطبيعي، والوراثة، وكذلك استعمال وإهمال الأعضاء ما يمكن أن يقودنا إلى التطور العضوي في جميع الأعضاء عندما تصير عديمة النفع نتيجة لتغير العادات أو تحت الظروف المتغيرة للحياة، وعلى أساس هذه النظرية يمكننا أن نفهم معنى الأعضاء الأثرية".[٢]

فالسبب الرئيسي هو الانتخاب الطبيعي، كما يقول داروين: "إني مقتنع أن الانتخاب كان الوسيلة الرئيسية لا الوحيدة- للتحور".[٣]

وكما يقول داروين أيضاً بأن القدرة العقلية التي يملكها الإنسان إنما هي من تأثير وحفظ الطبيعة لهذه الصفات المفيدة له، يقول: "وهذه القدرات هي الأكثر أهمية للحيوانات من الناحية الطبيعية، وعليه فإن الظروف ملائمة لتطورها من خلال الاختيار الطبيعي، وهذه النتيجة قد تسري على الإنسان، فالناحية الفكرية هي الأكثر أهمية للإنسان؛ لأنها تمكنه من استخدام اللغة والاختراع وصناعة الأسلحة والأدوات والمصائد إلى آخره، **ومن خلال العادات الاجتماعية أصبح الإنسان الأكثر سيطرة على كافة المخلوقات الحية".** [٤]

(No one doubt that these faculties are certainly are the utmost importance to animals in a state of nature. Therefore the conditions are favourable for their development through natural selection. The same conclusion may be extended to man; the intellect must have been all important to him, even at a very remote period, enabling him to use language, to invent and make weapons, tools, traps; by which means**, in combination with his social habits, he long ago became the most dominant of all living creatures**)

وقد أدرك داروين بأن حقيقة نظريته عن تسلسل الإنسان هذا، يؤدي إلى بغض الناس له، واتهامه بالزندقة عند رجال الدين، لذلك يخفي كلامه ذلك ولم يعلن بها صراحة، حيث يقول داروين: "النتيجة الرئيسية التي نصل إليها من خلال هذا البحث هي أن الإنسان هو سليل فئة متدنّية النظام والإرادة، وأنا آسف لأقول أو أفكر كذلك لأن هذا قد لا يروق لكثير من الأشخاص".[٥]

---

[١] المصدر نفسه، ص: ٥٥١.

[٢] المصدر نفسه، ص: ٧٦٥.

[٣] المصدر نفسه، ص: ٧٦٦-٧٦٧.

[٤] داروين، **سلالة الإنسان وصلته من حيث الجنس**، ج٢، ص: ٣٩٠.

[٥] داروين، **سلالة الإنسان وصلته من حيث الجنس**، ج٢، ص: ٤٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(The main conclusion arrived at in this work, namely that Man is descended from some lowly-organized form, will I regret to think, be highly distasteful to many persons)

وكذلك يقول: "وأنا على علمٍ بأن النتائج التي توصلتُ إليها في هذا البحث ستلاقي الاعتراض من رجال الدين، ولكن على المعترض أن يبين لماذا أنه من غير المقبول دينياً تفسير أصل الإنسان كنوعٍ متميز يختلف عن المخلوقات الدنيا من خلال قوانين الاختيار الطبيعي، وليس تفسير ولادة الإنسان أو الفرد من خلال قوانين التكاثر العادي".[١]

(I am aware that the conclusions arrived at in this work will be denounced by some as highly irreligious; but he who thus denounced them is bound to show why it is more irreligious to explain the origin of man as a distinct species by descent from some lower form, through the laws of variation and natural selection, then to explain the birth of the individual through the laws of ordinary reproduction)

وهذا شيء عجيب وبخاصة إذ ظن أنصاره أن داروين قد رفع مرتبة الإنسان! حيث يقول (سلامة موسى): "ولكن داروين رفع الإنسان إلى هذه العلياء من جديد، وأثبت أنه لم يكن عالياً فسقط، وإنما هو كان ساقطاً يعيش على حضيض الطبيعة، حيواناً كسائر الحيوانات والحشرات، ثم ارتفع، وبهذه الكرامة الجديدة انتقل من أسر القدر، وأحس أنه تاج التطور، وأن له الحق في تدبير هذا العالم، وفي تعيين السلالات القادمة".[٢]

وسوف ننقد هذه النظرية نقداً من الناحية الدينية والعلمية في الفصل اللاحق، إن شاء الله.

---

[١] المصدر نفسه، ج٢، ص: ٣٩٥-٣٩٦.

[٢] موسى، **هؤلاء علموني**، ص: ٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

# الفصل الثاني

# نقد نظرية داروين

## المبحث الأول: موقف القرآن الكريم والسنة النبوية

المطلب الأول: القرآن الكريم

المطلب الثاني: السنة النبوية

## المبحث الثاني: موقف العلم والعلماء من نظرية داروين

المطلب الأول: موقف العلماء المسلمين

المطلب الثاني: موقف العلماء الغربيين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

# الفصل الثاني

## نقد نظرية داروين

عرض داروين نظريته من أصل الخلق وتطور كاملة في كتابة (أصل الأنـواع) [١]، إلا أنه ترك مسألة أصل الإنسان معلقة، فلم يشر إليها إلا إشارة موجزة تدل علـى أن عقيدتـه فـي التطور سوف تلقي ضوءاً كثيراً على أصل الإنسان وتاريخه [٢]، فحاول داروين خلال شـروحاته في هذين الكتابين إثارة الشبه والشكوك وبخاصة في بحثه عن أصل الإنسان.

لا ننكر أن بعضاً من تجاربه وملحوظاته يقع ويحدث في الموجودات من خلال التطـور والتوسع، وأن الحياة كانت تبدأ من المائية كذلك قوله في الكائنات الحيـة مـن حيـث الانـسجام والتوافق، ولكن كله إنما هو القانون التي قدره الله تعالى للمخلوقات، وعليه لا تعد نظريتـه هـذه بأنها الحقيقة الكاملة أو لا تقبل أي انتقادات، بل إن الحقيقة هي انه بعد دراستي للنظرية وجـدتُ فيها من الشبهات والافتراءات ما يجعلها بعيدة عن الإيمان بقدرة الله تعالى وعلمه وحكمتـه، لـذا سأقوم بالرد على نظريته المتهافته هذه وتوضيح بطلانها بالأدلة النقلية والعقلية، وسأقتصر في هذا الفصل على عرض هذه الشبهات حول نشأة الخلق، ثم الرد عليها.

---

(١) انظر: بدوي، **التطور في الحياة وفي المجتمع**، ص: ٥٢.

(٢) انظر: عثمان، صلاح محمود، **الداروينية والإنسان: نظرية التطور من العلم إلى العولمة**، ط١، منشأة المعارف، جلال حزى وشركاه، الإسكندرية- القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٩٥-٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## المبحث الأول: موقف القرآن الكريم والسنة النبوية

### المطلب الأول: موقف القرآن الكريم

سوف أعرض هنا للشبهات التي أوردها داروين في نظريته، ثم أبين موقف القرآن الكريم منها، وهي كالآتي:-

**الشبهة الأولى:**

يدعي داروين أن الطبيعة هي القوة الرئيسية في تعيين بقاء الأنواع وإهلاكها عن طريق حفظها للأنواع الصالحة دون غيرها، وأن تطور الكائنات وتحولها في هذا العالم هو نتيجة عمليات التطور فحسب؛ وذلك بنشأة الأشكال الجديدة في الأحياء بالانتخاب الطبيعي المحضة.

**الرد على هذه الشبهة:**

إن الله تعالى هو الذي خلق الأحياء وأحسن في كل خلقه؛ فليس هناك أي حاجة إلى الانتخاب الطبيعي ليتطورها ويتغير صورتها أو أشكال هذه الأحياء لتكون أكثر حسناً وصالحاً حيث قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وصدق قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾[السجدة: ٧].

فهذه الآيات كليها تدل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته في خلق المخلوقات، فلا داعي إلى أي انتقاء الطبيعي لتحويل الأحياء حتى يكون في أكملها، لأن كل الأحياء هي في أكمل تركيبها وتعقيدها منذ نشأتها، ما دامت هذه الأحياء قد ظهرت إلى الوجود كاملة وصالحة منذ بداية خلقتها، فلماذا إذن يحتاج إلى تطور نوعي أخرى؟!

وكذلك إن الحياة كلها نشأة الكون والعالم، وما فيها من سائر الكائنات، إنما هي من صنع الله تعالى وحده، فلم يستطيع أحد أن يخلقها إلا الله، فقوة الطبيعة لم تقدر على إيجاد التحولات وتشكل التراكيب العضوية الجديدة في الأحياء حتى تصبح الأنواع الجديدة كما يزعم داروين!

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإن الله تعالى يقول: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧]، كما يتحدى الله تعالى من يدعي خلق شيء أن تدبير أمره أن يخلق ذبابة، فقال تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج: ٧٣]، فكل شيء في هذا الكون إنما يسير بإرادة الله سبحانه وتعالى وقدرته، وليس بقدرة الطبيعة!

جاء في كتاب (العقيدة في الله): "فإن وجد من يقول: إن الطبيعة قوة أوجدت الكون، وإنما قوة حية سمعية بصيرة حكيمة قادرة.. فإننا نقول لهم: هذا صواب وحق، وخطؤكم أنكم سميتم هذه القوة (الطبيعة)، وقد دلتنا هذه القوة المبدعة الخالقة، على الإسم الـذي تـستحقه وهـو (الله)، الله عرفنا بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، فعلينا أن نسميه بما سمى به نفسه سبحانه وتعالى [(١)].

صحيح، إن كانت الطبيعة لها كل الحكمة في اختيار الأصلح، فمن أين لها هـذه الحكمـة وهذا العلم وهذه القدرة؟ ونحن لا ننكر بأن هناك مراحل التي تمر بها الأحيـاء، مـثلاً، تخـرج الفراشة من اليسروع، وفرخ الضفدع من الضفدع، ولكن هذه الحقيقة لم يحولها إلى أنواع جديدة، فهو إنما يدور بين نوعها وجنسها نفسه، ولم يتطور ويترقى إلى أنواع أخرى كما يزعم داروين! فالطبيعة لم تستطع أن تحولها إلى أنواع أخرى! وأهم شيء في كل هذه العملية إنها تسير بـإرادة الله وقدرته سبحانه، وهذا ما ينكره داروين.

وقد أورد الله سبحانه تعالى عدة مرات في القرآن الكريم بأنه يقدر علـى إيجـاد الـشيء وإبداعه من عدم، وذلك أمر بسيط لله عز وجل، حيث قال تعـالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ٧٣].

---

[(١)] عمر الأشقر، أ. د. عمر سليمان، العقيدة في الله، ط١٥، دار النفائس- الأردن، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م، ص ٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٤٠].

وفي قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [غافر: ٦٨].

فالقرآن الكريم يوضح لنا أن القدرة الإلهية مطلقة في خلق الأشياء عن عدم، وذلك عندما يريد الله أن يخلقها يكفي قوله "كن فيكون" وحاول داروين أن ينكر ذلك، فيقول أن الأحياء جميعاً إنما نشأت من تطور أحياء سابقة لها! وفي نفس الوقت ينكر داروين أن الله قادر أن يخلق الأحياء عن عدم محض وكذلك يؤمن بعبثية الخلق وعدم إتقانه.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤].

يقول الطبري في تفسير هذه الآية أي " يقول تعالى ذكره مخبراً عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا: وما يهلكنا فيفنينا إلا مرّ الليالي والأيام وطول العمر، إنكاراً منهم أن يكون لهم ربّ يفنيهم ويهلكهم" [(١)].

وقد نزلت هذه الآية للمنكرين الذين " كانوا يقولون: الذي يهلكنا ويفنينا الدهر والزمان، ثم يسبون ما يفنيهم ويهلكهم، وهم يرون أنهم يسبون بذلك الدهر والزمان، فقال الله عزّ وجلّ لهم: أنا الذي أفنيكم وأهلككم، لا الدهر والزمان، ولا علم لكم بذلك" [(٢)].

ويقول الإمام الزمخشري: "كانوا يزعمون أن مرور الأيام والليالي هو المؤثر في هلاك الأنفس، وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله، وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث إلى الدهر والزمان، وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان" [(١)].

---

[(١)] الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (تحقيق: مكتب التحقيق والإعداد العلمي في درا الإعلام)، ط١، ج٢٥، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ودار الإعلام، عمان- الأردن، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص:١٨٤.

[(٢)] المصدر نفسه، ص: ١٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فحال داروين لم يختلف عن حال ذلك القوم الذي يتخذون الدهر كالقوة الفاعلة، وأنه يأخذ الطبيعة فيها، وهي المؤثر الرئيسي في التطور عنده.

إذن، فاتخاذ الطبيعة كالقوة في تدبير الأشياء ليست بدعة جديدة، يقول (الأشقر): "هـؤلاء الذين نسبوا الخلق إلى الطبيعة لهم سلف قالوا قريباً من قولهم، وهم الدهرية الذين نسبوا الأحداث إلى الدهر، فقد شاهدوا أن الصغير يكبر، والكبير يهرم، والهرم يموت بمرور الزمـان، وتعاقـب الليل والنهار، فنسبوا الحياة والموت إلى الدهر" [٢].

فالقرآن الكريم قد وضح لنا بأن كل ما في السموات والأرض له خالق مبدع عـن عـدم، وهو الله وحده لا شريك له، كما قـال تعـالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ﴾[الأنعام: ٧٣].

قال تعـالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾[ إبراهيم: ٣٢ – ٣٣].

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴾[ الحج: ٦٦].

وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [النحل: ٧٠].

وإذا نتدبر جميع الموجودات من حولنا في السموات والأرض وتسير الليل والنهار علـى نظام دقيق، والجبال والبحار، والكائنات الحية جميعاً من أكمل خلقها، فأننا نقر بحكمـة الخـالق

---

[١] الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، (ت ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،** (رتبه وضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين)، ط٥، ج٤، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٩م، ص:٢٨٤.

[٢] عمر الأشقر، **العقيدة في الله،** ص: ٩٢-٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكمال قدرته، فكيف يمكن أن تكون الطبيعة قادرة على تطور هذه الأشياء بعد ان تكون في دقـة كاملتها ؟! فلا داعياً إلى ذلك؛ إذ أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يدبر الأمور وليست هي الطبيعة!

إن الله قد فسر لنا كيفية خلق الكون والعالم وما فيهما من الحياة كلها، وهو الخالق الواحد القهار، حيث قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وفي نظام كوني دقيق، حيث "يسير كل جرم في فلكه لا يتعداه إلى فلك جرم آخـر لـئلا يحدث التصادم بين هذه الأجرام السبحة في مساراتها" [(١)].

قـال تعـالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٣٧ – ٤٠].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾[الحج: ٦٥].

قـال تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢].

فهذه الآيات كلها تدل على أن الله تعالى هو وحده الخالق المبدع، وليس الطبيعـة، إذ لـم تقدر الطبيعة أن تأتي بها كما خلق الله عز وجل، حيث قال سبحانه: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧].

---

[(١)] خطيب، عبد الغني، **أضواء من القرآن: على الإنسان ونشأة الكون والحياة**، ط١، مكتبة دار الفتح- دمشق، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م، ص:٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك قد رد القرآن الكريم هذا الادعاء- إذ ينفي داروين قدرة الخـالق- فللـه سـبحانه وتعالى حكمة البالغة وقدرة المطلقة، وهو الذي خلق جميع المخلوقات في أكمل صـورها، حيـث قال تعالي: كيفية إيجاد النبات والحيوان، والله هو الذي يخلقها عن عدم وإنما أصل مصدرهما هو الماء، ذلك لتبين وحدانية الله وقدرته، حيث قال تعالى:﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾ [نوح: ١٧].

وقال تعـالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٩].

وقـال تعـالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٥].

﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٦ – ٩٩].

وفي خلق هذه النباتات والثمار لها حكمة فهي تسخيرها للإنسان والحيوان حيث قال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۖ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ﴾ [السجدة: ٢٧].

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكما قال تعالى في خلق الحيوانات: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥].

يقول الإمام ابن كثير في تفسير الآية:" يذكر تعالى قدرته التامة وسلطانه العظيم، في خلقه أنواع المخلوقات على اختلاف أشكالها وألوانها وحركاتها وسكناتها من ماء واحد، ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ كالحية وما شاكلها، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسان والطير، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ كالأنعام وسائر الحيوانات؛ ولهذا قال: ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ أي: بقدرته؛ لأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [(١)].

هذا يدل على أن القرآن الكريم قد أقر بأن هناك جماعات حيوانية نشأت في دفعة واحدة بأكمل تركيبها، وما يعتقده داروين من أن ظهور هذه الجماعات من الحيوانات واحداً تلو الآخر بسبب عمليات التطور فليس صحيحاً.

وهذه الآية أيضاً تشير إلى أن الأحياء كلها من مادة عنصرها الماء، كما يقول سيد قطب في تفسير الآية: " أن الله خلق الأحياء كلها من الماء، فهي ذات أصل واحد، ثم هي- كما ترى العين – متنوعة الأشكال. منها الزواحف تمشي على بطنها، ومنها الإنسان والطير يمشي على قدمين. ومنها الحيوان يدب على أربع. **كل أولئك وفق سنة الله ومشيئته، لا عن فلتة ولا مصادفة :** ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ غير مقيد بشكل ولا هيئة. فالنواميس والسنن التي تعمل في الكون قد اقتضتها مشيئته الطليقة وارتضتها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [(٢)]

---

[(١)] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، د.ط، م٣، دار أسامه للنشر والتوزيع، د.م، د. ت، ص ١٤٦٥.

[(٢)] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ط: ١٥، م:٤، ج:١٨، دار الشروق- بيروت والقاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص:٢٥٢٣-٢٥٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالقرآن الكريم قد اثبت بأن كل الأحياء من الماء، فلا يمكن أن توجد الكائنات الحية بدون هذا المصدر، حيث قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠ ].

يقول الطبري في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى ذكره: وأحيينا بالماء الذي ننزله من السماء كل شيء، أي كل شيء حي خلق من الماء. فإن قال قائل: وكيف خص كل شيء حي بأنه جعل من الماء دون سائر الأشياء غيره، فقد علمت أنه يحيا بالماء الزروع والنبات والأشجار وغير ذلك مما لا حياة له، ولا يقال له حي ولا ميت؟ قيل: لأنه لا شيء من ذلك إلا وله حياة وموت، وإن خالف معناه في ذلك معنى ذوات الأرواح في انه لا أرواح فيهن وأن في ذوات الأرواح أرواحاً؛ ولذلك قيل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [(١)] .

أما الزمخشري فيفسر الآية ﴿وَجَعَلْنَا﴾ أي: "لا يخلو أن يتعدى إلى واحد أو أثنين، فإن تعدى إلى واحد، فالمعنى: خلقنا من الماء كل حيوان، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾[النور: ٤٥] أو كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه إليه وحبه له وقلة صبره عنه، كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] وإن تعدى إلى اثنين فالمعنى: صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه" [(٢)].

وجاء في تفسير الرازي قائلاً: "اختلف المفسرون فقال بعضهم المراد من قوله: (كل شيء حي) الحيوان فقط، وقال آخرون بل يدخل فيه النبات والشجر لأنه من الماء صار ناميا وصار فيه الرطوبة والخضرة والنور والثمر، وهذا القول أليق بالمعنى المقصود" [(٣)].

---

[(١)] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)**، ج١٧، ص:٢٩.

[(٢)] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ص:١١١.

[(٣)] الرازي، محمد بن عمر، (ت ٦٠٤هـ)، **التفسير الكبير او مفاتيح الغيب**، ط٣، م١١، ج٢٢، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٩م، ص: ١٤١-١٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: " أي: أصل كل الأحياء منه" [١] ؟

إذن، فإن الحياة لا بد من وجود الماء، كما يقول (موريس بوكاي): "يستحيل تصور الحياة بدون ماء، كما أن أي بحث عن أثر الحياة في أي كوكب آخر، يبدأ بالسؤال الآتي: هل هناك ماء؟ وعلى سطح الأرض كانت هناك مجموعة معينة متوالفة من الظروف- بما في ذلك وجود الماء- وتلك الظروف ضرورية لقيام الحياة أصلاً" [٢].

ولكن مهما كان ذلك الاتفاق، لا نوافق داروين في مفهوم الخلق؛ إذ تعارض نظريته بالتطور مع القرآن الكريم وأن الخلق في القرآن إنما هو خلقاً مستقلاً من عند قدرة الخالق، وليس تطوراً من تأثير الطبيعة، وكل شيء يسير بإرادة الله سبحانه فلا يكون من قوى الطبيعة، والله هو مدبر العالم وما فيه كله، وهو مبدع الموجودات والكائنات الحية بأكمل صورتها؛ ذلك بقدرته ومشيئته المطلقة، ولحكمة يريدها الخالق، وصدق الله في قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

**الشبهة الثانية:**

زعم داروين أن الإنسان هو النتاج الأخير من عملية التطورات، حيث يشترك في آخر تحولاته إلى أصل واحد- قبل أن يكون إنساناً- مع الحيوانات العليا أو القرود الشبيهة بالإنسان، وكذلك الإنسان كما كانت الكائنات الأخرى من النبات والحيوان تتأصل من أصل بدائي واحد وهي أحياء بدائية ذات خلية واحدة أو من عدة خلايا في المستنقعات الدافئة، فيتطور ويرتقي من حالاته الدنيا في الحالات الأعلى والأكمل، ولذلك لم يختلف الإنسان عند داروين عن الحيوانات الأخرى وبخاصة القرود الشبيهة بالإنسان أو (الأنثروبيود) إلا في الدرجة وليس في النوع، فالإنسان عنده ما هو غلا سليل نوع من القرود!

**الرد على هذه الشبهة:**

إن القرآن الكريم قد سبق في وجوه نظرية داروين منذ زمن، وقد أوضح نشأة الخلق خاصة في نشأة الإنسان وضوحاً بيناً، وهذه الشبهة عند داروين لم تقم على أدلة مقنعة؛ إذ هي

---

[١] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، م٣، ص:١٣٤٦.

[٢] قطب، **في ظلال القرآن**،م٤، ج١٧، ص:٢٣٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتعارض تماماً مع القرآن الكريم، حيث ذكر الله تعالى انه هو الذي خلق الإنسان، وقد بـدأ خلـق الإنسان بآدم عليه السلام، وهو أبو البشر، وخلقه خلقاً مستقلاً ومباشراً يختلف عن سائر الكائنـات التي خلقت عن طريق التزاوج والتكاثر العادي إذ نفخ الله تعالى في آدم عليه السلام من روحـه، ومر بمراحل خلق متميزة وفريدة ذلك بقدرة الله تعالى وإرادته.

وذلك كما جاء في القرآن الكريم، حيث قال تعـالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [ص: ٧١ - ٧٦ ].

قال الإمام الطبري: "حين ﴿ قَالَ رَبُّكَ ﴾ يـا محمـد ﴿ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾، يعنـي بذلك: خلق آدم، وقوله ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا سـويت خلقـه، وعدلت صورته، ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ قيل: عني بذلك: ونفخت فيه من قدرتي" [١].

ويقول أبو السعود في تفسير هذه الآية: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ ﴾ " أي صورته بالصورة الإنسانية والخلقة البشرية أو سويت أجزاء بدنه بتعديل طبائعه ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ النفخ إجراء الريح إلى تجويف جسم صالح لإمساكها والامتلاء بها. **وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وإنمـا هـو تمثيـل لإفاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها** أي فإذا كملت استعداده وأفضت عليه ما يحيى

---

[١] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)**، ج٢٢، ص:٢٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

به من الروح التي هي أمري ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ﴾ أمر من وقع فيه دليل على أن المأمور به ليس مجرد الانحناء كما قيل أي اسقطوا له ﴿سَٰجِدِينَ﴾ تحية له وتكريماً [١].

ويقول الشعراوي: " خلق الله تعالى آدم بيده، فكلنا مخلوقون بقانون الخلق، ولا بد أن يجتمع رجل وامرأة ليتم الخلق وفقاً لسنة الله تعالى في خلقه، إذن فالتسوية من عند الله، والروح من عند الله.. وأن آدم لي مخلوقاً كغيره من البشر، ولكنه مخلوق بيد الله تعالى مباشرة [٢] .

ويقول الصابوني: " ذكر الله تعالى كل مخلوق خلق من (أبوين) بطريق التزاوج، إلا آدم، فقد خلقه الله بيده من طين، ثم نفخ فيه من روحه، فآدم لم يخلق من أبوين إنما جاء نموذجاً فريدا"[٣].

أم في قوله تعالى: يقول:﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾، فقد فسره الإمـام الطبـري بقوله، "يقول تعالى ذكره: (قال) الله لإبليس، إذ لم يسجد لآدم، وخـالف أمـره: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ ﴾ يقول: أي شيء منعك من السجود ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ يقول: لخلق يدي يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه" [٤]

ويقول الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾، أنها تعني:" **لمـا خلقـت بغير واسطة**" [٥].

---

[١] أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ)، **تفسير أبو السعود، د**. ط، ج٧، دار إحياء التراث العربي- بيروت، لبنان، د. ت، ص: ٢٣٦.

[٢] الشعراوي، محمد متولي، **قصص الأنبياء والمرسلين،** ط١، المكتبة العصرية- بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص:٧.

[٣] الصابوني، محمد علي، **النبوة والأنبياء،** ط٣، مؤسسة مناهل العرفان- بيروت، ومكتبة الغزالي- دمشق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص:١٢١.

[٤] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)،** ط١، ج٢٢، ص: ٢٢٦.

[٥] القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ)**، الجامع لأحكام القرآن،** ط١، م٢، دار ابن حزم- بيروت- لبنان، ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤، ص: ٢٦٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك كما شرح الإمام أبو السعود في هذه الآيـة: ﴿ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ "أي خلقته بالذات من غير توسط أب وأم، والتثنية لإبراز كمال الاعتناء بخلقـه عليـه الـصلاة والسلام المستدعي لإجلاله وإعظامه قصداً إلى تأكيد الإنكار وتشديد التوبيخ" [١]

فخلق الله لآدم عليه السلام إنما هو خلقه مباشرة، بدون أي واسطة مـن أب ولا أم، وهـو أول اخلق، وهو خلقة مستقلة لا علاقة بينه وبين سائر المخلوقات في كيفية خلقته. فقد رجعت سلـسلة انساب الناس كلها إلى آدم عليه السلام، وبكلمة أخرى، إن الإنسان لم يكن موجوداً في هذا العـالم إلا بعد وجود دم عليه السلام.

يقول الإمام الرازي: " اعلم أن العقل دل على انه لا بد للناس من والد أول، وإلا لـزم أن يكون كل ولد مسبوق بوالد لا إلى أول وهو محال، والقرآن دل على أن ذلك الوالد الأول هـو آدم عليه الـسلام، وقـال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ ﴾[النساء: ١]. وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾ [الأعراف: ١٨٩] [٢] .

وكما يقول الإمام ابن عاشور: " واعلم أن موقع الدليل بخلق آدم على الوحدانيـة هـو أن خلق أصل النوع أمر مدرك بالضرورة؛ لأن كل إنسان إذا لفت ذهنه إلى وجوده علم انه وجـود مسبوق بوجود أصل له بما يشاهد من نشأة الأبناء عن الآباء، فيوقن أن لهذا النـوع أصـلاً أول ينتهي إليه نشوؤه [٣].

وكما جاء في قوله تعالى: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [ل عمران: ٥٩]، يقول الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: " يعني جـل ثناؤه: أن شبه عيسى في خلق إياه من غير فحل فأخبر به يا محمد الوافد من نـصارى نجـران عندي كشبه **آدم الذي خلقته من تراب، ثم قلت له كن فكان،** من غير فحل، ولا ذكر، ولا أنثـى.

---

[١] أبو السعود، **تفسير أبو السعود**، ج٧، ص: ٢٣٦.

[٢] الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، ط٣، م٤، ج٨، ص:٦٦.

[٣] ابن عاشور، محمد الطاهر، **التفسير التحرير والتنوير**، د. ط، ج:١، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د. ت، ص: ٣٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول: فليس خلقي عيسى من أمه من غير فحل، بأعجب من خلقي آدم من غير ذكـر ولا أنثـى، فكان لحما، يقول: **وأمري إذ أمرته أن يكون فكان،** فكذلك خلقي عيسى امرته أن يكون فكان" [١].

وفي الكشاف يقول الزمخشري في قوله تعالى ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ قدره جسداً من طين﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾ أي أنـشأه بـشراً كقولـه ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾[المؤمنون: ١٤] ﴿فَيَكُونُ﴾ حكاية حال ماضيه" [٢] .

ويقول الخالدي: "الهاء في (خلقه) تعود على آدم عليه السلام، أي خلق الله آدم من تـراب ثم قال له كن، فكان كما أراد الله [٣].

وبخصوص كيفية خلق آدم عليه السلام، فإن الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا بأن آدم عليـه السلام إنما خلق من تراب ثم طين، وحمإ مسنون، ثم نفخ الله فيه من روحه، وجعله بشراً سـوياً ذلك بقدرة الله وإرادته، تلك هي المراحل التي مرت بخلق آدم دون سواها، وهذه المراحل لم تكن تخرج آدم عن جنسه، فالإنسان هو إنسان منذ خلقه الخالق سبحانه وتعالى، فلم يحوله من جـنس إلى جنس آخر كما يدعي داروين، وليس من الاختيار الطبيعي كما يزعم، فهذا مما دحضه القرآن الكريم.

حيث ذكر سبحانه وتعالى عدة مرات أن آدم أصله من مصدر التراب، فيقول تعالى:-

١) ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

٢) ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ الكهف: ٣٧

٣) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥].

٤) ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]

---

[١] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن،** ج٣، ص: ٣٧٧.

[٢] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التاويل، ط٥، ج١، ص: ٣٦٠.**

[٣] الخالدي، صلاح، **القصص القرآني- عرض وقائع وتحليل أحداث،** ط١، ج١، دار القلم- دمشق، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص:٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥) ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ [فاطر: ١١]

٦) ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ [غافر: ٦٧]

يقول (الصابوني): "لقد كان أساس تكوين آدم عليه السلام، ومصدر نشأته إنما هو التراب، فحين تعلقت إرادة الله جل جلاله في خلق آدم أمر الملائكة أن يجمعوا تراباً من أنحـاء الأرض، ومن ألوان التربة العديدة، فجمعوا فكان هذا التراب هو الأساس في تكوين آدم عليه السلام [(١)].

ثم مر آدم عليه السلام بعد ذلك في خلقته بالمرحلة الثانية وهي المرحلة الطينيـة، حيـث وصف الله تعالى بأن خلق آدم عليه السلام من الطين، كما في قوله تعالى:

١) ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾[ الأنعام: ٢].

٢) ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢].

٣) ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٥]

٤) ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة: ٦ – ٩].

٥) ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [الصافات: ١١].

---

[(١)] الصابوني، **النبوة والأنبياء، ص: ١٢٦.**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦) ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾[ص: ٧١ – ٧٦].

٧) ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء: ٦١]

فقد وصف الله تعالى هذا الطين بأنه طين لازب، والطين إنما هو مـزيج بـين التـراب والماء، ذلك كما فسر الإمام الطبري في قوله تعالى ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴾ أي: " إنا خلقناهم من طين لاصق. وإنما وصفه جلّ ثناؤه باللّزوب، لنه تراب مخلوط بماء" [(١)].

وكما جاء معنى الطين عند الراغب الأصفهاني، فهو: "التراب والماء المختلط وقد يـسمى بذلك وإن زالت عنه قوة الماء" [(٢)].

ويقول (الصابوني) في ذلك: " أخذ هذا التراب ثم جبل بالماء فأصـبح طينـاً لازبـاً (أي متماسكاً) يلتصق بعضه ببعض، وإلى ذلك تشير الآية الكريمة ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴾ [(٣)].

ثم بعد أن جعل الله آدم في صورة الطينية، ترك حتى جفّ ويبس، فأصبح صلصالاً وحمأ مسنونأن ذلك كما وصف الله تعالى بأنه خلق آدم عليه السلام من (الصلصال من حمإ مسنون):

١) ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ

---

(١) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن،** ج٢٣، ص: ٥٥.

(٢) الراغب الأصفهاني، (ت ٤٢٥هـ)، **مفردات ألفاظ القرآن،** ط٥، (تحقيق: صفوان عدنان داوودي)، دار القلم- دمشق، والدار الشامية- بيروت، ١٤٣٣هـص: ٥٣٣.

(٣) الصابوني، **النبوة والأنبياء،** ص: ١٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٖ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[الحجر: ٢٦ – ٣٥].

٢) ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴾ [الرحمن: ١٤ – ١٥]

ويقول الراغب الأصفهاني في معنى الصلصال هو: " تردد الصوت من الشيء اليابس، ومنه قيل: صلّ المسمار، وسمي الطين الجاف صلصالاً، والصلصة: بقية ماء، سميت بذلك لحكاية صوت تحركه في المزادة، وقيل: الصلصال، المنتن من الطين، من قولهم: صل اللحم، قال: وكان أصله صلاّل، فقلبت إحدى اللامين، وقرئ: (أئذا صللنا)، أي: أنتنّا وتغيرنا، من قولهم: صلّ اللحم وأصلّ" [(١)].

كما يقول الإمام الطبري: " خلق الإنسان وهو آدم من صلصال: وهو الطين اليابس الذي لم يطبخ، فإنه من يبسه له صلصلة إذا حرك ونقر كالفخار يعني أنه من يبسه- وإن لم يكن مطبوخاً- كالذي طُبخ بالنار، فهو يصلصل كما يصلصل الفخار، والفخار: هو الذي قد طُبخ من الطين بالنار" [(٢)].

ويقول الزمخشري في الصلصال، بأنه: الطين اليابس له صلصلة، والفخار هو الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف. فآدم عليه السلام قد بدأ خلقه من تراب، ثم جعله طيناً ثم حمأ مسنون ثم صلصالا [(٣)].

ثم يحيه الله تعالى بنفخته من روحه، فجعله بشراً سوياً وهو آدم عليه السلام، ذلك بإرادة الله، حيث قال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [ص: ٧١ – ٧٤].

---

(١) الراغب الأصفهاي، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص: ٤٨٨-٤٨٩.

(٢) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٧، ص: ١٥٤.**

(٣) انظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التاويل، ج٤، ص: ٤٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه هي المرحلة الأخيرة في خلق آدم عليه السلام وتكون هو بنفخ الروح فيه، بعـد أن تكون من الطين.

فأصبح آدم عليه السلام بشراً سوياً بهذه الطريقة، وليس كما ادعى داروين وأنصاره! إنما عندما "توجهت إرادة العلي الكبير لجعل هذا الطين بشراً سوياً، وإنساناً سمعياً بصيراً، فنفخ فيـه من روحه، فإذا هو إنسان كريم وخلق عظيم في أحسن صورة وأكمل تقويم، وهذه المرحلة هـي آخر المراحل في خلق آدم عليه السلام" [١].

ففي هذه الآيات كلها، قد وضح الله تعالى لنا بأن الإنسان إنما نشأ في الوجود عـن عـدم محض، وأنه في الأصل من التراب، والطين، والصلصال من حمإ مسنون، فهذه المراحل إنما يمر بها آدم عليه السلام وحده دون سائر المخلوقين.

فقد شرح الإمام الرازي في تفسيره عن ترتيب مراحل خلق لآدم عليه الـسلام، فقـال: " واعلم أن الجسم محدث، فوجب القطع **بأن آدم عليه السلام وغيره من الأجسام يكون مخلوقاً عن عدم محض،** وأيضاً دل قوله تعالى: { إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب} على أن آدم مخلوق من تراب، ودلت آية أخرى على أنه مخلوق من الطين، وهي قوله: {إني خالق بشراً من طين } وجاء في هذه الآية أن آدم عليه السلام مخلوق من صلصال من حمأ مسنون، **والأقرب انه تعالى خلقه أولاً من تراب ثم من طين ثم من حمأ مسنون ثم من صلصال كالفخار،** ولا شك أنه تعالى قادر على خلقه من أي جنس من الأجسام كان، بل هو قادر على خلقه ابتداء، وإنما خلقه على هذا الوجه إما لمحض المشيئة أو لما فيه من دلالة الملائكة ومصلحتهم ومصلحة الجـن، لأن خلق الإنسان من هذه الأمور أعجب من خلق الشيء من شكله وجنسه [٢].

وكما جاء في كتاب (الإنسان في القرآن الكريم): " إن التراب هو مادة الخلق، وأما الطين يمثل بداية الخلق، ثم يرتقي إلى مرحلة أخرى وهو الصلصال ثم إلى طور الحمأ المـسنون، ثـم يشتد خلقه فينتقل إلى طور الفخار حيث ينفخ الله فيه من روحه [٣].

---

[١] الصابوني، **النبوة والأنبياء،** ص: ١٢٦.

[٢] الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،** م ٤، ص: ٦٦-٦٧.

[٣] أنظر: درادكه، د. صالح موسى، **الإنسان في القرآن الكريم،** د. ط، مؤسسة شيرين- عمان، ١٩٨٨م، ص: ١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول (ابن سهل البلخي): "بدأ خلق آدم من التراب ثم ضم إليه الماء، فكان طيناً ثم سـلّ خلاصة الطين بدلالة قوله تعالى { وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإٍ مسنون } ثم ترك حتى جفّ وصلصال كما قال { خلق الإنسان من صلصال كالفخـار} وهـذه أحوال كان الله تعالى يحولها على الإنسان تصفية لطينته وإخلاصاً لنيته إذ لم يخلق كل طين كمـا يتولد منه الحيوان وينبت منه النبات ولا جعله في جميع الأحوال والهيئات كما يوجد منه ذلك ولو شاء لأوجده ولكن لم يدع حكمته وتدبيره في إظهار قدرته وإبداء حكمته في كل جزء من أجـزاء ترتيبه" [١].

وتدل هذه الأدلة كلها على أن الإنسان يرجع في سلسلته البعيدة إلى أبو البـشر آدم عليـه السلام، الذي هو من مصدر التراب، وليس كما يدعي داروين من أنه ينشأ نتيجـة مـن عمليـة التطور من نوع القرود، فما هذا القول إلاّ البطلان الصريح، إن آدم عليه السلام قد خلق عن عدم بدون أي تطور من قبله، ولم يمر عليه في خلقه تطورات طويلة من أدنى المخلوقات كما يـزعم داروين! وهذه المراحل التي تمر به آدم عليه السلام ليست تطوراً ولا تحولاً، إنما هي سـنن الله التي قدره الله تعالى على الإنسان؛ لحكمته تعالى ولإرادته.

وإن الله تعالى قد جعل درجات الإنسان عالية، إذ إنه ليس كالحيوان الأخرى، ولا هو ينشأ من أدنى الصورة ويتجه إلى الأعلى كما تخيلها داروين وأنصاره، وإنما هو في أعلى مرتبة منـذ خلقه، فيكف يقولون إن داروين قد رفع درجات الإنسان من الأدنى إلى الأعلـى؟ أيهمـا أفـضل تطور التدريج الذي يبدأ بالإهانة، ويمثله كالحيوانات الأخرى، أم الذي قد وضع درجاتـه العاليـة منذ خلقه؟!

وقد كرم الله تعالى الإنسان منذ خلقه، ذلك حينما خلقه، ذلك حينما خلق آدم عليه الـسلام أمر الله سبحانه وتعالى للملائكة أن يسجدوا له سجوداً تكريمياً، "ولقد كان ذلـك الأمـر الإلهـي احتفالاً بتمام (تكوين آدم) وفي هذا إظهار لعلو شأنه، وكما أن فيه تكريماً لهذا النـوع البـشري، حيث اسجد الملائكة لأبيهم آدم عليه السلام" [٢].

---

[١] ابن سهل البلخي، أبو زيد أحمد، (ت ٣٢٢هـ)، **كتاب البدء والتاريخ**، د. ط، ج١، الخواجه أرنست لرو الصحاف- مدينة باريز، ١٨٩٩م، ص: ٨١-٨٢.

[٢] الصابوني، **النبوة والأنبياء**، ١٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد قص الله ذلك في سور عديدة، منها ما ذكر الله في سورة (البقرة)، و (ص):-

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [ص: ٧١ – ٧٤].

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤].

يقول الرازي في قوله تعالى: ﴿ فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ "تدل على أنه كما تم نفخ الروح في الجسد توجه أمر الله إليهم بالسجود" [١].

ويفسر الرازي الآية الثانية، :" أعلم أن هذه هي النعمة الرابعة من النعم العامة على جميع البشر، وهو أنه سبحانه وتعالى جعل أبانا مسجود الملائكة، وذلك لأنه تعالى ذكر تخصيص آدم بالخلافة أولاً، ثم تخصيصه بالعلم الكثير ثانياً، ثم بلوغه في العلم إلى أن صارت الملائكة عاجزين عن بلوغ درجته في العلم وذكر الآن كونه مسجودا للملائكة" [٢].

كما قال الله تعالى سبحانه تعالى في قصة خلق آدم عليه السلام لما تم صورة آدم عليه السلام وجعله الله بشراً سوياًن علّم الله آدم علوماً ومعارف لا تملكها الملائكة، حيث قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٣١ – ٣٣].

وذكر الإمام الطبري في اختلاف تأويل معنى (الأسماء كلها) أو العلوم التي تلقاها آدم عليه السلام من الله تعالى، حيث نقل الطبري الروايات المتعددة في ذلك، منها ما ذكر عن ابن عباس قال بأن المقصود من هذه (الأسماء) هو: " علم الله آدم الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء

---

[١] الرازي، **التفسير الكبير او مفاتيح الغيب، م٤، ج: ٢٦، ص: ١٩٩.**

[٢] المصدر نفسه، م١، ج: ٢، ص: ١٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي يتعارف بها الناس: إنسان ودابة، وأرض، وسهل، وبحر، وجبل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها" [١].

وكما يقول بعضهم بأن الأسماء هي أسماء كل الأشياء، أي: " علمه اسم كل شيء: هذه الخيل وهذه البغال، والإبل، والجن، والوحش، وجعل يسمى كل شيء باسمه" [٢].

والصواب عند الإمام الطبري هو: " أنها أسماء ذريته وأسماء الملائكة، دون أسماء سائر أجناس الخلق. وذلك أن الله جل ثناؤه قال: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ يعني بذلك أعيان المسلمين بالأسماء التي علمها آدم، ولا تكاد العرب تكني بالهاء والميم إلا عن أسماء بني آدم والملائكة" [٣].

ومهما يكن الاختلاف فيها، فالظاهر أن المقصود من هذه الأسماء كما يقول الإمام ابن عاشور إنما هي:" ألفاظ تدل على ذوات الأشياء التي يحتاج نوع الإنسان إلى التعبير عنها لحاجته إلى ندائها، أو استحضارها، أو إفادة حصول بعضها مع بعض، وهي أي الإفادة ما نسميه اليوم بالأخبار أو التوصيف فيظهر أن المراد بالأسماء ابتداء أسماء الذوات من الموجودات مثل الأعلام الشخصية وأسماء الأجناس من الحيوان والنبات والحجر والكواكب مما يقع عليه نظر الإنسان ابتداء مثل اسم جنة، وملك، وآدم، وحواء، وإبليس، وشجرة وثمرة" [٤] .

فالعلوم والمعارف التي علّمها الله لأدم عليه السلام إنما المعرفة لاستعداده لسير الحياة في هذا العالم، وتلك العلوم لم يمتلكها الملائكة، وهذا يدل على تعارض ما يعتقده داروين من أن العقل متطور والعلوم مكتسبة، فإذا كان الإنسان من نوع القرود كما يزعم، فكيف له أن يكتسب هذه المعرفة بأذهاننا وعقولنا من بداية الأمر؟! فداروين نفسه واجه الصعوبات عندما علم في كمال العقل والذهنية الإنسانية، ولكنه ما زال يلتزم معتقدة الباطل.

---

[١] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن،** ج١، ص: ٢٨٢.

[٢] المصدر نفسه، ج١، ص: ٢٨٤.

[٣] المصدر نفسه، ج١، ص: ٢٨٤.

[٤] ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير،** م:١، ج:١، ص: ٤٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول الشيخ الشعراوي: " عندما خلق الله تعالى آدم علمه الأسماء كلها، حتى يستطيع أن يتعامل مع مجريات الأحداث في الكون، فآدم لو لم يكن قد تعلّم الأسماء لما استطاع أن يتحدث مع ولد من أولاده، ولما استطاع على سبيل المثال أن يقول لابن من أبنائه: أنظر هل أشرقت الشمس أم لا؟ إذن... كان لا بد لآدم من معرفة الأسماء كلها، ولا بد أن هناك من علمه إياها؛ لأن اللغة بنت المحاكاة، فلا أحد يستطيع أن يتكلم إلا بعد أن يكون قد سمع، الواحد منا سمع من أبيه، الآباء سمعوا ن الأجداد، وتتوالى المسألة إلى أن تصل إلى أن تصل إلى آدم، فممن سمع آدم حتى يتكلم؟ إنها مسألة يجب أن يعترف بها كل إنسان عاقل، فمن الذي أسمع آدم ليتكلم بأول كلمة؟ لا بد أنه الله تعالى" [(١)].

وهؤلاء من أتباع داروين حاولوا أن ينكروا ذلك! لأنهم يعلموا لو أنهم يقرون بذلك، لوصلوا إلى الإقرار بكمال قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته، فلا يريدون ذلك!

وأنه تعالى قد وضع الإنسان في أعلى مرتبته منذ خلقته الأولى، فلا بد هناك من فرق واختلاف كبير بينه وبين الحيوانات والدابة على وجه الأرض! وذلك ليس فقط في الدرجة كما يزعم داروين، بل في نوعه أيضاً لأنه هو نوع مميز ومخلوق مكرم ومفضل.

ومن مظاهر علو شأن الإنسان منذ أول خلقه:-

قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

يقول الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ بتسليطنا إياهم على غيرهم من الخلق، وتسخيرنا سائر الخلق لهم ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ﴾ على ظهور الدواب والمراكب ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ في الفلك التي سخرناها لهم ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ تَفْضِيلًا﴾ يقول: من طيبات المطاعم والمشارب، وهي حلالها ولذيذاتها ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ذكر لنا أن

---

[(١)] الشعراوي، محمد متولي، **قصص الأنبياء والمرسلين**، ط١، المكتبة العصرية- بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص: ١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك تمكنهم من العمل بأيديهم، وأخذ الأطعمة والأشربة بها ورفعها بها إلى أفواههم، وذلك غير متيسر لغيرهم من الخلق " [١] .

وشرح الإمام الرازي هذه الآية في قوله : ﴿ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [الإسراء: ٧٠].قال ابن عباس في البر على الخيل والبغال والحمير والإبل وفي البحر على السفن، وهذا أيضاً من مؤكدات التكريم المذكور أولا، لأنه تعالى سخر هذه الدواب له حتى يركبها ويحمل عليها ويغزو ويقاتل ويذب عن نفسه، وكذلك تسخير الله تعالى المياه والسفن وغيرها ليركبها وينقل عليها ويتكسب بها مما يختص به ابن آدم، مما يدل على أن الإنسان في هذا العالم كالرئيس المتبوع والملك المطاع وكل ما سواه فهو رعيته وتبع له" [٢].

وقال الرازي في تفسير قوله تعالى ﴿ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ :"ذلك لأن الأغذية إما حيوانية وإما نباتية، وكلا القسمين إنما يتغذى الإنسان منه بألطف أنواعها وأشرف أقسامها بعد التنقية التامة والطبخ الكامل والنضج البالغ، وذلك مما لا يحصل إلا للإنسان" [٣] .

وقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾، أي: إنه تعالى فضل الإنسان على سائر الحيوانات بأمور خلقية طبيعية ذاتية مثل العقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المديدة، ثم إنه تعالى عرضه بواسطة ذلك العقل والفهم لاكتساب العقائد الحقة والأخلاق الفاضلة، فالأول هو التكريم والثاني هو التفضيل" [٤].

ويقول الإمام ابن كثير: " يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم، وتكريمه إياهم، في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها، كما قال: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: ٤]. **أي: يمشي قائماً منتصباً على رجليه، ويأكل بيديه- وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفمه- وجعل**

---

[١] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن،** ج١٥، ص: ١٥٥.

[٢] الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،** م١١، ص: ١٣.

[٣] الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ص: ١٣.**

[٤] المصدر نفسه، ص: ١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

**له سمعاً وبصراً وفؤاداً، يفقه بذلك كله وينتفع به، ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدنيوية والدينية" [١].**

وكذلك يقول أبو السعود في تفسير في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ **"قاطبة تكريماً شاملاً لبرّهم وفاجرهم أي كرمناهم بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الأرض والتمتع به والتمكن من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يُحيط به نطاقُ العبارة، ومن جملته ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من أن كل حيوانٍ يتناول طعامه بفيه إلا الإنسان فإنه يرفعه إليه بيده، وما قيل من شركة القرد له في ذلك مبنيٌّ على عدم الفرق بين اليد والرجل فإنه متناولٌ له برجله التي يطأ بها القاذورات لا بيده" [٢].**

وقال تعالى في سورة التين: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية ﴿فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ " أي في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لأعضائه" [٣].

وشرح الإمام الرازي ذلك في تفسيره، فقال "المراد من الإنسان هذه الماهية والتقويم تصبير الشيء على ما ينبغي أن يكون في التألف والتعديل، يقال: قومته تقويما فاستقام وتقوم، وذكروا في شرح ذلك الحسن وجوها، احدها: **أنه تعالى خلق ذي روح مكبا على وجهه إلا الإنسان فإنه تعالى خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده** وقال الأصم: في أكمل عقل وفهم وأدب وعلم وبيان، والحاصل أن القول الأول راجع إلى الصورة الظاهرة، والثاني: إلى السيرة الباطنة، وعن يحيى بن أكثم القاضي أنه فسر التقويم بحسن الصورة" [٤].

---

[١] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، م٣، ص: ١٢٢٠.

[٢] أبو السعود، **تفسير أبو السعود، ج٥، ص: ١٨٦.**

[٣] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج٤، ص: ٧٦٤.

[٤] الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، م١٦، ج٣٢، ص: ١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٦ – ٨].

يقول الزمخشري في تفسير الآية ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ أي: ﴿ فَسَوَّىٰكَ ﴾ **فجعلك سويا سالم الأعضاء** (فَعَدَلَكَ) **فصيرك معتدلاً متناسب الخلق من غير تفاوت فيه،** فلم يجعل إحدى اليدين أطول، ولا إحدى العينين أوسع، ولا بعض الأعضاء أبيض وبعـضها أسـود، ولا بعـض الشعر فاحماً وبعضه أشقر، **أو جعلك معتدل الخلق تمشي قائماً لا كالبهائم" [(١)].**

وكذلك يقول أبن كثير في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ أي: " ما غرك بالرب الكريم ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ أي : **جعلك سويا معتدل القامة منتصبها،** في أحسن الهيئات والأشكال [(٢)].

وكذلك حرف الفاء في الآية ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ يفيد الترتيب دون التراخي أي أن الله تعالى خلق الإنسان متسوياً منتصب الظهر مباشرة ولم يتدرج في الأغناء الموجود عند القرود ثم الاستواء الذي خلق عليه الآن إنما بفضله ومنته سبحانه وتعالى.

هذا يدل على أن هناك فرق كبير بين الإنسان والقرود العليا سواء كانت في عضو تركيبة أو عقله، وليس القرود في أي حال من الأحوال يشترك الإنسان في الدرجة ولا في النـوع كمـا يدعي داروين، وإن الإنسان له التكريم والتفضيل بل إن جميع ما في الأرض والـسموات كلهـا مسخرة له. ذلك كما قال تعالى في سورة الجاثية:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

وكذلك قال تعالى في تسخير الحيوانات:

---

(١) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل،** ج٤، ص: ٧٠٢.

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم،** ج٤، ص: ٢٢٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾ .

﴿ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [النحل: ٦ – ١٠].

وقال تعالى في تسخير النبات: ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

وفي تسخير الليل والنهار، والأرض والبحر والأنهار، قال سبحانه: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٢ - ١٥ ].

ومن هذه الآيات كلها تدل على أن الإنسان هو مخلوق مميز ومكرم عن سائر الحيوانات، لم ينحصر في الدرجة فحسب بل في النوع كذلك، والإنسان له الخصائص والصفات ما لم يكن موجوداً عند المخلوقات الأخرى، فالنبات والحيوانات سخرت لمنفعة الإنسان ولله الحمد.

وهكذا كما شهدنا في الآيات القرآنية أدلة على تكريم الإنسان على سائر المخلوقات، وقد جعل الله الإنسان كالخليفة في الأرض دون الآخرين من المخلوقات السابقة له في الوجود، حيث قال تعالى في قصة خلق آدم عليه السلام في سورة البقرة:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠].

في هذه الآية يتضح لنا أن منزلة الإنسان أرفع من سائر المخلوقات، حيث جعله الله تعالى الخليفة في الأرض، وهذه الآيات " دالة على كيفية خلقة آدم عليه السلام وعلى كيفية تعظـيم الله تعالى إياه فيكون ذلك إنعاماً عاماً على جميع بني آدم" [(١)].

والمراد من الخليفة هنا هو خلافة آدم عليه السلام على المخلوقات التي وجـدت قبـل آدم عليه السلام كالجان، ذلك كما جاء في قوله تعالى ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الحجر: ٢٧]، كما روي عن ابن عباس أنه قال: " أول من سكن الأرض الجن، فأفسدوا فيهـا، وسـفكوا فيهـا الدماء، وقتل بعضهم بعضا. قال: فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة، فقتلهم إبليس ومـن معه، حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال ثم خلق آدم فأسكنه إياها، فلـذلك قـال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾، فعلـى هـذا القـول إنـي جاعـل فـي الأرض خليفـة مـن الجـن يخلفـونهم فيهـا فيسكنونها ويعمرونها" [(٢)] .

وقـال عـن الملائكـة فـي هـذه الآيـة ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ إنما هو للذين قد عهدوا من أمر الجن الذين كانوا سكان الأرض قبل ذلك، لأنهم كانوا يسفكون الدماء ويفسدون فيها [(٣)] .

---

[(١)] الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، م١، ج٢، ص: ١٤٦.

[(٢)] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج١، ص:: ٢٦٢.

[(٣)] أنظر: الطبري، محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ)، **تاريخ الطبري**، (اعتنى به: أبو صهيب الكرمي)، د. ط، بيت الأفكار الدولية- الأردن والسعودية، د. ت، ص: ٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما سبق، يتضح لدينا أن إدعاءات داروين في أصل الإنسان لم تكن صحيحةً بل بعيدة عن الحقيقة، فقد أوضح القرآن الكريم تماماً مسألة خلق الإنسان وتكريمه منذ أول لحظة من خلقه، وقد ظهر بطلان النظرية في هذه المسألة من خلالها.

**الشبهة الثالثة:**

يعتقد داروين بأن غاية الخلق ما هي إلا الصراع الدائم بين المخلوقين ذلك على حسب التكيفات مع البيئة لأجل البقاء على الحياة وذلك بحفظ الطبيعة، أو بمعنى آخر، أن هذا الخلق قد خلق عبثاً فحسب.

**الرد على هذه الشبهة:**

إن القرآن الكريم قد رد ودحض اعتقاد داروين ومن معه، حيث إنه تعالى لم يخلق شيئاً عبثاً، فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الدخان: ٣٨ – ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨].

وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[آل عمران: ١٩٠ – ١٩١].

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول سيد قطب: " أن وراء ما فيه من تناسق لا بد من يد تنسق، ووراء ما فيه نظام لا بد من عقل يدبر، ووراء ما فيه من إحكام لا بد من ناموس لا يختلف.. وأن هذا كلـه لا يمكـن ان يكون خداعاً، ولا يمكن أن يكون جزافاً، ولا يمكن أن يكون باطلاً [١].

وفي تفسير سيد قطب لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا﴾ قال: "ما خلقت هذا الكـون ليكون باطلاً، ولكن ليكون حقاً، الحق قوامه، والحق قانونه، والحق أصيل فيه، إن لهـذا الكـون حقيقة، فهو ليس "عدما" كما تقول بعض الفلسفات! وهو يمضي لغاية، فليس متروكاً للمـصادفة. وهو محكوم في وجوده وفي حركته وفي غايته بالحق لا يتلبس به الباطل" [٢] .

ولم يخلق الله تعالى الأشياء إلا بالحق، فما خلق الله المخلوق إلا لعبادة لله وحده، حيث قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ الذاريات: ٥٦ .

يقول الإمام الطبري في تفسير الآية "وهو: ما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتنـا، والتـذلل لأمرنا" [٣].

وأما حقيقة العبادة فتتمثل في أمرين رئيسيين، فهما: "الأول: هو استقرار معنى العبودية لله في النفس. أي استقرار الشعور على أن هناك عبداً وربا. عبدا يعبد، وربا يعبد. وأن لـيس وراء ذلك شيء؛ وأن ليس هناك إلا هذا الوضع وهذا الاعتبار. ليس في هذا الوجود إلا عابد ومعبـود؛ وإلا رب واحد والكل له عبيد، والثاني: هو التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير، وكل حركـة في الجوارح، وكل حركة في الحياة. التوجه بها إلى الله خالصة، والتجرد من كل شـعور آخـر؛ ومن كل معنى غير معنى التعبد لله. بهذا وذلك يتحقق معنى العبادة؛ ويصبح العمـل كالـشعائر، والشعائر كعمارة الأرض، وعمارة الأرض كالجهاد في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله كالـصبر

---

[١] قطب، في ظلال القرآن، م١، ج٤، ص: ٥٤.
[٢] قطب، **في ظلال القرآن، م١، ج٤، ص : ٥٤٦.**
[٣] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج٢٧، ص : ١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على الشدائد والرضى بقدر الله.. كلها عبادة؛ وكلها تحقيق للوظيفة الأولى التي خلق الله الجن والإنس لها؛ وكلها خضوع للناموس العام الذي يتمثل في عبودية كل شيء لله دون سواه" [١].

فالقرآن الكريم قد وضح لنا بأن حقيقة الحياة في هذا العالم له حكمة من وراءها، وأن الخلق لهم وظيفة عليهم القيام بها، فالكل عابد لله تعالى إما طوعاً أو كرهاً، والكون مسخر للإنسان، والإنسان مخلوق للعبادة، وليس هو عملية الحياة والموت، والتنازع والتكيف بين الأحياء فحسب بدون أي علة وغاية.

**المطلب الثاني: موقف السنة النبوية**

إن السنة النبوية هي المصدر الثاني للإسلام، فهي التي صدرت عن النبي صلى الله عليه وسلم من أفعال، وأقوال وتقارير، فقد أوجب علينا الاعتصام بها والاعتماد عليها، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ آل عمران: ٣٢ ، وقال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ آل عمران: ١٠٣.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "إن مرتبة السنة النبوية تلي مرتبة القرآن، فالقرآن الكريم هو أساس الشريعة وعمدتها، وأما السنة فهي مبينته وشارحته، ولهذا اعتبرت المصدر الثاني للإسلام" [٢].

وإننا نجد في الأحاديث الشريفة كما كان القرآن الكريم ردوداً على شبهات نظرية داروين، وهي ما يأتي:

الشبهة الأولى: إن الأحياء جميعاً إنما تتطور وتترقى وتنتج الأنواع الجديدة وفق تأثير الطبيعة وعمليات التطور.

الرد على هذه الشبهة:

جاء الحديث الشريف مؤكداً ومفسراً ومؤيداً لما جاء به القرآن الكريم، حيث ذكر بأن الله تعالى هو الخالق المبدع لسائر المخلوقات عن عدم، وهو يقدر أن يفعل ذلك، فبطل ما يزعم

---

(١) قطب، **في ظلال القرآن، م٦، ج٢٧، ص : ٣٣٨٧.**

(٢) القرضاوي، د. يوسف، المدخل لدراسة السنة النبوية، ط٣، مكتبة وهبة – القاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص:٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

داروين من أن الأحياء جميعاً في عمليات التطور؛ إذ أن الله هو الذي يبدأ الخلق جميعاً كما هـو وليس من تأثير الطبيعة وتحولها وتطورها!

ذلك كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري في روايات متعـددة، "عـن عمـران بـن حصين، قال: دخلتُ على النبي ﷺ ، فأتاه ناس من بني تميم فقال: اقبلوا البشرى يا بنـي تمـيم، قالوا: قد بشرتنا فأعطنا، مرتين، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى يـا أهـل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم، قالوا: قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئنا نسألك عن هذا الأمر: "قال النبي صلى الله عليه وسلم: [كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كـل شيء وخلق السموات والأرض]. [1] طبعاً، خلق السموات والأرض أكبـر مـن خلـق الإنـسان منطقياً، لأن الكون عظيم توجد فيه مسافات شاسعة لا يتصورها عقل، تتجمع فيه النجـوم بـشكل رائع، فكيف إذاً يفسر خلقها؟ فهل من يمكن للطبيعة والمادة الميتة أن تخلقها وتدبرها؟

قال تعالى في سورة المؤمن: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ غافر: ٥٧ .

فالله هو الذي يخلق ويدبر الأمر كله، وليس للطبيعة تأثير في ذلك، صدق قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ غافر: ٦٢

وكما جاء في الأحاديث الشريفة تبطل ادعاء داروين، حيث إن الحيوانات لم تتطور مـن أنواع حيوانات أخرى، وكذلك الحال بالنسبة للإنسان، كما روى مسلم عن أبي هريرة رضـي الله عنه، قال: "أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فقال: [خلق الله عز وجل التربة يوم الـسبت، وخلـق فيهـا الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثـاء، وخلـق النـور يـوم

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ الروم: ٢٧، (٤٢٧/١)، رقم الحديث: (٣١٩١)، وفي كتاب: التوحيد، باب: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ هود: ٧، ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ التوبة: ١٢٩، (١١٨٣/١)، رقم الحديث: (٧٤١٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأربعاء، وبث فليها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة، في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل]. (١)

فمن الحديث يتضح لنا أن آدم عليه السلام هو آخر المخلوقات التي خلقها الله عز وجـل، وهو ليس من تطور الحيوانات، إذ يدل الحديث على خلق الحيوانات في حالة متفرقة عن الإنسان. وإنما خلق خلقاً منفرداً ومستقلاً.

الشبهة الثانية: زعم داروين بأن الإنسان هو النتاج الأخير من عملية التطور، وهو سلسل نوع من القرود قبل أن يكون إنساناً سوياً.

**الرد على هذه الشبهة:**

ذُكر في الحديث الشريف بأن آدم عليه السلام قد خلق من تراب الأرض، حيث أخرج أبو داود والترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "قال رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم: [إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجـاء بنـو آدم علـى قـدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأسود والأبيض، والأسود وبين ذلك، والسهل، والحزن، والخبيـث، والطيب]" (٢).

هذا الحديث يدل على أن آدم عليه السلام قد خُلق من تراب من جميع الأرض، ولذا فـإن سلالته جاءت مختلفة اللون والبشرة، وذلك لاختلاف لون التراب الذي هو مصدر أصل البشر.

يقول الدكتور محمد النجار: "هذا الحديث جدير بالتأمل، وحري بأن يفسر لنا الـسر فـي اختلاف الطبائع بين البشر، وكذلك اختلاف ألوانهم، وإذا قيل إن اختلاف الألوان يرجع إلى البيئة والمناخ، فما السر في وجود اللون الأصفر وعلى نفس خط العرض توجد غيره من الألوان؟ أجل قد تؤثر حرارة الشمس في بعض الأجناس والبيئات فتصبغهم بلون يتناسب مع بيئتهم، ولكن مـا مرجع نشأة هذا الاختلاف منذ القدم؟" (٣).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: ابتداء الخلق، وخلق آدم عليه السلام، ١٣٨٤/١، رقم الحديث: (٢٧٨٩).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: الديات، باب: في القدر ، ٢٩٢/٤، رقم الحديث: (٤٦٩٣)، وفي كتاب: السنة، باب: في القدر، (٦٦٣/١)، رقم الحديث: (٤٦٩٣)، وأخرجه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ((ومن سورة البقرة))، ٨١٥/١، رقم الحديث: (٢٩٥٥)، الحديث: حسن صحيح.

(٣) النجار، د. محمد الطيب، **تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية**، د.ط، دار الاعتصام – القاهرة، ١٩٧٩م، ص: ٥١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي حديث آخر ما روى مسلم في صحيحه، أن رسول الله ﷺ قال: [لما صور الله آدم تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به، ينظر ما هو، فلما رآه أجوف، عرف أنه خلق لا يتمالك]. (١)

وكذلك جاء في حديث أخرجه مسلم، عن يزيد وعبد الرحمن الأعرج، قالا: سمعنا أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : [احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما. فحج آدم موسى. قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته... الحديث] (٢).

ففي هذه الأحاديث أدلة على أن آدم عليه السلام هو أبو البشر، فخلقته خلقة مميزة ليس لها صلة ببينه والمخلوقات الأخرى، وإنما خلقته خلقة مباشرة بدون واسطة، وهو من أصل التراب.

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: [خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب فسلّم على أولئك، نفر من الملائكة، جلوس، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن]. (٣)

يقول ابن حجر العسقلاني في قول [طوله ستون ذراعاً]: "أي أن الله أوجده على الهيئة التي خلقه عليها لم ينتقل في النشأة أحوالاً ولا تردد في الأرحام أطواراً كذريته، بل خلقه الله رجلاً كاملاً سوياً من أول ما نفخ فيه الروح، قوله على صورة آدم: أي على صفته" (٤).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب خلق الإنسان خلقاً لا يتمالك، (١٢٩٨/١)، رقم الحديث: (٢٦١١).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام، (١٣١٥/١)، رقم الحديث: (٢٦٥٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: بدء السلام، (٩٩٩/١)، رقم الحديث: (٦٢٢٧)، ومسلم، كتاب: الجنة، وصفة نعيمها وأهلها، باب: يدخل الجنة أقوام، أفئدتهم مثل أفئدة الطير، (١٤٠٥/١ – ١٤٠٦) رقم الحديث: (٢٨٤١).١

(٤) العسقلاني، ابن حجر، **مختصر فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، د.ط، (إعداد: السيد إبراهيم حندوق، راجعه وقدّمَ له: الشيخ محمود غريب والشيخ علي قطامش والأستاذ عبد الله المنشاوي)، مكتبة الإيمان – المنصورة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص: ٤٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول (البوطي) بصدد الحديث: "أي أنه منذ خُلق إنما كانت صورته هي الصورة ذاتها التي استمر عليها وعرف بها، أي لم ينشأ متنقلاً من شكل إلى آخر، فالضمير في صورته راجع إلى آدم على رأي جمهور، ويدل عليه ظاهر الحديث.. فالحديث تأكيد للدلالة القطعية في القرآن، إذ البحث في معرض بيان تكريم الله لآدم منذ أول خلقه، وإذا كان الأمر كذلك، وجب أن نعلم بأن الإنسان لم ينتقل، خلال تاريخه كله، في أي تطور نوعي، كأ، يقال إنه ترقى من فصيلة إلى أخرى، أو تدرج من مظهر نوعي في الهيئة والشكل إلى مظهر آخر". [١]

فيدل الحديث على أن آدم عليه السلام لم يتحول ويتطور من نوع القرود كما زعم داروين، وإنما ما زالت صورة الإنسان وتركيبه العضوي كما هو منذ خلقته الأولى، وهذا النقص في الطول لا يعد تحولاً ولا تطوراً.

وبهذا يتبين لنا، بأن نظرية داروين لم تكن صحيحةً بالنسبة لأصل الإنسان بل هي واضحة البطلان.

فالإنسان ليس بحال من الأحوال من سلالة القرود، لأن الله تعالى قد خلقه وجعله في أحسن صورة، ولم يمش على أربع، وإنما خلقاً سوياً منذ خلقه! وليس هو المخلوق المتطور كما يدعي داروين، ما هذا الادعاء إلا خيال وتزييف عظيم!

**الشبهة الثالثة:**

يعتقد داروين بأن الحكمة في الخلق ما هي إلا صراع دائم بين المخلوقين لأجل البقاء على الحياة وذلك بحفظ الطبيعة، أو بمعنى آخر، هذا العالم مخلوق عبثاً.

**الرد على هذه الشبهة:**

إن الحكمة من خلق المخلوقات جميعاً إنما هي لعبادة الله وحده، ولم يخلق الله شيئاً لا تخلو منه الحكمة، وليس عبثاً، وقد جاء في الحديث الذي رواه البخاري عن معاذ قال: بينما أنا رديف النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: [يا معاذ]، قلت: لبيك وسعديك، ثم قال مثله ثلاثاً،: [هل تدري ما حق الله على العباد] فقلت: لا، قال: [حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً]. ثم سار

---

(١) البوطي، د. محمد سعيد رمضان، **كبرى اليقينيات الكونية**، ط٨، دار الفكر – دمشق، ١٤٠٢هـ، ص : ٢٥١ – ٢٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ساعة فقال: [يا معاذ] قلت: لبيك وسعديك، قال: [هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلـك؟ أن لا يعذبهم] [١].

فإن مهمة الإنسان في هذا الكون عبادة الله وحده، وعدم الاشتراك به، وأن يعتقد أن هناك خالقاً قادراً يدبر الكون جميعاً، وهو أولى وأحق بالعبادة، وهو ليس الطبيعة!

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: من أجاب بلبيك وسعديك، ٩٢٨/١، رقم الحديث: (٦٢٦٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن خلال المبحث السابق، يمكن أن نستخلص هذه النقاط الهامة:-

١- جاء القرآن الكريم والسنة النبوية بمفهوم الخلق خلقاً كاملاً تاماً مستقلاً، لا على ما اعتقده داروين من أن هناك تطور وتحول نوعي في الأحياء.

٢- وضح من خلالهما، بأن الله قادر على أن يخلق الأشياء عن عدم محض لكمال قدرته وإحاطة علمه، بخلاف ما يعتقده داروين من أن الأحياء تطورت نتيجة الانتخاب الطبيعي.

٣- صرح القرآن الكريم والسنة النبوية بأن هناك الخالق والمبدع والمتصرف والمدير للعالم والكائنات الحية كلها، وأنه هو الله المدبر للأمور كلها، وليست الطبيعة.

٤- إن الإنسان في التصور الإسلامي قد بدأ بخلق آدم عليه السلام كما صرح القرآن والسنة، وهو يتأصل من مادة التراب، وخلقته مميزة ومنفردة ليس كسائر المخلوقات، ولم يشترك في أي حال من الأحوال بينه وبين الأحياء الأخرى في نشأته، وهذا ما يسقط عما يعتقد به داروين واتباعه.

٥- إن سائر الأحياء من الكائنات خلقت نعمة وتسخيراً للإنسان، وليست في حال من الأحوال تساوي الإنسان أو أن الإنسان يتطور منها في نشأته خلال ملايين السنين، وهذا الادعاء قد أبطل أمام الأدلة النقلية.

٦- نفى القرآن الكريم والسنة النبوية أن الله تعالى قد جعل المخلوقات عبثاً، تعالى الله عن ذلك، إذ كل المخلوقات لا تخلو من الحكمة.

وفق هذه الردود، فقد سقطت الادعاءات الداروينية في مسألة التطور النوعي في الخلق من خلال القرآن والسنة النبوية، وفي المبحث التالي، سنشرح موقف العلم والعلماء من نظرية داروين في نشأة الخلق، إن شاء الله.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## المبحث الثاني: موقف العلم والعلماء من نظرية داروين

### المطلب الأول: موقف العلماء المسلمين:

وقف علماء المسلمين مواقف متشعبة أمام هذه النظرية، فمنهم من آمن بها وأيدها وانتصر لها، كـ(سلامة موسى)، والمترجم لكتاب داروين (إسماعيل مظهر)، وبعضهم حاول التوفيق بين هذه النظرية والإسلام، بل حاول البعض إثبات قول داروين في سلالة الإنسان من خلال القـرآن الكريم، ومثال ذلك كـ(محمد شحرور) في كتابه (القصص القرآني)، وأما البعض الأكثرية، فقـد رفض النظرية شرعياً وعلمياً.

وسوف أعرض للرد على الشبهات التي قدمها داروين في نظريته من خلال أقوال العلماء المسلمين، وهي كما يأتي:-

**الشبهة الأولى**: في مفهوم (الانتخاب الطبيعي)

إن الطبيعة كما في رأي داروين هي عامل رئيسي في تحول نوع إلى أنـواع أخـرى أو جنس إلى أجناس أخرى من الكائنات، وذلك نتيجة تأثرها بالتحولات الطفيفة أو (الصفات المفيدة) في الأحياء الأكثر تلاؤماً مع البيئة كي تبقى على قيد الحياة وتتكاثر، ثم تموت وتنقـرض إذا لـم تتكيف مع البيئة أو ليس لديها هذه الصفات المفيدة خلال أزمنة طويلة، وقد ينشأ منها أنواع جديدة أخرى كما تفيد هذه العملية عند داروين (بالانتخاب الطبيعي).

**الرد على هذه الشبهة:**

هذا القول لا يزيد على الخيال والادعاء فحسب، بل لا يستند إلى أي دليل علمي، فالطبيعة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تقود إلى أي تحول نوعي، فالحمار هو الحمار منذ نشأته ولـم يتحول إلى حصان أبداً، وكذلك الحيوان اللافقري كيف يمكن أن يتحول إلى أسماك فقرية؟! فيدعي داروين بأن هذا يحدث بسبب الانتخاب الطبيعي؟! هذا غير معقول أبداً، إذ لو كان هـذا الادعـاء صحيحاً، كما يقول العالم التركي (هارون يحيى)، "فيجب أن يوجد عدد كبير جـداً مـن الأنـواع الانتقالية أو الحلقات الوسطى التي يفترض أنها عاشت فترة طويلة وهي بطور التحـول.. وغـذا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان هذا النوع من الحيوانات موجوداً فعلاً، فيجب أن يكون التاريخ قد شهد الملايين، بل البلايين منها، والأهم من ذلك أن توجد، على الأقل، بقايا من هذه المخلوقات العجيبة في سجلات المتحجرات، إلا أنه ولدهشة الجميع، لم ينتج عن الأبحاث المكثفة في علم المتحجرات أي متحجرة من أي نوع تشير إلى "الأشكال الانتقالية" التي تحدثوا عنها!" [١]

يقول (ماهر خليل): "وإذا فرضنا أن هناك تحولات وتغيرات تورث إلى الأجيال التالية، فهل تحكمها نفس السنن السائدة مثل قانون الإهمال والاستعمال بالطبع لا وألف لا! متى أهمل الإنسان عضواً من أعضائه؟ وهل خلق فيه عضوٌ وركب به جزء ليس له فائدة حتى يصبح في غنى عنه بل كل عضوٍ إنما يؤدي رسالة خاصة ومهمة فهو لا يهمل أي عضوٍ من أعضائه ولا يمكنه ذلك أبداً". [٢]

فكيف إذن، نستدل على ظهور أنواع جديدة، هل تشاهدون هذه الحالات؟! وإذا لم تشاهدوها ولم يوجد دليل عليها، فكيف تقولون ذلك وتدعون أنها هي الحقيقة؟

يقول صاحب كتاب (الإسلام يتحدى):" هذه النظرية التي أجمع العلماء على صحتها، هل لاحظها أحدهم أو جربها في معمله؟.. والجواب لا! فذلك ضرب من المستحيل، إن مزعومة الارتقاء معقدة، وهي تتعلق بماض بعيد جداً، حتى أنه لا سؤال عن تجربتها وملاحظتها" [٣].

ثم إن الطبيعة كما يزعم داروين هي ذات قوى لتطور الأحياء ولكن ما هذه الطبيعة؟ "وأين تكمن قدرتها على الخلق؟ في أي مكان منها؟ أم ليس لهذه القدرة مكان ولا حيز؟" [٤]

يقول الدكتور يوسف كرم، إن الطبيعة عموما هي: "جملة الموجودات المادية بقوانينها، أي من الأجرام السابحة فوق رؤوسنا.. أي هي اتحاد الكثير المتنوع، وهذا الاتحاد صنع الفن والعقل" [٥].

---

(١) يحيى، هارون، **لا تتجاهل**، ط١، (ترجمة: ميسون نحلاوي، مراجعة: أورخان محمد علي)، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت – لبنان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص:١٦.

(٢) خليل، ماهر، **سقوط نظرية داروين في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة**، د.ط، المركز العربي للنشر والتوزيع – القاهرة، ص:١٢٣.

(٣) خان، وحيد الدين، **الإسلام يتحدى**، ط٨، (ترجمة: ظفر الإسلام خان، مراجعة وتقديم: د. عبد الصبور شاهين)، كتاب المختار – القاهرة، ١٩٨٤م، ص:٤٤.

(٤) قطب، محمد، **مذاهب فكرية معاصرة**، ط٨، دار الشروق – القاهرة وبيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص:٣٠٧.

(٥) كرم، يوسف، **الطبيعة وما بعد الطبيعة**، ط١، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص:٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول الجزائري في كتابه: "إن الطبيعة هي المادة، وعناصـر تكوينهـا مـن البـرودة، والحرارة، والرطوبة، واليبوسة، والمواد المركبة منها، وهي الذرات المكونة من النوى المـشتملة كل نواة منه على بروتون، ونيترون، وإلكترون" [١].

ولكن لا يمكن أن نحدد ماهية الطبيعة، إذ إنها من الأمور الغيبية التي لا تدركها الأبصار إلاّ آثارها فقط ومظاهرها. [٢] فالطبيعة، التي نشاهدها من مجموعة الذرات هي المـادة، فكيـف إذن، لهذه المواد والذرات المشتملة على كل هذه النوى أن تتكون وتنشأ منها في بداية الأمر؟! هل تقولون أن الطبيعة تكون نفسها بنفسها؟ أو أنها جاءت مصادفة؟ "أي منطق وأي علـم يقـول إن المادة يمكن أن تخلق المادة؟!" [٣].

جاء في كتاب (شرح النسفية) أن المواد والذرات هي حادثة، وليست قديمة، حيث يقـول (عبد الملك السعدي): "إذا كان من جملة العالم لا يصح أن يكون محدثاً؛ لأنه هو المبدئ – بكـسر الدال – له، والمبدئ لا بد أن يكون قبل المبدأ – بفتح الدال – وعلى هذا لا يصح أن يكون المبدئ نفس المبدأ لأنه يلزم وجود الشيء قبل نفسه، وأن يكون الشيء علة لنفسه، وهما محالان، وكذا لا يصح أن يكون بعضه لأن بعض الشيء لا يتقدم على كله لأن البعض المتقدم أصبح علـة للكـل الذي من جملته هذا البعض وعندئذ يلزم كون الشيء علة لنفسه وبالتالي فلا بد أن يكـون موجـد العالم واجب الوجود لا جائزه." [٤].

إذن، إذا كانت المادة والعالم كلاهما حادث فهما بحاجة إلى من يخلقهما.. إذ ليس صحيحاً أن نقول هو الخالق وهو في الوقت نفسه هو المخلوق أيضاً، وعليه فإن هذا الكلام باطل بالـدليل العقلي والنقلي.

كما يقول الجزائري: "هل هذه العناصر من النوى، والذرة، والخصائص المشتملة عليهـا المادة أوجدت نفسها، فكونت ما يسمى بالطبيعة؟ اللهم، لا، إذ هو مما تحيله العقول، ولا تقبله أبداً. إن معنى هذا الهراء: أن الطبيعة أوجدت نفسها أولاً، ثم أوجدت غيرها من الموجودات! إن المادة المركبة من عناصرها، والمودع فيها خواصها، وطباعها مفتقرة إلى من يوجد عناصرها، ويودع

---

(١) الجزائري، أبو بكر جابر، **عقيدة المؤمن**، ط٨، دار الشروق – جدّة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص:٣٨.
(٢) انظر: قطب، **مذاهب فكرية معاصرة**، ص:٣٠٧.
(٣) المصدر نفسه، ص: ٣٠٩.
(٤) السعدي، عبد الملك عبد الرحمن، **شرح النسفية في العقيدة الإسلامية**، ط٢، مطبعة الأزهر ومؤسسة رام للكمبيوتر الكرك – الأردن، ١٤١٨هـ/٢٠٠٨م، ص: ٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيها خواصها، وحينئذ فهي حادثة مخلوقة، فكيف يصح أن تكون إلهاً، خالقاً، ينسب إليها الخلق والتكوين والإبداع والتنظيم؟" [١] .

فمفهوم (الانتخاب الطبيعي) في تفسير عملية التطور النوعي في الكائنات الحية نفسها لم يكن صحيحاً، فالانتخاب الطبيعي لم يتسبب ولم يقدر على إظهار الأحياء الجديدة، كما يقول (هارون يحيى): تُفيد نظرية الانتخاب الطبيعي، أن الأحياء الذين يظهرون تلاؤماً مع الظروف الطبيعية التي يعيشون فيها سيسودون ويتكاثرون، بينما سينقرض أولئك الذين لا يمكنهم التلاؤم مع تلك الظروف، إلا أن هذا الادعاء لا يمت إلى نظرية التطور بصلة، الانتخاب الطبيعي: يعني التخلص من الأفراد الضعفاء فقط، وبالتالي ينتج عن ذلك مجتمع من الأفراد الأقوياء، بمعنى آخر: **لايمكن أن ينتج عن الانتخاب الطبيعي أنواع جديدة".** [٢]

وكذلك وضح (محمد السيد غلاب) بأن الانتخاب الطبيعي لا يمكن أن يؤدي إلى تحول نوعي، حيث يقول "بالرغم من هذا فهي لا تظهر أنواعاً جديدة، لاختيار شيء جديد، أي لا تجدد في أنواع الأحياء، ولذلك فهي لا يمكن أن تكون عاملاً دافعاً لعجلة التطور إلى الأمام". [٣]

وكذلك أعلن أنصار التطور ذلك، حيث يقولون إن الانتخاب الطبيعي لم يؤد إلى أي تحول وتطور نوعي، بل "إن التغاير الجيني ينشأ عن الطفرة فقط، والتي غالباً ما تحدث عشوائياً لتسبب تغييراً في الجينات والكروموسومات، أما إعادة التركيب أو الترتيب، فإنه أكثر حدوثاً، مسبباً تغايراً فيما بين أفراد الخلق بدرجة أكبر مما يحدث بسبب الطفرة". [٤]

ولقد ذكر أنصار داروين بأن الانتخاب الطبيعي وحده لم يستطع أن يحدث أي تحولات في الأحياء، لذلك أعلنوا بأن (الطفرة) [٥] هي القوة والعامل الرئيسي في تطور وتحول الأحياء ما عدا الانتخاب الطبيعي، ذلك كما يقول (جي. إم. سفج) في كتابه: "فالطفرة كقوة تطورية هي المعين

---

(١) الجزائري، **عقيدة المؤمن**، ص: ٣٨.
(٢) يحيى، **لا تتجاهل**، ص: ١٥.
(٣) غلاب، **تطور الجنس البشري**، م، ص:٣٨.
(٤) فالكونر، **المدخل إلى الوراثة**، ص: ٩.
(٥) الطفرة هي عبارة عن تغير فجائي يطرأ على المادة الوراثية دون المرور بحالة متوسطة أو إنذار مسبق، إن حدوث تغير معين في المادة الوراثية كلياً أو جزئياً لا بد أن ينعكس على جسم الكائن الحي نفسه، بسبب التغيرات على الصعيد الظاهري للصفة التي تأثرت بتلك الطفرة. (انظر: الأنصاري، د. عثمان عبد الرحمن، وسلامة، د. ناصر محمد، وأبو عساف، د. إسماعيل، **مبادئ وأساسيات علم الوراثة**، د.ط، دار الحكمة – طرابلس الجماهيرية العظمى، ١٩٩٢م، ص: ٣١٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمصدر النهائي للأليات الجديدة والتشكيلات الجينية الجديدة، والتباينات تجهز المـواد الوراثيـة التي ستقولب بفعل القوتين الآخريتين". [١]

فالنوع الجديد من الأحياء عندهم لا يظهر إلا مع الطفرة أي تطفر فجأة صفة من الصفات في الكائن الحي، نتيجة تغير في العوامل (الوحدات) الوراثية نفسها، ولكن من المشاهد أن معظـم الصفات الطافرة مضرة، تنتهي بإيجاد كائن حي مسيخ، أو غير مفيدة أي لا تجد البيئة مهيأة لهـا [٢].

فالطفرة كما هو في الانتخاب الطبيعي لا يمكن أن تنتج أي أحياء جديدة، بل تضرها، ذلك كما شرح (هارون يحيى) في كتابه الموسوم (خداع التطور) [٣] قائلاً:-

"التحولات (الطفرات) التي عادةً ما يختبئ وراءها علماء النشوء والتطورات ليس عصى سحرية تحول أعضاء الكائنات إلى أشكال متطورة كاملة، إذ إن التـأثير المباشـر للتحـولات أو للطفرات ضارٌ إذ أن التغيرات الناشئة عن التحولات هي مثل ما حـصل لـسكان (هيروشـيما) و(ناجازاكي) و(شيرنوبل) أي تسببت في الموت والعجز عن الحركة واختلالات في جسم الإنسان والسبب في ذلك بسيط جداً؛ وذلك لأن (DNA) العشوائية يمكن أن تسبب الـضرر لتركيبتـه أو لطبيعته، باختصار من غير الممكن للأحياء أن يتطوروا لأنه لا توجد آلية فـي الطبيعـة تـسبب النشوء لهم، وهذا يحدث كما هو الحال في المتحجرات والتي تبين أن هذا الأمر بعيد عن الواقع " [٤].

(Mutation, which evolutionists frequently hide behind, is not a magic wand that transforms living organisms into a more advanced and perfect form. The direct effect of mutations is harmful. The changes effected by mutations can only be like those experienced by the people in Hiroshima,

---

(١) سفنج، **التطور**، ص: ٧٣.
(٢) غلاب، **تطور الجنس البشري**، ص: ٣٨.
(٣) هذا الكتاب إنما جاء باللغة الإنجليزية، وليس مترجماً للغة العربية، وإنما استعنت بمكتب (المسرة للترجمة المعتمدة)، ولذا أرفقتُ بها النص الإنجليزي حتى يكون مجالاً للمناقشين للمطابقة وبيان سلامة المرجع المنقول منه المادة العلمية.
(٤) انظر: يحيى، هارون، **خداع التطور**، ط١، كلتور للنشر والتوزيع – اسطنبول، ٢١٠٠١م، ص: ٥١، ٥٣.
Yahya, Harun, **The Evolution Deceit,** First published: Ta-Ha Publisher Ltd., Printed: Kultur Publishing, Istanbul, Turkey, ٢٠٠١, pp: ٥١،٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Nagasaki, and Chernobyl: that is death, disability, and freaks of nature.. The reason for this is very simple: DNA has a very complex structure and random effects can only cause harm to this structure)

(Briefly, it is impossible for living beings to have evolved, because there exists no mechanism in nature that can cause them to evolve. This agrees with the evidence of the fossil record, which demonstrates that this scenario is far removed from reality).

**الشبهة الثانية:**

يدعي داروين بأن الحياة تتأصل في الأحياء البسيطة ذات الخلية الوحيدة في المستنقعات ثم تتطور وتترقى إلى أحياء أكثر تعقيداً ذات عدة خلايا، وهي النباتات البدائية التي لها صفات متوسطة بين النبات والحيوان البدائي وهي ذات خلايا متعددة في تلك العملية وتحدث تحت تأثير طبيعة محضة.

**الرد على هذه الشبهة:**

أولاً في الأحياء البدائية الأولى ذات الخلية الوحيدة كما يزعم داروين أنها في حالتها البسيطة جداً تترقى إلى أحياء أكثر تعقيداً، في الحقيقة لم تكن هي في حالتها البسيطة كما تخليها! إنما هذه الأحياء كلها كانت في حالتها المعقدة الكاملة منذ وجودها، فكيف إذن، تحدث تلك الحالة تحت ظروف الطبيعة المحضة أو أنها تحدث من تلقاء نفسها؟!

ففي رفض (هارون يحيى) هذا الادعاء بقوله: "إن الأحياء وحيدة الخلية أكثر بدائية من الأحياء متعددة الخلية حسب النظرة التطورية، وهذا دليل على أن الأحياء متعددة الخلايا تطورت من أحياء وحيدة الخلية حسب زعمهم، ولكن **هذا الرأي ليس له سند علمي،** مثل الحكايات التطورية الأخرى وعلى عكس ذلك فإن بعض أشكال وحيدة الخلية ترى كتكوين خلوي معقد للغاية، والطحالب التي تقوم بالتمثيل الضوئي هي عبارة عن أحياء تمتلك تكويناً خلوياً معقداً وتوفر معظم الأوكسجين الذي يوجد في الغلاف الجوي، كما إن الأشكال التي تمتلكها الطحالب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحيدة الخلية، بالإضافة إلى تكويناتها الخلوية المعقدة تظهر أبهى النقوش الهندسية الموجودة في الطبيعة" [١].

ويقول (شمس الدين آق بلوت): "إننا واثقون أن الخلية ليست وجوداً بسيطاً بحيث يمكن الإحاطة بأسرارها بسهولة وبسرعة، فمن الممكن كتابة مجلدات ضخمة عن فعاليات الخلية وعن خواصها التي تذهل عقولنا، وقد كتبت فعلاً" [٢].

وكذلك يقول (حليم عطية سوريال): "إن الخلايا الحية مهما صغر حجمها عالم في ذاتها، فتركيبها الكيماوي غاية في التعقيد والبروتوبلازما نفسها تشبه معملاً كيماوياً يحتوي على أنزيمات وهرمونات مختلفة.." [٣].

ويقول الدكتور (موريس بوكاي):" من غير المحتمل أن يكون تعقد المادة الحية في تلك الأحياء الأولية بنفس الكبيرة التي عليها الخلية اليوم" [٤].

ويقول (الدكتور إحسان حقي): "ما دامت الخلية قد ظهرت كاملة منذ بداية خلقتها، فلماذا تتحول إلى أشكال من الحياة أكثر تعقيداً؟ هذا بالإضافة إلى أنه ما دامت الكائنات ذات الخلية الواحدة كالأميبا مثلاً قد ظلت على حالتها لم تتغير حتى اليوم، فكيف حدث أن تعرض بعضها للتطور الارتقائين بينما ظل غيرها على حاله كما كان؟" [٥]

إن مسألة أصل الحياة هي من الأمور الغيبية التي لم تدركها العقول وتحيط بها أذهاننا؛ "لأن العقل عاجز عن إدراك كنه عالم الشهادة فضلاً عن عالم الغيب" [٦]

---

(١) يحيى، هارون، **المعجزة الخضراء: التمثيل الضوئي**، ط١، (ترجمة: مصطفى أنور، مراجعة: مصطفى الستيتي)، مؤسسة الرسالة ناشرون – بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص: ١٩٥.

(٢) بلوت، شمس الدين آق، **داروين.. ونظرية التطور**، د.ط، (ترجمة: أورخان محمد علي)، مركز بحوث بني آسيا – اسطنبول، ١٩٨٠م، ص: ٢٣.

(٣) سوريال، حليم عطية، **كتاب تصدع مذهب دارون والإثبات العلمي لعقيدة الخلق**، د.ط، المطبعة الوطنية الحديثة للطباعة – أسيوط، ١٩٣٧م، ص: ٧٥.

(٤) بوكاي، **ما أصل الإنسان؟ إجابات العلم والكتب المقدسة**، ص: ٣٠.

(٥) فريق من العلماء، **خلق لا تطور**، ص: ٤٣ – ٤٤.

(٦) الكردي، راجع عبد الحميد، **نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة**، ط٢، م٣، دار الفرقان – عمّان، ٢٠٠٤م، ص: ١٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم هذه الأحياء والكائنات من النبات والحيوان كيف تحيا وتتنفس؟ فهل تعطي الطبيعة الروح؟! هل يمكن أن تعطي المادة الميتة الروح والحياة للنبات؟ وإلى للحيوان؟ وكذلك للإنسان؟ إذن، من أين جاءت هذه النفس والروح؟!

كما يقول (الجزائري): "المادة ميتة قطعاً، والميت لا يخلق الحي، وكيف يهب الحياة من هو ميت؟" [١]

وكذلك النظام والتصميم الدقيق لهذه الأحياء الأولية، هل يمكن أن تأتي من تلقاء نفسها أو بالصدفة؟

قد رفض (هارون يحيى) هذا الادعاء، بقوله: "إن الله وحده، القادر الحكيم، هو الذي يستطيع أن يهب الحياة للمادة غير الحية، أي أن يخلق كائناً حياً، إذ تتميز النظم الحية بتركيبات غاية في التعقيد لم يفهم بعد بالكامل كيفية عملها على الرغم من التسهيلات التكنولوجية المتاحة اليوم.. ومع ذلك، ففي القرن العشرين، كشفت الملاحظات والبحوث التي استخدمت فيها الأدوات المتقدمة والمجاهر الإلكترونية أن الخلية، التي هي وحدة بناء الكائنات الحية، تتسم بتركيب غاية في التعقيد لا يمكن أن يكون قد تكون إلا نتيجة لتصميم متقن، وأهم من ذلك، أوضحت هذه البحوث أن من المستحيل تماماً أن تنشأ الحياة تلقائياً من المادة غير الحية، أي أن مصدر الحياة هو الحياة وحدها، وتم إثبات هذه الحقيقة تجريبياً أيضاً" [٢].

يقول (وحيد الدين خان): "إن محامي نظرية الارتقاء لم يتمكنوا حتى الآن من تمكيننا من مشاهدة أو تجربة أي أساس تقوم عليه مزاعمهم.. فعلى سبيل المثال: ليس بوسعهم أن يثبتوا لك بالرؤية المباشرة، في معمل ما، كيف توجد الحياة من مادة لا حياة فيها، وتستند مزاعمهم، في هذا الصدد، على شيء واحد وهو أن سجل الطبيعة يؤكد أن الوجود الأول كان لمادة بدون حياة، ثم بدأت الحياة تدب في الكون، فاستنتجوا من ذلك أن الحياة خرجت من المادة الميتة كما يخرج الطفل من بطن أمه". [٣]

---

(١) الجزائري، **عقيدة المؤمن**، ص: ٣٤.

(٢) يحيى، هارون، **معجزة الذرة**، ط١، (ترجمة: أحمد ممتاز سلطان، مراجعة: مصطفى الستيتي)، مؤسسة الرسالة – بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص: ٩١ – ٩٢.

(٣) خان، وحيد الدين، **الدين في مواجهة العلم**، ط١، (ترجمة: ظفر الإسلام خان، ومراجعة: عبد الحليم عويس)، دار الاعتصام – بيروت، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص: ٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

**الشبهة الثالثة:**

يؤمن داروين بتحول وتطور تدريجي في أعضاء الأحياء والكائنات خلال ملايين الـسنين مما يؤدي إلى تحول نوعي عند الأحياء في النهاية، ويزعم داروين بوجود صور انتقاليـة بـين الأحياء والكائنات المنقرضة والأحياء الحالية للاستدلال على هذا الادعاء.

**الرد على هذه الشبهة:**

إن الانتخاب الطبيعي لم يستطع ولم يقدر على إيجاد أنواع جديدة في الأحياء كما يـدعي داروين، ونشير هنا إلى قول بعض العلماء في ذلك:

يقول (موريس بوكاي) وهو طبيب مسلم وعالم فرنسي: "ما هو الدليل على قوة الانتقـاء التي تدفع الأشكال الجديدة إلى الظهور؟ وقد شبه داروين الانتقاء الطبيعي بالانتقاء الاصـطناعي الذي يقوم به الإنسان، ومع ذلك، فإن الانتقاء الاصطناعي – في واقع الأمر – لا ينتج عنه أنواع جديدة؛ لأن كل دوره ينحصر في التأثير على خصائص معينة، فالأفراد أنفسهم لا يتخيلون عـن أنواعهم مهما كانت، **والانتقاء الاصطناعي لا يستحدث – ولا يؤدي إلى تكوين أعضاء جديـدة، ولا يؤدي إلى تولد جنس جديد كما أنه لا ينشئ نوعاً جديداً من أنواع التنظيمات .. وعلى ذلـك فالتغايرات الفردية البسيطة التي ذكرها داروين ليست وراثية بأي شكل من الأشكال**[1] ".

ويقول (حليم عطية سوريال): "نحن لا ننكر الأمثلة التي أوردها داروين في كتابه (أصـل الأنواع) عن إمكان توالد حيوانات تختلف اختلافاً كبيراً عن والديها كما في بعض حالات الكبـاش والحمام والكلاب وبعض النباتات إلى غير ذلك... ولا ننكر فكرة دارون الأصلية في تجمع بعض الاختلافات الطفيفة في أفراد النواع الواحد، **ولكن ثبت أن جميع تلك العوامل لا يمكنها أن تغيـر نوعاً من الأنواع الحية إلى نوع آخر وكل التغييرات التي يمكنها أن تحدثها سـطحية لا تمـس التركيب الجوهري للحيوان أو النبات وبعضها باثولوجية (مرضية تقود إلى انقراض النوع" [2].**

ويقول الدكتور البوطي: "لقد ثبت لدى الدراسة أن كثيراً من نباتات مصر وحيواناتها لـم تتغير عن وضعها خلال قرون كثيرة متطاولة، يتضح ذلك من الأنسال الداجنة المنحوتة في بعض الآثار المصرية القديمة أو التي حفظت بالتحنيط وكيف أنها تشابه كل المشابهة الصور الباقية بـل

---

([1]) بوكاي، **ما أصل الإنسان؟ إجابات العلم والكتب المقدسة**، ص: ٤٩.
([2]) سوريال، **كتاب تصدع مذهب دارون والإثبات العلمي لعقيدة الخلق**، ص:١٣ – ١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ربما لا تكاد تفترق عنها بفارق ما. بل أن تلك الحيوانات العديدة التي لم يطرأ على تركيبها أي تحول منذ بداية العصر الجليدي رغم أنها قد وقعت تحت تأثيرات كثيرة في تغير المناخ، بل إنها كثيراً ما هجرت مسافات شاسعة على سطح الكرة الأرضية وذلك باعتراف داروين نفسه" [١].

ويقول (ماهر خليل) بصدد هذه المسألة: "إن علماء البيولوجيا يكادون يجمعون على أن الأنواع الجديدة لم تكن تظهر نتيجة لتراكم التغيرات الصغيرة خلال فترة طويلة جداً من الزمن كما قال داروين ولكنها تظهر فجأة ثم تستمر في الوجود دون أن يطرأ عليها أية تغيرات كبيرة" [٢].

ويقول (موريس بوكاي): "هذه ظاهرة لا تستعصى اليوم على الفهم في ضوء الأفكار الحديثة عن التغيرات الفجائية التي تلحق بالجينات لأن كل كائن حي تحدث فيه تغيرات "كروموسومية" تغيرات طفيفة بحيث لا تؤدي إلى أن يخرج عن إطار نوعه" [٣].

فالسجل الحفري لم يسند ادعاء داروين بل خالفه حيث "يكشف عن وجود كائنات عضوية تنتمي إلى أنواع مستقرة ومتكاملة التكوين ومتمايزة ويمكن تحديد رتبتها بكل دقة، ولكنه لا يضم حفريات تشير إلى وجود أي أنواع هامشية أو وسيطة تمثل مرحلة الانتقال من نوع متكامل معين إلى النوع الذي تطور منه ونشأ عنه" [٤].

ويقول (حسن زينو) وهو عالم الجيولوجيا والتنقيب: "خلق الله تعالى كل مخلوق على أتم وجه وسخر له كل الأعضاء والوسائل التي تمكنه من العيش في الوسط المقدر له، إذا تغير الوسط الذي يحف بالكائن كأن صار بحراً بدل البر فإما أن ينجو بنفسه لفترة عن طريق السباحة أو يموت ويندثر، ولكن هذا التغيير أبعد ما يكون أن يجعل الحيوان البري مائياً كأن يجهز بعضلاصم تتنفس كالسمك، وعليه فليس هناك أبداً تكيف، وإنما هو إنسجام مع شروط معينة يؤدي تغيرها إلى فناء الحي أو نزوجه عن هذه الشروط أي الهرب من الشروط القاسية إلى غيرها إن أمكن" [٥].

---

(١) البوطي، **كبرى اليقينيات الكونية**، ص:٢٦٣.
(٢) خليل، سقوط **نظرية داروين في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة**، ص: ٧١.
(٣) بوكاي، **ما أصل الإنسان؟ إجابات العلم والكتب المقدسة**، ص: ٥٠.
(٤) خليل، **سقوط نظرية داروين في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة**، ص: ٧١.
(٥) زينو، حسن، **التطور والإنسان**، ط١، دار الدعوة – بيروت، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ص: ١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والادعاء الذي يقول به داروين لم يقم على أساس من الحقيقة، فكيف يمكن أن تقولون يـا أنصار داروين بهذا الاعتقاد، إن كان داروين نفسه لم يعثر على هذه الصور الانتقالية أو الحلقـة المفقودة المزعومة؟!

وكما صرح (الدكتور إحسان حقي) حيث لم توجد حتى الآن أي رابطة مفقودة بين جـنس واحد من الحيوانات وأخرى ويضيف قائلاً: "فإذا كانت نظرية التطور صادقة كان من الواجب أن تمر جميع الأعضاء، من داخلية أو خارجية، بمراحل عديدة من النمو. ولكننا لم نجد قط مثل هذه الأشكال الانتقالية" [١].

وكذلك يرد (هارون يحيى) هذا الادعاء بأنه لم توجد هناك أي حلقة وسطى بل الحقيقة أن الأنواع الحية تنشأ إلى الوجود فجأة وعلى أكمل صورة، حيث قال: "أجريت حفريـات وتنقيبـات كثيرة جداً منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى الآن ولكن لم يعثر على أي أثر لهذه "الحلقـات الوسطى أو الأشكال الانتقالية"، وقد أثبت المتحجرات التي تم الحصول عليها نتيجـة الحفريـات عكس ما كان يتوقعه الداروينيون من أن جميع الأحياء بمختلف أنواعها قد ظهرت إلـى الوجـود فجأة وعلى أكمل صورة [٢]."

وإن الطبيعة لم تستطع أن تخلق الأحياء الجديدة بالتحول العضوي بعملية الوراثـة، كمـا يقول (الدكتور يوسف كرم): "محال أن تكون تغيرات الأجسام وظواهرها وليدة حركة الـذرات، المعقول أن ينتج عن الحركة اختلاف في حجم الأجسام، وفي قوة الحركة نفسها ليس غيـر، أمـا الاختلاف بالخصائص والماهية فهو من أصل آخر، وإذا كان ترتيب الحركات والهيئـات يفـسر اختفاء خصائص العناصر في ائتلافها فإنها لا تفسر ظهور الخصائص الجديدة بتكوين المركـب الجديد، والحركة لا تنتقل من جسم إلى آخر كما يتوهم الآليون، إذ لا حركة إلا في متحرك، فـإذا قلنا بالانتقال دون متحرك افترضنا الحركة شيئاً أو جوهراً أثناء الانتقال، وهي عـرض بـالطبع مفتقرة إلى ما يحملها ويمر بها من مكان إلى آخر، ونكرر القول أن الاختلاف بالعرض لا ينـتج اختلافاً بالذات [٣]."

---

(١) فريق من العلماء، **خلق لا تطور**، ص: ٥٩.
(٢) يحيى، هارون، **الأمم البائدة**، (ترجمة: ميسون نحلاوي، مراجعة: أورخان محمد علي) ، ط١، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص: ١٥٠.
(٣) كرم، **الطبيعة وما بعد الطبيعة**، ص: ١٣ – ١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

**الشبهة الرابعة:**

يدعي داروين بأن الصفات المفيدة المكتسبة في الكائنات الحية تتوارث من جيل إلى جيل.

**الرد على هذه الشبهة:**

رفض علماء الأبحاث المسلمون هذا الادعاء، فالصفات المكتسبة لم تتوارث في الأبنـاء، فلا يمكن بالتالي أن تقود إلى تحول تركيب عضوي في الأحياء، ذلك كما يقول (عباس العقّاد) في هذا الإطار: "كل صفة لا تكمن في الناسلة ولا تحتويها صبغية من صبغياتها فهي صفة عارضـة لا تنتقل إلى الذرية بالوراثة [١]".

ويقول (حليم عطية سوريال): "فإن الباحثين أثبتوا على تفاهة العوامل الداروينيـة وعـدم استمرارها وأثبتوا استحالة توارث الصفات المكتسبة [٢]".

ويجوز (العقّاد) هذا الخطأ عند داروين في زمنه؛ لأنه حينذاك لم تكتـشف أسـرار علـم الوراثة، حيث يقول "وقد كان خطأ النشوئيين في تقرير مسألة الوراثة نقصاً لازماً لمباحث العلـم الطبيعي في القرن التاسع عشر، أياً كان رأي العالم الذي يقرر هذه المسألة، لأن أسرار الوراثة لم تعرف قبل تقدم علم الناسلات (أو الجينات) وظهور فعل الناسلة والصبغية في نقـل الخـصائص والفوارق الفردية من الآباء والأمهات إلى الأبناء [٣]".

إذن، إن وراثة الصفات المكتسبة في حمل تحول وتطور النوعي عند الأحيـاء لـم يكـن صحيحاً، ولم يستند إلى دليل علمي.

---

(١) العقاد، **الإنسان في القرآن الكريم**، ص: ٨٠.
(٢) سوريال، **كتاب تصدع مذهب دارون والإثبات العلمي لعقيدة الخلق**، ص: ١٦.
(٣) العقاد، **الإنسان في القرآن الكريم**، ص: ٧٩ – ٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

**الشبهة الخامسة:**

زعم داروين بأن الإنسان هو النتاج الأخير لعملية التطورات، حيث يـشترك فـي آخـر تحولاته – قبل أن يكون إنساناً – مع الحيوانات العليا أو القرود الشبيهة بالإنسان في أصل واحد.

**الرد على هذه الشبهة:**

يقول الأستاذ محمد قطب في كتابه: "كانت نظرية دارون قد أعطت إيحائين متصاحبين: الإيحاء بالتطور الدائم الذي يلغي فكرة الثبات **والإيحاء بحيوانية الإنسان وماديته، بإرجاعه إلـى الأصل الحيواني** من ناحية، **وحصر القوى التي تؤثر فيه من ناحية أخرى بالقوى المادية** الممثلة **في (البيئة) أو على الأكثر في (الطبيعة)، وإغفال الجانب الروحي إغفالاً تاماً، وإغفال تدخل الله في عملية الخلق أو عملية التطور سواء**" [١].

وقد وصف محمد قطب بأن الادعاء بحيوانية الأصل للإنسان هو "انحراف جاهلي يصغر من قيمة هذا الإنسان في النهاية، حين يجعله حيواناً عاقلاً فحسب، كما عرفته الفلـسفة اليونانيـة، وهو في حقيقته ((إنسان)) كائن آخر غير الحيوان، إنسان رفيع بكيانه كله، لا بعقله وحده.. ورفيع بشموله وتكامله وترابطه، بصورة فريدة لا تتحقق إلا في الإنسان" [٢].

فالادعاءات التي قدمها داروين في أصل الإنسان ما هي إلا تزييف وتزوير بحت، لم تقـم على دليل قطعي، إذ إننا إذا التفتنا إلى مظهر شكل الإنسان والقرود، نجد هنـاك فـروق كبيـرة بينهما، إذ إن الإنسان هو مخلوق مستقيم القامة، ويمشي على قدمين، بينما القرد حيـوان يمـشي على أربع وهذا فرق عظيم كما يقول (حليم عطية): "لأن انتصاب قامة الإنسان يستدعي تركيبـاً مخصوصاً لقدميه وطول طرفيه السفليين وهيئة عاموده الفقري بل وتركيب هيكله العظمـي كلـه ويمكن القول أن يقدم الإنسان بمفردها عضو فريد لا شبيه له في المملكة الحيوانية" [٣].

وكذلك إن الإنسان متميز في قدراته الذهنية والعقلية، ليس بسبب تطور وترقي حجم المخ كما يعتقد داروين وأنصاره، فهم يزعمون أن الإنسان يستطيع أن يدرك ويفهم ويـستنبط الأشـياء

---

(١) قطب، محمد، **التطور والثبات في حياة البشر**، ط٤، دار الشروق – بيروت والقاهرة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص: ٣٩ – ٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ص : ٤٠.

(٣) سوريال، **كتاب تصدع مذهب دارون والإثبات العلمي لعقيدة الخلق**، ص: ٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بمعرفته، فلم يكن ذلك عند القرود أو الحيوانات الأخرى، وكذلك "لا داعي للإشارة إلى مميـزات الكلام واللغة التي خص بها الإنسان لأنهما تابعان للإدراك والفهم" [١].

والأدلة الحفريات لم تنتصر على ادعاء داروين حتى الآن، بل على العكس أنها تدل على أن هناك خلقاً مستقلاً وليس تطورات.

يقول (الدكتور أحمد أبو زيد)÷ في مجلة (العربي) الكويتية سنة ١٩٨٢ في معارضة قول داروين: ".. كذلك يلقي تصور دارون للتطور على أنه عملية متصلة ومستمرة – وإن كانت تـتم بشكل بطيء وتدريجي – اعتراضات كثيرة من جانب عدد من علماء الأنثروبولوجيـة الفيزيقيـة المعاصرين، ممن أتيحت لهم الفرصة للبحث الميداني والتنقيب والعثور على بعـض الحفريـات القديمة التي قلبت كل النظريات السابقة رأساً على عقب، ويكاد هؤلاء العلماء يجمعون الآن علـى أن الأنواع الجديدة لم تكن تظهر نتيجة لتراكم التغيرات الصغيرة خلال فترات طويلة جـداً مـن الزمن كما قال دارون، ولكنها تظهر فجأة، ثم تستمر في الوجود دون أن يطرأ عليها أية تغيـرات كبيرة حتى تندثر وتختفي تماماً" [٢].

وكذلك يعقّد داروين في مسألة أصل الإنسان كما عرضناها في الفصل السابق، حيث يقول بأن الإنسان والقرود حالية إنما يشتركان في أصل واحد، فإن هذا الأصل ليس هو القرود، وإنمـا هو مخلوق الممزوج بين الإنسان والقرود، وهو نصف القرود ونصف الإنسان [٣].

فهل من المعقول هذا القول؟ أليس لأصل المشترك المزعوم الذي يتصف بصفات البشرية وصفات القرود، هو القرود نفسه؟ ما هذا إلا خداع العظيم، إذ داروين نفسه لم يشهد هذا الكـائن المختلط المزعوم، فيدعي بأنها هي الكائن الشبيه بالقرود وليس قروداً حالية؟! كلام غير مفهومـاً أبداً، ولو صح هذا الادعاء لوجد هذا الكائن المزعوم، وكذلك كان لابد لها من وجود لهذه الحلقات الانتقالية أو الصور الوسطى من نوع إلى أنواع أخرى في الحفريات ما دامت الحفريات هي أهـم الأدلة على ذلك، ولكن داروين يدعي بأن هذه الحلقات إما مفقودة أو لم يعثر عليها أحد في زمانه!

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٥٨.

(٢) انظر: مقدمة المترجم، ت. كيش، البروفسور داون، **في نظرية التطور: هل تعرضت لغسيل الدماغ؟** د.ط، (ترجمة وتقديم وتعليق: أورخان محمد علي)، دار الصحوة – القاهرة، ١٩٨٦م، ص:٦.

(٣) انظر: الفصل الأول من هذه الرسالة، ص: ٧٦ – ٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقام أنصار داروين بأعمال التنقيب للبحث عن المتحجرات من الحلقات المفقـودة التـي تربط بين الإنسان وأسلافه، وزعم (دبوا) أنه عثر على هذه الحلقات الذي يسمى بـ (بثكانتروبس أراكتس) في عام ١٨٨٧م، إلاّ أن هذا الادعاء ليس صحيحاً، إذ يعتقد بعض علمـاء التـشريح **أن هذه العظام إنما تنتمي إلى قرد من نوع (الجيبون) الكبيرة وليست لبـشر** [١]، وعلاوة على ذلك، **أن (دبوا) نفسه يعلن تراجعه عن ذلك** حيث أعلن بعد عشرين سنة أن العظام التي اكتشفها ليست لإنسان، بل إنه نوع من القرود [٢].

وكذلك فشلت محاولة (دارت) في دلالة على وجود هذه الحيوان المـزيج بـين الإنـسان والقرود؛ لأن هذا الادعاء ما هو إلا تخيلات محضة، إذ "قد أثبتت الأبحاث التي أجراها كل مـن الأمريكي البروفيسور (تشارلز أوكسنارد) والبريطاني (اللورد سوللي زاخارمان) وكلاهمـا مـن أشهر علماء التشريح على قرد الجنوب أن هذا الكائن الحي ما هو إلا نوع منقرض من القرود ولا علاقة له البتة بالإنسان" [٣].

هذا يدل على بطلان ادعاء داروين، إذ لم يعثر أحد على حفرياتها أو صورها الانتقاليـة حتى يومنا هذا، فداروين نفسه قد واجه الصعوبات لعدم الوجود هذه الصور الانتقالية، حيث يقول: "إذا كانت الأنواع قد تدرجت متسلسلة عن أنواع غيرها، متحولة في خطى من النـشوء، فلـم لا نرى في شعب النظام العضوي تلك الصور الانتقالية الوسطى التي تربط بين بعـضها الـبعض؟ ولماذا لا نرى الطبيعة في تهوش وتخالط يقتضيهما تسلسل الصور، بل نرى الأنـواع صـحيحة متميزة لا خلل في نظامها ولا التباس؟" [٤].

وإذا كان هذا الادعاء صحيحاً، لماذا توقف التطور عند الإنسان؟ ولماذا لم يتحول الإنسان ويتطور إلى أنواع أخرى منذ ملايين السنين؟ ولماذا تطور الكائن الذي يشارك القرد في جده إلى ذكر وأنثى؟ فمن أي الجنس ينحدر الإنسان؟

فوجود الكائنات خاصة في كل طبقة من طبقات الأرض لا يعني تحولها وتطورهـا بـل يعني ترتيب خلقها لا غير.

---

(١) غلاب، **تطور الجنس البشري**، ص:١١٧.
(٢) انظر: القرطاس، **نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها**، ص: ٨٢.
(٣) يحيى، **الأمم البائدة**، ص: ١٥١.
(٤) داروين، **أصل الأنواع**، ص: ٣٢٨ – ٣٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرى (وحيد الدين خان) أن هذه المسألة في تطور جميع الأحياء في العالم إنما هي مجرد عقيدة، ليست تجربة، حيث يقول: "هذه النظرية التي أجمع العلماء على صحتها، هل لاحظها أحدهم أو جربها في معمله؟.. والجواب: لا! فذلك ضرب من المستحيل، إن مزعومة الارتقاء معقدة، وهي تتعلق بماض بعيد جداً، حتى أنه لا سؤال عن تجربتها وملاحظاتها [١]".

فالعقل البشري لا يستطيع الوصول إلى ما وراء الطبيعة في اكتشاف سر نشأة الكون والحياة حتى في سر أصل الإنسان أيضاً ولا يقدر أحد أن يكتشفها أو يشهدها، أو يتبع بداية سلسلة الإنسان وذلك مستحيل على الإنسان بسبب "قصور الإدراك البشري ذاته عن الحكم الصحيح المطلق حتى على ما يمكن أن تستحضر فيه التجارب والظواهر، لأنه محكوم بطبيعته الجزئية – غير المطلقة – ومحكوم بمؤثرات الهوى والضعف الأخرى.. فليس هو إذن بالحكم في منهج يوضع (للكائن الإنساني) " [٢].

يقول محمد الحسين الأديب: "قد يظن أنه وصل إلى ما وصل إليه من الرقي بعقله، وأن لم تكن الأديان لكل العقل ديناً وهادياً، ولكن ما هي مقاييس العقل؟ وهل كان العقل (إذا لم يلقح بهذه اللقاحات السماوية، يمضي قدماً في الطريق المستقيم؟ لا يضل ولا يشقي؟ كلا ثم كلا !!" [٣]

فالعقل الإنساني لو لم ترشد به الهداية الدينية، يكون في غاية الجهل ولم يصل إلى الغاية الحميدة التي أرادها الله له [٤].

وكما يقول (سيد قطب): "والناس كلهم لا يعلمون.. لا يعلمون ذلك العلم المطلق، الذي يحتاج إليه وضع منهج للحياة البشرية.. ومن ثم لا يكون لهم إلا الهوى وإلا الجهل حين يتصدون لما ليس من شأنهم، ولما ليس من اختصاصهم.. فوق ادعائهم لخاصية من خصائص الألوهية.. وهو إثم عظيم، وشر عظيم! [٥].

ووضح (محمد قطب)، بأن نظرية داروين ليست إلا مذهباً مادياً بحتاً، لا تؤمن بما وراء الطبيعة وينحصر بحثه بما يستطيع عقل الإنسان أن يحصله ويحسه ويجاربه بأيديه وعيونه، حيث

---

(١) خان، **الإسلام يتحدّى**، ص: ٤٤ – ٤٥.
(٢) قطب، سيد، هذا الدين، د.ط، دار القلم – القاهرة، ١٩٦٠م، ص: ٢١.
(٣) أديب، محمد الحسين، **الإيمان والعلم الحديث**، ط٤، المطبعة الحيدرية – النجف، ١٣٧٨هـ/ ١٩٦٧م، ص: ٣٧ – ٣٨.
(٤) انظر: المصدر نفسه، ص: ٣٨.
(٥) قطب، **هذا الدين**، ص: ٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول: "أقرر فقط أنه بصرف النظر عن صحة الوقائع التي وردت في نظريته، والتي أثبت العلـم أن معظمها صحيح، **فإنه كان من ورائها فلسفة مادية بحتة، لا تفرض مجالاً لأي شيء خـارج عن الأرض وعن المادة المحسوسة**، وليس تهرب الداروينيين من البحث في مسألة نشوء الحيـاة على ظهر الأرض، بحجة أنها مسألة لا تهمنا في البحث، ولا يمكن الوصول إلى دليل فيهـا، إلا مظهراً للتهرب من الاعتراف بوجود كائن أعلى يشرف على الحياة والأحياء، ويتدخل في الخلـق والإنشاء، إنها فلسفة ترفض كل ما لا تستطيع الحواس أن تدركه ولا تؤمن إلا بهذا الواقع الصغير الذي يبصره العقل ويصل إلى ميدانه العلم" [١].

وكذلك يقول (شمس الدين آق بلوت):" إن نظريات التطور ليست إلا محاولة لإقامة الحياة على أساسين ومفهومين خاليين من الحياة والشعور، وهما: الصدفة، والانتخاب الطبيعي.. ولنكرر هنا: **إن هذه النظريات تستند على قوة الخيال أكثر من استنادها على العقل أو على العلم" [٢].**

ويقول (حليم عطية سوريال): "نظرية التحول ليست علمية لأنها تنـاقض أسـاس العلـم بمناقضتها لناموس علمي لا شك في رسوخه" [٣].

ويقول (هارون يحيى): "تعتبر نظرية التطور فلسفة ذات مفهوم خاطئ جعلت العالم ينـتج فرضيات زائفة ونصوص مسرحيات خيالية هدفها تفسير وجود وأصل الحياة علـى أنـه وليـد مصادفة محضة فقط" [٤].

---

(١) قطب، **الإنسان بين المادية والإسلام**، ص: ١٦.
(٢) بلوت، **داروين.. ونظرية التطور**، ص: ١٠.
(٣) سوريال، **كتاب تصدع مذهب دارون والإثبات العلمي لعقيدة الخلق**، ص: ١٥.
(٤) يحيى، هارون، **خلق الكون**، ط١، مؤسسة الرسالة ناشرون – بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص: ١٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

**المطلب الثاني: موقف العلماء الغربيين:**

انتقد بعض العلماء الغربيين الشبهات التي عرضها داروين في نظريته، وهي على النحو الآتي:

**الشبهة الأولى:**

تأثر الانتخاب الطبيعي وعملية التطور الأخرى في تطور وتحول أنواع الكائنات الحية من أدنى الكائنات وأبسطها إلى الأرقى والأكثر تعقيداً لدى داروين، ولذلك يـزعم داروينـن بوجـود "صور الانتقالية" في المتحجرات والمستحاثات للدلالة على ادعائه.

**الرد على هذه الشبهة:**

ينقد (الدكتور موريس بوكاي) هذه الشبهة إذ إن الطبيعة لم تتسبب في ظهور أنواع جديدة ونشأتها، ذلك كما شرح في كتابه: "ما هو الدليل على أن قوة الانتقاء تدفع بالأشكال الجديدة إلـى الظهور؟ وقد شبه داروين الانتقاء الطبيعي بالانتقاء الاصطناعي الذي يقوم به الإنسان. ومع ذلك، فإن الانتقاء الاصطناعي – في واقع الأمر – **لا ينتج عنه أنواع جديدة؛ لأن كل دورة ينحصر في التأثير على خصائص معينة.** فالأفراد أنفسهم لا يتخلّون عن أنواعهم مهمـا كانـت، **والانتقـاء الإصطناعي لا يستحدث – ولا يؤدي إلى – تكوين أعضاء جديدة، ولا يؤدي إلى توالـد جـنس جديد كما أنه لا ينشئ نوعاً جديداً من أنواع التنظيمات،** وقد ذكـر ب.ب. جراسـية كـل هـذه الحقائق وأوضحها عندما ساق مثالاً لذلك عصويات القولون (باسيلات المصران الغليظ) وذبابـة الندي وهي كائنات تتعرض للتغيرات ومع ذلك تستبقى صفات نوعها الأساسية التي صاحبتها منذ ملايين السنين. وعلى ذلك فالتغيرات الفردية البسيطة التي ذكرها داروين ليست وراثية بأي شكل من الأشكال" [1].

كذلك يقول (كريسي موريسون) وهو عالم مسيحي، بأن الطبيعة لا يمكن أن تـؤدي إلـى ظهور الأحياء الجديدة، و"إن المتفق عليه عموماً هو أنه **لا البيئة وحدها، ولا المادة مهما كانـت**

(1) بوكاي، **ما أصل الإنسان؟ إجابات العلم والكتب المقدسة**، ص: ٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

**موائمة للحياة، ولا أي اتفاق في الظروف الكيماوية والطبيعية قد تخلفه المصادفة، يمكنهـا أن تأتي بالحياة إلى الوجود**" [١].

ويقول (البروفسور رابود) مدير معهد علوم الحياة في جامعة باريس، "بأن هناك تطـوراً في عالم الأحياء، ولكن ليس بالمعنى الذي فهمه لامرك أو دارون". [٢]

وكذلك، إن الكائنات الحية لم تتحول أشكالها وصورها منذ خلقها الله فـي الأرض، إذ إن الحيوانات والنباتات التي عاشت منذ بليون سنة ما زالت حالتها كما هي اليوم، فلم يطرأ عليها أي تغيير البتة، وعلى سبيل المثال، فقد اكتشفت أسماك سيلاكانث الشهيرة التي يبلغ عمـر وجودهـا مئات الملايين من السنين عند ساحل جنوب أفريقيا في سنة ١٩٣٨م وكان من المعتقد بأنها مـن السمكة المنقرضة خلال سبعين مليون سنة، ومن واقع الأمر فإن شيئاً لم يطرأ عليه التغيير علـى مدى مئات عديدة من ملايين السنين [٣].

أما الحلقة الوسطى أو الحلقات المفقودة التي زعم بوجودها داروين فلم تقم على أي أدلـة صحيحة، إذ لم يعثر عليها أحد حتى الآن.

ذلك كما يقر العالم التطوري الشهير (ج.ج سيبمسون) بعدم وجود أي صورة انتقالية بين أجناس الحيوانات، وأن كل الأحياء إنما تنشأ في هذا العالم فجأة بدون أي تطـور تـدريجي كمـا يدعي داروين، ذلك كما ذكر في كتابه الموسوم (عوامل التطور الرئيسية): "بـالرغم مـن هـذه المثلة، فإن الحقيقة التي يعرفها كل علماء المتحجرات هي أن معظـم الأنـواع مـن الأجنـاس والفصائل الجديدة، وكل الأصناف فوق مستوى الفصائل ظهرت في السجل (الجيولوجي) فجـأة، ودون أي يكون هناك أي تطور معروف تدريجي ومستمر وبشكل سلسلة متعاقبة نحو الأعلى[٤]."

أما في كتاب (النمو وعلم دراسة الهيئة) فقد أبطل (ديرسي طومسون) مذهب داروين عن تطور عائلة الحيوانات من واحد إلى آخر، حيث قال: "إن دراسة ثمانين سنة للداروينية التطوريـة

---

(١) موريسون، أ. كريسي، **العلم يدعو للإيمان**، ط٥، (ترجمة: محمود صالح الفلكي)، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر – نيويورك ، ومكتبة النهضة المصرية – القاهرة، ١٩٦٥م، ص: ٩٧.

(٢) انظر: بلوت، **دارون.. ونظرية التطور**، ص: ٢١.

(٣) انظر: بوكاي، **ما أصل الإنسان؟ إجابات العلم والكتب المقدسة**، ص: ٥٠ – ٥١.

(٤) علي، أورخان محمد، **تهافت نظرية داروين في التطور أمام العلم الحديث**، ط١، مؤسسة الرسالة – بيروت، لبنان، ودار البشير – عمّان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص: ١٢.

وانظر: Simpson, George Gaylord, **The Major Features of Evolution,** General Editor: L. C. Dunn, fourth Printing Columbia University Press, New York and London, U.S.A, ١٩٥٦, pp: ٣٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم تعلمنا كيف أن الطيور انحدرت من الزواحف والثدييات مـن ذوات الأربـع وذوات الأربـع والأسماك أو ذوات الفقار من غير الفقاريات. ونجد المشكلة ذاتها حتى عنـد غيـر الفقاريـات.. والهوة عميقة جداً بين ذوات الفقار وغير الفقاريات، وبين الدود والمجوفـات وبـين المجوفـات وذوات الخلية الواحدة، بحيث أننا لا نستطيع أن نرى من جانب الهوة الواحدة الجانب الآخر.. بل إننا نقطع حاجزاً كلما أردنا أن نمر من أسرة إلى أخرى، ومن جماعة إلى جماعة.. فهناك مبـدأ مقرر لعدم الاتصال ملازم لكل تصنيفاتنا.. لذا فمن العبث البحث عن ممر وسط لملء الفراغ" [١].

**الشبهة الثانية: الزعم بالتوالد الذاتي في تفسير نشأة الخلق (المصادفة)**

قد فسر داروين بأن الكائنات توجد عن طريق التطور والتحول بتأثير الطبيعة، وبمعنـى آخر، توجد جميع الأحياء من تلقاء ذاتها.

**الرد على هذه الشبهة:**

دحض العالم الأمريكي (البروفسور دوان ت. كيش) هذا الادعاء بقوله: "إن الدقة المدهشة والسلاسة التي يدور ضمنها الكون وكأله دقيقة متكاملة لا يعتورها أي خلل أو نقص أو عيـب.. هذه الدقة يمكن ملاحظتها ومشاهدتها في الرحلة التي تقوم بها أرضنا والتي تتصف بصفة الكمال، فهي تستغرق ٣٦٥ يوماً و ٥ ساعات و ٤٨ ثانية لتكملة الدوران حول الشمس، وفي هذا الدوران لا تسجل الأرض إلا تغيراً طفيفاً، ولا يستطيع أحد تأمين وتنفيذ مثل هذه الرحلة المنتظمة والدقيقة والمستمرة والخالية من أي نقص.. لا أحد يستطيع ذلك سوى القدرة اللانهائية للخالق" [٢].

ويقول (ايرفنغ وليام نوبلوتشي) وهو أستاذ العلوم الطبيعية؛ "لا أسـتطيع أن أتـصور أن المصادفة وحدها تستطيع أن تفسر لنا ظهور الإلكترونات والبروتونات الأولى أو الذرات الأولـى أو الأحماض الأمينية الأولى أو البروتوبلازم الأول أو البذرة الأولى أو العقل الأولى، إنني أعتقد في وجود الله لأن وجوده القدسي هو التفسير المنطقي الوحيد لكل ما يحيط بنا من ظـواهر هـذا الكون التي نشاهدها [٣]".

---

(١) انظر: فريق من العلماء، **خلق لا تطور**، ص: ٥٦- ٥٧. وفي تعليق المترجم لكتاب: ت. كيش، البروفسور داون، **في نظرية التطور: هل تعرّضت لغسيل الدماغ؟**، ص: ٥٤ ــ ٥٥.

(٢) ت. كيش ، **في نظرية التطور: هل تعرّضت لغسيل الدماغ؟**، ص: ٤٨.

(٣) نخبة من العلماء الأمريكيين، **الله يتجلى في عصر العلم**، د.ط، (المشرف على التحرير: جون كلوفرمونسيما، وترجمة: د. الدمرداش عبد المجيد سرحان، ومراجع: د. محمد جمال الدسن الفندي)، دار القلم –بيروت، لبنان، د.ت، ص: ٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك يقرل (كلود.م. هاثاواي)، حيث يقول: "ليس العالم من حولنا إلا مجموعة هائلة من التصميم والإبداع والتنظيم، وبرغم استقلال بعضها عن بعض، فإنها متشابكة متداخلة، وكل منهـا أكثر تعقيداً في كل ذرة من ذرات تركيبها، من ذلك المخّ الإلكتروني الذي صنعته، فإذا كان هـذا الجهاز يحتاج إلى تصميم أفلا يحتاج ذلك الجهاز الفسيولوجي الكيمي البيولوجي الذي هو جسمي، والذي ليس بدوره إلا ذرة بسيطة من ذرات هذا الكون اللانهائي في اتساعه وإبداعه، إلى مبـدع يبدعه؟" [١]

ويستطرد بقوله: "إن التصميم أو النظام أو الترتيب، أو سماها ما شئت لا يمكن أن تنـشأ إلا بطريقين: طريق المصادفة أو طريق الإبداع والتصميم، وكلما كان النظام أكثر تعقيـداً، بَعـدَ احتمال نشأته عن طريق المصادفة، ونحن في خضم هذا اللانهائي لا نستطيع إلا أن نسلم بوجـود الله"[٢].

ويقول (البروفسور داون كيث): "وكما ذكر الرب في الإنجيل (روميه ٢:١) فإنني أعتقـد وأومن إيماناً جازماً أن الطبيعة نفسها والخلق نفسه يوحيان ويظهران ويكشفان أن هنـاك خالقـاً، ونحن نعلم أن لكل تصميم مصمم، وأن لكل قانون مشرع، لذا فإن القول بأن الله خلق الأشياء كلها في البداية، لا يزال حتى الآن أصح ما تقال حول أصل الكون وحول أصل كل ما يحتويه الكون" [٣].

يقول البروفسور (سيسيل بايس هامان)، وهو أستاذ أمريكي في البيولوجيا: "إن الطبيعة لا تفسر شيئاً (من الكون)، وإنما هي نفسها بحاجة إلى تفسير" [٤].

كما جاء في كتاب (الإسلام يتحدى): "إن الطبيعة حقيقة (من حقائق الكون) وليست تفسيراً له" حيث يقول وحيد الدين خان: لأن ما كشفتم ليس بياناً لأسباب وجود الدين، فالـدين يبـين لنـا الأسباب والدوافع الحقيقية التي تدور ((وراء الكون)) وما كشفتموه هو الهيكل الظاهر للكـون، إن العلم الحديث تفصيل لما يحدث، وليس بتفسير لهذا الأمر الواقع، فكل مضمون العلم هو إجابة عن السؤال: ((ما هذا؟))، وليس لديه إجابة عن السؤال: ((ولكن لماذا؟)) " .. [٥]

---

(١) نخبة من العلماء الأمريكيين، **الله يتجلى في عصر العلم**، ص: ٧٧.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٧٧.
(٣) ت. كيش، **في نظرية التطور: هل تعرّضت لغسيل الدماغ؟** ، ص: ٤٨.
(٤) انظر : خان، **الإسلام يتحدى**، ص: ٣٠.
(٥) المصدر نفسه، ص: ٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما سبق، يتضح لدينا الآن، أن نظرية داروين ليست حقيقة علمية، وإنما هي تكهنـات وافتراضات فحسب، فقد أبطلت شبهاتها، وبالتالي سقطت النظرية من خلال الأدلة النقلية ومبادئ العلم الحديث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## الخاتمة

الحمدلله رب العالمين، وبه نستعين في كل أمورنا وأعمالنا، والصلاة والسلام على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الكرام، وبعد أن انتهينا من كتابة هذه الرسالة الموسومة (نظرية داروين في نشأة الخلق من خلال القرآن والسنة ومبادىء العلم الحديث: دراسة نقدية)، يمكن أن نقدم النتائج التي توصلنا إليها، وهي كما يلي:-

١) داروين لم يبتكر نظريته بل شرح ووضح نظرية من سبقه.

٢) تكلم داروين عن التطور من خلية واحدة ولكنه لم ينكر خالقها إلا أنه ترك الطبيعة لتنتخب في الخلق ويقر بغموض أصلها.

٣) نحن نوافقه في بعض النقاط: وهي الاشتراك في أصل واحد، وتطور شكل التدريجي.

أما الأول: فنحن لا ننكر أن كل الإنسان يتأصل في أصلها البعيد من أصل مشترك وهو آدم عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء : ١]، وقال تعالى: ا خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [الزمر: ٦]، وكذلك أننا نتأصل من ماء كما كانت النبات والحيوانات؛ إذ قال تعالى: اوَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وقال تعالى: ا وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ﴾ [النور: ٤٥]، وكما نوافقه في مرور مراحل في النوع الواحد، فالإنسان يمر في بداية خلقه بعدة مراحل، إن آدم عليه السلام يمر في خلقه وإيجاده مراحل الطينية، وحمإ مسنون، وصلصال كالفخار، ونفخ الروح قبل أن يكون إنساناً وبشراً سوياً، وكذلك إن الإنسان يمر بمراحل عديدة في بطن أمه في بداية خلقه، ذلك كما قال تعالى: ا ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ [المؤمنون: ١٣-١٤]، لكن هذه المراحل لم يؤد إلى تطور ولا تحول نوعي كما يعتقده داروين، وإنما هي مراحل التي سنن الله تعالى في الأحياء؛ ذلك بقدرة الله تعالى وإرادته.

٤) نظرية داروين اعتمدت على معلومات بواسطة أدوات وآلات بسيطة مقارنة مع ما لدينا اليوم؛ لذا كانت نتائجه غير دقيقة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥) ثبت أن الانتخاب الطبيعي لم يؤد إلى نشأة أي أنواع جديدة أو أي تدبير وقوة في شؤون الكون والعالم وما فيهما، وكذلك أن الصفات العارضة للأحياء لم تتوارث.

٦) قد أثبت أن الحياة كلها من أصغر تركيبها إلى أكبرها في غاية التعقيد، وغاية النظام والتصميم التي يستحيل أن يأتي عن طريق العشوائية والفوضى.

٧) الأعضاء الزائدة كانت زائدة في زمانه لكن العلم الحديث أثبت فوائدها.

٨) يعتقد داروين أن الحيوانية هي أصل الإنسان، وأنه من أنواع القرود، وهذا الادعاء قد سقط أمام الأدلة القرآنية والسنة، وكذلك الأدلة العلمية الحديثة.

٩) لم يحص داروين الحفريات ليجد الحلقات المفقودة.

١٠)وجود كائنات بدائية ثم الأرقى فالأرقى في طبقات الأرض يدل على ترتيب الوجود لا على تطورها.

١١) الانتخاب الطبيعي يعد طعناً في كمال صفات الإله الخالق لكن لازم المذهب ليس بمذهب.

١٢) علم الحفريات ناقص ومتغير والدليل إذا طرأ عليه الاحتمال بطل به الاستدلال.

١٣) تشابه الأجنة في أدوارها لا يعني تطورها من بعضها؛ لعدم تقدم الآلات المستخدمة في عصر داروين، ولوجود التزييف باعتراف أرنست هيكل الذي اضطر أن يكمل ٨٠% من صور الأجنة الناقصة.

١٤) فقد حاول داروين أن يبتعد عن الدين؛ إذ أن تركيب الإنسان، مادته وروحه من قدرات العقلية هي معجزة كبيرة على كمال قدرة الخالق، فالدليل الذي قام به داروين لم يدل على أي حقيقة علمية في ذلك بل على خيال وتزييف عظيم استناداً إلى المادية فحسب.

وفي الختام، نوصي الباحثين بالاستمرار في إيضاح بطلان نظرية داروين وأنصاره؛ إذ أنه موضوع مهم وخطير في زعزعة عقيدتنا الحنيفة، وكذلك برقابة ديني للبرامج العلمية التي تثبت نظرية داروين كأنها مسلمات في جميع وسائل المعرفة؛ في تلفزيوناتنا الإسلامية، الكتب الدراسية والمقالات وكذلك الصحف، وندعو الله تعالى أن تنفع هذه الدراسة الطلاب والباحثين كافةً، وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## قائمة المصادر والمراجع:

### أولاً: المصادر والمراجع باللغة العربية

-أديب، محمد الحسين، (١٩٦٧م)، **الإيمان والعلم الحديث**، ط٤، النجف: المطبعة الحيدرية.

- أ.كاردينر، وأ.بريبل، (١٩٦٤م)، **هؤلاء درسوا الإنسان**، د.ط، (ترجمة: أمين الشريف)، نيويورك: مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، وبيروت: دار اليقظة العربية.

- الأنصاري، عثمان عبد الرحمن، وسلامة، ناصر محمد، وأبو عساف، إسماعيل،(١٩٩٢م)، **مبادىء وأساسيات علم الوراثة**، د.ط، طرابلس الجماهيرية العظمى: دار الحكمة.

- إمام، إمام عبد الفتاح، (١٩٨٥م)، **مدخل إلى الفلسفة**، ط٥، القاهرة: دار الثقافة.

- باشميل، محمد أحمد، (١٩٦٤م)، **الإسلام ونظرية داروين**، ط١، بيروت: مطبعة محمد أحمد باشميل.

- بدوي، عبد الرحمن، (١٩٨٤م)، **موسوعة الفلسفة**، د.ط، ج١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- بدوي، السيد محمد، (١٩٦٦م)، **التطور في الحياة وفي المجتمع**، د.ط، الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية.

- البستاني، بطرس، (د.ت)، **دائرة المعارف**، د.ط، م٧، بيروت-لبنان: دار المعرفة.

- بقطر، جوزيف، (٢٠٠٦م)، **أشهر العلماء واكتشافاتهم**، د.ط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- بلوت، شمس الدين آق، (١٩٨٠م)، **داروين..ونظرية التطور**، د.ط، (ترجمة: اورخان محمد علي)، اسطنبول: مركز بحوث بني آسيا.

- بوكاي، موريس، (١٩٨٥م)، **ما أصل الإنسان؟ إجابات العلم والكتب المقدسة**، ط١٢، (ترجمة: مكتب التربية العربي لدول الخليج)، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج.

- البوطي، محمد سعيد رمضان،(١٩٧٩م)، **كبرى اليقينيات الكونية**، ط٨، دمشق: دار الفكر.

- بولتون، س.ك، (١٩٦٣م)، **مشاهير رجال العلم**، د.ط، (ترجمة: وصفي حجاب)، نيويورك: مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، وبيروت: دار الكتب العربي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- بيشين، كاترين بيني، (١٩٥٥م)، **رجال ومجاهر في عالم الأحياء**، د.ط، (ترجمة: عبد الحافظ حلمي محمد)، القاهرة: دار القلم.
- التهانوي، محمد بن علي (١٩٩٦م)، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، ط١، ج١، بيروت-لبنان: مكتبة لبنان.
- الجرجاني، علي بن محمد الشريف (ت٨١٦هـ)، **كتاب التعريفات**، د.ط، ١م، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٨م.
- ت. كيش، داون، (١٩٨٦م)، **في نظرية التطور: هل تعرضت لغسيل الدماغ؟**، د.ط، (ترجمة وتقديم وتعليق: اورخان محمد علي)، القاهرة: دار الصحوة.
- الجزائري، أبو بكر جابر، (١٩٨٧م)، **عقيدة المؤمن**، ط٥، جدة: دار الشروق.
- حداد، جورج، وعلي، بسام كرد،(١٩٤٨م)، **مختصر تاريخ الحضارة الغربية في الأزمنة الحديثة**، ط٢، دمشق: مكتبة العلوم والآداب للطباعة والنشر.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي الكناني، (ت٨٥٢هـ)، **مختصر فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، د.ط،١م، (إعداد: السيد إبراهيم حندوق، راجعه وقدّم له: الشيخ محمود غريب والشيخ علي قطامش، والأستاذ عبد الله المنشاوي)، مكتب الإيمان-المنصورة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- الحفني، عبد المنعم، (٢٠٠٠م)، **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، ط٣، القاهرة: مكتبة مدبولي.
- حنا، جورج، **قصة الإنسان**، (١٩٥٩م)، ط٣، بيروت: دار العلم للملايين.
-الخالدي، صلاح، (١٩٩٨م)، **القصص القرآني-عرض وقائع وتحليل أحداث**، ط١، ج١، دمشق: دار القلم.
- خان، محمد صالح كريم، (١٩٧٦م)، **الإنسان والداروينية: تحقيق علمي ودراسة لادراك الحقيقة من أجل الحقيقة ذاتها**، د.ط، الموصل: مطبعة الجمهور.
- خان، وحيد الدين،(١٩٧٢م)، **الدين في مواجهة العلم**، ط١، (ترجمة: ظفر الإسلام خان، ومراجعة: عبد الحليم عويس)، بيروت: دار الاعتصام.
-خان، وحيد الدين، (١٩٨٤م)، **الإسلام يتحدى: مدخل علمي إلى الإيمان**، ط٨، (ترجمة: ظفر الإسلام خان، ومراجعة وتقديم: عبد الصبور شاهين)، القاهرة: كتاب المختار.
-خطيب، عبد الغني، (١٩٧٠م)، أضواء من القرآن: على الإنسان ونشأة الكون والحياة، ط١، دمشق: مكتبة دار الفتح.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-خليل، ماهر، (١٩٨٦م)، **سقوط نظرية داروين في ضوء الإكتشافات العلمية الحديثة**، د.ط، القاهرة: المركز العربي.

- داردكه، صالح موسى، (١٩٨٨م)، **الإنسان في القرآن الكريم**، د.ط، عمان: مؤسسة شيرين.

- داروين، تشارلز، (ت١٨٨٢م)، **أصل الأنواع**، د.ط، ١م، (ترجمة: إسماعيل مظهر)، مكتبة النهضة-بيروت وبغداد، ١٩٧٣م.

- الرازي، محمد بن عمر، (ت٦٠٤هـ)، ط٣، ١٦م، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠٠٩م.

- الراغب الأصفهاني، (ت٤٢٥هـ)، **مفردات ألفاظ القرآن**، ط٥، ١م، (تحقيق: صفوان عدنان داوودي)، دار القلم- دمشق، والدار الشامية-بيروت، ١٤٣٣هـ/٢٠١١م.

- رشيد رضا، محمد، (١٩٤٧م)، **شبهات النصارى وحج الإسلام**، ط٢، القاهرة: دار المنار.

- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط٥، ٤م، (تحقيق: محمد عبد السلام شاهين)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠٠٩م.

- زيتون، وضاح، (٢٠٠٦م)، **المعجم السياسي**، ط١، عمان- الأردن: دار أسامة.

- زينو، حسن، (١٩٧١م)، **التطور والإنسان**، ط١، بيروت: دار الدعوة.

- السعدي، عبد الملك عبد الرحمن، (٢٠٠٨م)، **شرح النسفية في العقيدة الإسلامية**، ط٢، كرك-الأردن: مطبعة الأزهر ومؤسسة رام للكمبيوتر.

- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، (ت٩٥١هـ)، **تفسير أبو السعود**، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د.ت.

- سفنج، جي.إم، (١٩٧٧م)، **التطور**، ط٣، (ترجمة : الدكتور ساهي جواد ضاحي)، جامعة الموصل: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

- سلستي، جورج، (د.ت)، **عباقرة العلم في الغرب**، د.ط، بيروت: دار العلم للملايين.

- سمعان، جورج خوري، (١٩٦٢م)، **علماء بارزون**، ط١، عمان: المطبعة الإقتصادية.

- سوريال، حليم عطية، (١٩٣٨م)، **كتاب تصدع مذهب دارون والإثبات العلمي لعقيدة الخلق**، د.ط، - اسيوط: المطبعة الوطنية الحديثة للطباعة.

- ابن سهل البلخي، أبو زيد أحمد، (ت٣٢٢هـ)، **كتاب البدء والتاريخ**، د.ط، الخواجه أرنست لرو الصحاف- مدينة باريز، ١٨٩٩م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الشحات، علي أحمد، وكمال طلبة، مصطفى، (د.ت)، **نظرية التطور بين العلم والدين**، د.ط، القاهرة: مؤسسة الخانجي.

- الشعراوي، محمد متولي، **(**٢٠٠١م)، **قصص الأنبياء والمرسلين**، ط١، بيروت: المكتبة العصرية.

- شلبي، أحمد، (١٩٩٨م)، **مقارنة الأديان (المسيحية)**، ط١٠، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

- شويقة، فاروق عبد الجواد، (١٩٨٦م)، **مقدمة في الأنثروبولوجيا الطبيعة والسلالات البشرية**، ط٢، القاهرة : دار روتابرينت للطباعة.

- الصابوني، محمد علي،(١٩٨٥م)، **النبوة والأنبياء**، ط٣، بيروت: مؤسسة مناهل العرفان، ودمشق: مكتبة الغزالي.

- صروف، يعقوب، **أعلام المقتطف**، (د.ت)، ج١، (مشارك: نامر فارس)، القاهرة: مجلة المقتطف.

-الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)**، ط١، (تصحيح: مكتب التحقيق والإعلام العلمي في دار الأعلام)، دار الأعلام-عمان، ودار ابن حزم- بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- الطبري، محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ)، **تاريخ الطبري**، د.ط، (اعتنى به: أبو صهيب الكرمي)، بيت الأفكار الدولية- الأردن والسعودية، د.ت.

-ابن عاشور، محمد الطاهر،(د.ت)،**التفسير التحرير والتنوير**، د.ط، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.

-عبد العزيز أمين، مصطفى، وعبد العزيز، أمين،(١٩٤٨م)، **أسرار الحياة**، د.ط، مصر: دار المعارف.

-عبرة، عبد الرسول مهدي، (١٩٧٩م)، **قضية الخلق بين الماديين والمثاليين**، ط١، دون مكان النشر: عبد الرسول مهدي عبرة للنشر والتوزيع.

- عثمان، صلاح محمود، (٢٠٠١م)، **الداروينية والإنسان: نظرية التطور من العلم إلى العولمة**، ط١، الإسكندرية- القاهرة: منشأة المعارف جلال حزي وشركاه.

- العذاري، عدنان حسن، (١٩٨٧م)، **أساسيات في الوراثة**، ط٢، جامعة الموصل: وزارة التعليم العالي.

-العقاد، عباس محمود، (د.ت)، **الإنسان في القرآن الكريم**، القاهرة: مكتبة دار الهلال.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-علي، اورخان محمد، (١٩٩٧م)، **تهافت نظرية داروين في التطور أمام العلم الحديث**، ط١، بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة، وعمان: دار البشير.

- عمر الأشقر، عمر عبدالله، (٢٠٠٤م)، **العقيدة في الله**، ط١٥، الأردن: دار النفائس.

- غلاب، السيد، (١٩٦٣م)، **تطور الجنس البشري**، ط٣، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا(ت ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، د.ط، ج٢، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- فالكونر، دوغلاس سكوت، (د.ت)، **المدخل إلى الوراثة**، د.ط، (ترجمة: وليد خضير المراني)، فرنسا: سيماروتوماج.

-فرج زين الدين، حسين، ولطفي، رمسيس، (د.ت)، **دراسات في علم الحيوان ورواد التاريخ الطبيعي**، د.ط، القاهرة: دار المحامي للطباعة ودار الفكر العربي.

- فريق من العلماء، (١٩٨٢م)، **خلق لا تطور**، ط١، (عربه بتصرف: إحسان حقي)، بيروت: دار النفائس.

- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، (٢٠٠٩م)، **القاموس المحيط**، ط١، (تحقيق: عبد الخالق السيد عبد الخالق)، منصورة: مكتبة الإيمان.

- قراءات من المجلة العلمية الأمريكية، (مقدمة: ليو.لايورت)، (١٩٨١م)، **التطور والسجل الحفري**، د.ط، (ترجمة: محمد السيد غلاب)، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

- القرضاوي، يوسف، (١٩٩٢م)، **المدخل لدراسة السنة النبوية**، ط٣، القاهرة: مكتبة وهبة.

- القرطاس، قيس، (١٩٧١م)، **نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها**، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة.

-القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري،(ت ٦٧١هـ)، **الجامع الأحكام القرآن**، ط١، ج٢، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

- قطب، سيد،(١٩٨٨م)، **في ظلال القرآن**، ط١٥، بيروت والقاهرة: دار الشروق.

- قطب، سيد، (١٩٦٠م)، **هذا الدين**، د.ط، القاهرة: دار القلم.

- قطب، محمد،(١٩٩٣م) **مذاهب فكرية معاصرة**، ط٨، القاهرة: دار الشروق

- قطب، محمد، (٢٠٠٥م)، **العلمانيون والإسلام**، ط٢، القاهرة: دار الشروق.

- قطب، محمد،(٢٠٠٦م)، **الإنسان بين المادية والإسلام**، ط١٢، القاهرة-مصر: دار الشروق.

- قطب، محمد، (١٩٦٤م)، **جاهلية القرن العشرين**، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- قطب، محمد، (١٩٨٠م)، **التطور والثبات في حياة البشر**، ط٤، بيروت والقاهرة: دار الشروق.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (ت ٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، د.ط، ٤م، دار أسامة للنشر والتوزيع، دون مكان الناشر، د.ت.
-الكردي، راجح عبد الحميد، (٢٠٠٤م)، **نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة**، ط٢، ج٣، عمان: دار الفرقان.
- كرم، يوسف، (١٩٦٦م)، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، ط٤، مصر: دار المعارف.
- كلاتش، هرمن، **النشوء والإرتقاء أو مصير الإنسانية ونشوء المدنية**، د.ط، ١م، (ترجمة: عصام الدين حفني ناصف)، المكتبة المصرية، القاهرة، ١٩٢٧م.
- كيلاني، ماجد، (١٩٨٤م)، **الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي**، ط٢، جدة: الدار السعودية.
- كين، فيليب، ونينسون، صمويل، (١٩٦٣م)، **عمالقة العلم**، د.ط، (ترجمة: جلال مظهر، ومراجعة: محمد عاطف البرقوقي)، نيويورك: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، والقاهرة: النهضة العربية.
- كرم، يوسف، (٢٠٠٩م)، **الطبيعة وما بعد الطبيعة**، ط١، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
- لجنة الرواد والمشاهير، (١٩٨٣م)، **داروين: حياته ورحلته على البيجل**، د.ط، (مراجعة: رءوف سلامة موسى)، القاهرة: دار ومطابع المستقبل.
- لويس، جون، (١٩٨٦م)، **الإنسان ذلك الكائن الفريد**، د.ط، (ترجمة: صالح جواد الكاظم)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، وبغداد: دار الشؤون الثقافة العامة.
- ليرمان، روبرت ل.،(١٩٦٣م)، **الطريق الطويل إلى الإنسان :قصة التطور في عالم الحيوان**، د.ط، (ترجمة: ثابت جرجس قصبجي)، نيويورك: مؤسسة فرنكلين، وبيروت: المؤسسة الوطنية.
- ماك آلستر، أريس لي، (١٩٧٨م)، **تاريخ الحياة**، د.ط، (ترجمة: الدكتور فؤاد العجل)، دمشق: مطبعة جامعة دمشق.
- مجمع اللغة العربية، (١٩٧٩م)، **المعجم الفلسفي**، د.ط، القاهرة: جمهورية مصر العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.
- محمد، يحي، (د.ت)، **الداروينية: عرض وتحليل**، د.ط، ، بيروت: دار التعارف للمطبوعات.
-المدرسي، هادي، (١٩٧٨م)، **عن الإنسان والمادية الداروينية**، د.ط، بيروت: دار التعارف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- مدكور، إبراهيم، (١٩٧٢م)، **المعجم الوسيط**، ط٢، (تخريج: إبراهيم أمين، وعبد الحليم منتصر، وعطية الصوالحي، ومحمد خاف الله أحمد)، القاهرة: دون الناشر.
- مسعود، جيران، (٢٠٠١م)، **الرائد: معجم لغوي عصري**،ط٨، بيروت: دار العلم للملايين.
- المصري، عادل محمد، (٢٠٠٢م)، **النشوء والتطور في الكائنات الحية**، د.ط، الإسكندرية: طباعة الدلتا للطباعة، ومنشأة المعارف للنشر، جلال حزي وشركاه.
- مظهر، إسماعيل، **مذهب النشوء والإرتقاء**، الكتاب الأول، ط١، ج١، مطبعة المقتطف والمقطم، القاهرة، ١٩٢٣م.
- مظهر، إسماعيل، **ملقى السبيل في مذهب النشوء والإرتقاء وأثره في الإنقلاب الفكري الحديث**، د.ط، (عني بنشره: إلياس أنطون إلياس)، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٢٤م.
-ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، **لسان اللسان تهذيب لسان العرب**، ط١، ج١، (تحقيق: المكتب الثقافي لتحقيق الكتب، إشراف: عبد أ. علي مهنا)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- موريسون، أ.كريسي، (١٩٦٥م)، **العلم يدعو للإيمان**، ط٥، (ترجمة: محمود صالح الفلكي)، نيويورك: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، والقاهرة: مكتبة النضة المصرية.
- موسى، سلامة، (١٩٦٥م)، **هؤلاء علموني**، ط٣، دون مكان النشر: سلامة موسى للنشر والتوزيع.
- موسى، سلامة، (١٩٦٣م)، **نظرية التطور وأصل الإنسان**، ط٦، القاهرة: سلامة موسى للنشر والتوزيع.
- موسى، سلامة، (١٩٥١م)، **الإنسان قمة التطور**، د.ط، القاهرة: دار مصر للطباعة.
- ميد، هنتر، (١٩٦٩م)، **الفلسفة أنواعها ومشكلاتها**، ط٣، (ترجمة: د.فؤاد زكريا)، القاهرة-مصر: دار النهضة.
- ميرفي، مايكل.ب، وأونيل، لوك. أ.ج، (٢٠٠١م)، **ما هي الحياة؟ الخمسون سنة المقبلة تأملات حول مستقبل البيولوجيا**، ط١، (ترجمة: أحمد حسن مغربي)، بيروت- لبنان: مؤسسة الإنتشار العربي.
- النجار، محمد الخطيب، (١٩٧٩م)، **تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية**، د.ط، القاهرة: دار الاعتصام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- نخبة من العلماء الأمريكيين، (د.ت)، **الله يتجلى في عصر العلم**، د.ط، (المشرف على التحرير: جون كلوفرمونسيما، وترجمة: الدمرداش عبد المجيد سرحان، ومراجع: محمد جمال الدين الفندي)، بيروت-لبنان: دار القلم.

- الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (١٤٢٤هـ)، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، (إشراف وتخطيط ومراجعة: الدكتور مانع بن حماد الجهني)، ط٥، م٢، الرياض: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.

- نويهض، عجاج، (١٩٨٤م)، **بروتوكالات حكماء صهيون**، ط١، ج١، عمان: دار الجليل.

- هكسلي، جوليان، (١٩٤٧م)، **الإنسان في العالم الحديث**، د.ط، (ترجمة: حسن خطاب، ومراجعة: عبد الحليم منتصر)، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

- وايت، اندرو ديكسون، **بين الدين والعلم**، د.ط، (ترجمة وتعليق: إسماعيل مظهر)، دار العصور للطبع والنشر-مصر، ١٩٣٠م.

- يحيى، هارون، (٢٠٠٣م)، **خلق الكون**، ط١، بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة.

- يحيى، هارون، (٢٠٠٤م)، **المعجزة الخضراء: التمثيل الضوئي**، ط١، (ترجمة: مصطفى أنور،

ومراجعة: مصطفى الستيتي)، بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون.

- يحيى، هارون، (٢٠٠٤م)، **معجزة الذرة**، ط١، (ترجمة: أحمد ممتاز سلطان، ومراجعة: مصطفى الستيتي)، بيروت- لبنان: مؤسسة الرسالة.

- يحيى، هارون، (٢٠٠٤م)، **الأمم البائدة**، ط١، (ترجمة: ميسون نحلاوي، ومراجعة: اورخان محمد علي)، بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون.

- يحيى، هارون، (٢٠٠٤م)، **لا تتجاهل**، ط١، (ترجمة: ميسون نحلاوي، مراجعة: اورخان محمد علي)، بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة ناشرون.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## ثانياً: المراجع الأجنبية

(Curtis, Helena,**The Marvellous Animals: (an introduction to the protozoa**) Heinemann, London, ١٩٦٩)

(Darwin, Charles, **The Descent Of Man, and Selection in relation to sex,** First Printing, (Introduction by: John Tyler Bonner and Robert M.May) Princeton University Press, New Jersey, ١٩٨١)

(Dobzhansky, Theodius, **Mankind Evolving: (The Evolution of the Human Species)**, Edition: ٩, New Haven and London, Yale University Press,١٩٦٦)

Edwin, Colbert, **Evolution of the Vertebrates : (a history of the backboned animals ( through time),** Second Edition, Wiley Eastern, New Delhi- India, ١٩٨٢)

(Hall, Richard P., **Protozoa: the simplest of all animals**, Holt, Rinehart and Winston Publisher,New York, ١٩٦٤)

(Moore, Ruth, **Evolution**, Time-Life Books-New York, ١٩٦٤)

(Oparin, Aleksandr Ivanovich**, Origin of Life**, (Translation by: Sergius Morgulis), Second Edition, Dover Publications, Inc, New York, U.S.A, ١٩٥٣)

(Simpson, George Gaylord, **The major features of Evolution**, General Editor: L.C.Dunn, Fourth Printing, Columbia Press, New York and London, U.S.A,١٩٦٥)

(Yahya, Harun, **The Evolution Deceit**, First Published: Ta-Ha Publisher Ltd, Printed: Kultur Publishing, Istanbul- Turkey,٢٠٠١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## ثالثاً: المواقع الألكترونية:

(http://www.marefa.org/index.php/هربرت_سبنسر)

(http://www.marefa.org/index.php/ارنست_هيجل)

(http://www.aaas.org/spp/dser/٠٢_Events/Workshops/Ws_٢٠٠٣_٢٠٠٤_PET/٢٠٠٣_٠٢٢١_٢٣_OriginLife/OriginLife_PDFs/tutorials/strick.pdf)

(http://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC٢٧٤٥٦٢٠/pdf/١١,٠٨٤_٢٠٠٩_Article_٩١٧٢.pdf)

(http://www.ts-si.org/biology/٢٠٨١٦-mining-charles-darwin-the-origin-of-life)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

# DARWIN'S THEORY (ORIGINS OF CREATION) FROM THE PERSPECTIVE OF THE QURAN, SUNNAH AND THE PRINCIPLES OF MODERN SCIENCES: A CRITICAL STUDY

**By**
**Nor Eliana Binti Haji Ismail**

**Supervisor**
**Dr. Atallah Mueaytah**

## ABSTRACT

This study aims to point out the Darwin's theory about creature's evolution through his experiments texts in his two big volumes; (The Origin of Species) and (The Descents of Man) the first is about origin of creatures wherein he exposes his illustrations about creation concept, reasons and evidences behind creatures development; animals and plants, Second volume talks about man's dynasty wherein he explained about man's origin with his evidences, The study hereby shows that his concepts were wrong which I try to refute it by giving the correct one as stated by scholars researchers and defeating his statement through Holy Quran, Sunna, and the principles of Modern Science.

The Study depends on the evidences, analytic critism through mental and statements of scholars to prove that his theory is wrong and false through solid evidenced and his misunderstanding of creation reality, He as well talked to show the reasons and targets of creation especially when he combines creation of man with animals as he denied creator (God) and depended only on nature, which is a sort of gross contradiction against Quran, Sunna, and the principle of Modern Sciences.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit